
المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي



مجلة المجمع العلمي





مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثالث والرابع ـ المجلد الستون

١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٣م

(شروط النشر وضوابطه)

١- تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية ويما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢- لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣- يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلّة اخرى ورفض لعدم صلاحيته او انه مسروق .

٤- تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥- هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٦- لاتنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا اوتنظيما خاصا .

٧- لاتنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال نشره المجلات الخاصة.

٨- لاتنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لاي من الموسسات .

٩- لاتنشر المجلة بحوثا مضطربة اللغة والاسلوب ولايمكن اصلاحها .

١٠- يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ. ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق بنسخة ورقية .

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت. يجب أن لايزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة ويما لا يتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الآف وخمسمائة كلمة.

ث. أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية .

د. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرّة عربيا .

١١- يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلّة مع عشر مستلات من بحثِهِ ومكافأة تقديرية على وفق نظام المكافآت المعمول به في المجمع العلمي .

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي

iraqacademy@yahoo.com
journalacademy@yahoo.com

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠)الف دينار سنويا .

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا .

محتويـــات

الجزء الثالث والرابع / المجلد الســتون



هذه المجلة

من وسائل تحقيق أهداف المجمع العلمي إصدار مجلة لنشر البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية ، وبما يسهم في تحقيق أهداف المجمع ، وتعرض البحوث المقدمة للنشر على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

صدر الجزء الأول ١٩٥٠ وبلغت مجلداتها (٦٠) مجلدا وفي كل واحد أربعة أجزاء سنويا إلا ما حدث في ظروف خاصة لم تصدر المجلة فيها باربعة أجزاء سنويا .

وكادت في مجلداتها القديمة تقتصر على نشر بحوث أعضاء المجمع العاملين وحين نشرت المجلة لي بحثا سنة ٦٢ ـ ١٩٦٣ لام بعض الاعضاء المرحوم الاستاذ محمد بهجة الأثري لانني لم أكن عضوا أوشيخا معروفا يومذاك ، ولكن منذ السبعينيات ـ تقريبا ـ بدأت المجلة تنشر للباحثين من غير الأعضاء لأن تشكيلات المجمع كانت تضم أعضاء لا تسمح لهم ظروفهم بالبحث كما كان الأعضاء السابقون لأن معظمهم متقاعدون .

دأبت المجلة منذ صدورها على أن تتجنب نشر الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا أو تنظيما خاصا ، واعتذرت من عدم نشر البحوث الدينية التي تمس العقائد ، لأن مجال نشرها المجلات الخاصة ، وليست مجلة تصدرها مؤسسة أهدافها مختلفة ، ومنذ الثمانينيات وأنا عضو في

هيئة تحريرها أو رئيس تحريرها لم يرفض بحث ينسجم وأهداف المجمع .
والبحث العلمي ، وكنت أقرأ البحث بعد رجوعه من الخبير لئلا أجد فيه
ما يسيء وقد وقع بعض الخبراء في أخطاء ما كان لهم أن يقعوا فيها
ويوصوا بنشر البحث ، ولا أريد ذكر بعضها لئلا أسيء اليهم .

إن المجلة لم تنشر الآن وسابقا إلا البحوث النافعة التي تقدم زادا
للمختصين وغيرهم ، وكل ما رفضت نشره بحوث خرجت عن أهداف
المجمع أو :

١ــ إنها بحوث تخصصية جدا ، كبحث عن جزء من أجزاء العين
لا يفهمه إلا المختصون بطب العيون .

٢ــ إنها سياسة أو دينية تمس الكيانات والعقائد .

٣ــ إنها تتحدث عن فساد المكتبة الفلانية أو إدارة المؤسسة الفلانية ...

٤ــ إنها مسروقة .

٥ــ إنها مرفوضة من جهات النشر الأخرى لعدم صلاحيتها .

٦ــ إنها لا ترقى الى مستوى المجلة .

٧ــ إنها مضطربة اللغة والأسلوب ولا يمكن إصلاحها .

رئيس التحرير

احمد مطلوب

الأحد

٢٠ تشرين الأول ٢٠١٣هـ

١٥من ذي الحجة ١٤٣٤هـ الأحد

التداولية ليست منهجا

الدكتور احمد مطلوب
رئيس المجمع العلمي ــ بغداد

الملخص :

هذه ورقة تلقي بعض الضوء على ما شاع في العقود الأخيرة من مصطلحات لغوية وأدبية ونقدية وفنية ومنها (التداولية) التي شغف بها بعضهم حبا وهو يقرأ التعريفات المختلفة ، والآراء المتباينة ، ويستعمل الكلمة في مقالاته وبحوثه من دون أن تكون لها علاقة بما يدبج أو يكتب .

نشرت مقالات وبحوث وكتب ، مؤلفة ومترجمة عن (التداولية) وقد تعرضت لهذا المصطلح الذي وجد سبيله الى الظهور ، وكان معظمها تنظيرا لا تطبيقا ، وهذه الورقة تتطرق الى الموضوع وقد تغضب قوما وترضي آخرين ؛ لأنها وجهة نظر في صلة (التداولية) بمطابقة مقتضى الحال والمقام مما عرضته كتب النقد والبلاغة العربية ، وانتهت الورقة ببعض ما عبر عنه بطرق مختلفة من المعاني والمقاصد ، ليظهر أنها ليست منهجا وإنما هي استعمال اللغة للتعبير ، أي أنها المنجز اللغوي .

(١)

بدأ الاهتمام بالتسميات الفنية التي كانت تتسرب الى اللغة العربية قبل عقود من الزمان ، ولعل ما يخص المسرح من أوائلها ، وكثر شيوع مسرحيات المأساة (التراجيديا) والملهاة (الكوميديا) ومصطلحات المسرح حتى إذا ما جاء عقد أو اكثر انطلقت موجة جديدة من التسميات ، اطلق عليها اسم (المذاهب الأدبية) كالاتباعية (الكلاسيكية) والابداعية (الرومانسية) والبرناسية ، والدادية ، والرمزية ، والسريالية والواقعية ، واهتمت الصحافة والكتب بالترويج لها ، وتعصب قوم لا تجاه منها ، واشتدت الخصومات بين المؤيدين والمعارضين ، وما كاد الصراع يهفت حتى جاءت موجة جديدة اطلق عليها اسم (المناهج النقدية) كالأسلوبية ، والبنيوية ، والتكوينية ، والظاهراتية ، والتفكيكية وغيرها مما وصل الى اكثر من ستة وعشرين منهجا[١] على الرغم من أن الاتجاهات الجديدة لخصها (رينيه ويلك) في ستة هي : النقد الماركسي ، والنقد النفسي ، والنقد اللغوي الأسلوبي ، والشكلية العضوية الجديدة ، والنقد الأسطوري ، والنقد الوجودي[٢] .

شغل الباحثون والنقاد بهذه المناهج ، وتعصبوا لها كل التعصب ، وعدا الدكتور (كمال أبو ديب) البنيوية : ((ثالث حركات في تأريخ

---

[١] جمرة النص ص ٤٦٨-٤٧١ .

[٢] مفاهيم نقدية ص٤٦٦ .

الفكر الحديث ، يستحيل بعدها أن نرى العالم ونعاينه ، كما كان الفكر السابق علينا يرى العالم ويعاينه))[٣].

ولم تكن الدراسات اللغوية بعيدة عن الاتجاهات الكثيرة ، فهناك المنهج الوصفي ، والمنهج المعياري ، والمنهج التأريخي ، والمنهج المقارن ، والمنهج التحويلي ، والمنهج التوليدي ، وهناك علم اللغة الاجتماعي ، وعلم اللغة النفسي ، وعلم اللغة التطبيقي .

ولم يقف الأمر عند هذه المناهج والأنواع وإنما اطلقت على الدرس اللغوي عدة تسميات بلغ عددها ثلاثة وعشرين اسما مثل فقه اللغة ، وعلم اللغة ، وعلم اللسان ، والألسنية واللسانيات ونحوها[٤] ، في حين أن القدماء استعملوا ثلاثة مصطلحات للدلالة على الدراسات اللغوية هي : فقه اللغة ، وعلم اللغة ، وعلم اللسان ، وشاع مصطلحان في العصر الحديث قبل شيوع التسميات الكثيرة هما : فقه اللغة وعلم اللغة ، وفي ضوئهما ألف الدكتور (علي عبد الواحد وافي) . كتابيه المعروفين .[٥]

(٢)

ما كاد الباحثون ينسون هذه المصطلحات النقدية واللغوية حتى طلعت عليهم (التداولية) التي عدت من علم اللغة ، وهي من مادة (دول) جاء في (معجم مقاييس اللغة) : ((الدال والواو واللام أصلان :

---

[٣] جدلية الخفاء والتجلي ص٧ .

[٤] ينظر قاموس اللسانيات ص٧٢ .

[٥] ينظر مصطلح اللسانيات في كتاب (بحوث مصطلحية) ص١٦٩ .

أحدهما ، يدل على تحول شيء ، من مكان الى مكان ، والآخر يدل على ضعف واسترخاء ... ومن هذا الباب : تداول القوم الشيء بينهم إذا صار من بعضهم الى بعض)) وقريب مما قاله (احمد بن فارس) ما جاء في (لسان العرب)لابن منظور ، ولا يخرج كلام أبي البقاء الكفوي ، وما جاء في (المعجم الوسيط) و (المعجم العربي الأساسي) عن هذا وإن أضاف : ((تداولوا في الأمر : ناقشوه بينهم وبحثوا جوانبه ، والمداولة مصدر (داول) : تداول الرأي بين أعضاء دائرة المحكمة في اجتماع سري للوصول الى منطوق الحكم في القضية التي يتداولون فيها ، الحكم بعد المدولة)) .

وجاءت المادة في (القرآن الكريم) ففيه : ((وتلك الأيام نُداولها بين الناس)) (آل عمران ١٤٠) أي : أن الأيام دول ، يوم لك ويوم عليك ، ويوم تُساء ويوم تُسر .

وفيه : ((كي لا يكون دُولة بين الأغنياء منكم)) (الحشر ٧) أي : لئلا ينتفع بهذا المال ويستأثر به الاغنياء دون الفقراء مع شدة حاجة الفقراء للمال .[٦]

وفي أحاديث أشراط الساعة : ((إذا كان المغنم دُولا)) وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم .

و ((لم تتداوله بينك وبينه رجال)) أي : لم تتناقله الرجال .[٧]

---

[٦] ينظر تفسير الآيتين في صفوة التفاسير ج١ ص٢٣١ ، ج٣ ص٣٥٠ .

[٧] ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج٢ ص١٤٠ .

أخذت كلمة (التداولية) – وهي مصدر صناعي أو السياقية أو المواقفية (Pragmatics) تدخل الدراسات المتأخرة وهي : ((دراسة استخدام اللغة في شتى السياقات والمواقف الواقعية ، أي تداولها عمليا ، وعلاقة ذلك بمن يستخدمها تفريقا لها من مذهب العلاقات الداخلية بين الألفاظ (Syntactics) وعلاقة الألفاظ بالعالم الخارجي أو دلالتها (Semantics)[8].

فالتداولية دراسة لغوية دخلت الدرس الأدبي من أجل ((تطبيق بعض المبادئ العامة للتداولية على السياقات الأدبية ، عمادها الالتزام بالابتعاد عن دراسة الأعمال الأدبية باعتبارها أبنية نصية شكلية محضة ومغلقة ، والإقرار بأنها عناصر وسيطة وحلقات في سلاسل التواصل أو التوصيل ... والتداولية الأدبية تحاول أساسا الجمع بين الحركة نحو الخارج والحركة نحو الداخل ، أي الانطلاق الى داخل النص لتمييز أو لتحديد الوسائل الفنية التداولية))[9] ولا علاقة للتداولية بالذرائعية التي هي مذهب فلسفي يركز على كل ما له أهمية علمية للبشر ، ويتجنب البحث في القضايا المطلقة أو المجردة ، وهو ما نصت عليه المعاجم اللغوية الحديثة كالمنهل (فرنسي عربي) والمورد (انكليزي – عربي – عربي انكليزي) وما ذكره من قبل الدكتور (مجدي وهبة)[10]...

---

[8] المصطلحات الأدبية الحديثة – دراسة ومعجم انجليزي عربي ص٧٦ .

[9] المصدرنفسه ص٧٧ .

[10] ينظر معجم مصطلحات الأدب ص٤٣٠ .

واستعمل الدكتور (سعيد علوش) كلمة (البراغماتية) بدل (الذرائعية) وقال :

١ـــ يحددها (موريس) في جزء من (السيميولوجيا) التي تدرس العلاقة بين العلامة واستعمالاتها ...

٢ـــ ويميز في معالجة الخطاب السردي على المستوى السطحي ـــ البعد الادراكي والبعد البراغماتي ، ويستعمل هذا الأخر مرجعا داخليا للأول .

٣ـــ والموضوعات البراغماتية هي موضوعات تعرف كقيم وصفية .

٤ـــ وتستهدف البراغماتية بالمفهوم الأمريكي استخلاص شروط التواصل بالأساس)).[١١]

(٣)

شغل الكتاب العرب بالتداولية والناظر في بحث (التداولية – إشكالية التعريف ومقاربة التمثيل) للاستاذ (عبد العزيز ابراهيم)[١٢] يجد كثرة التعريفات وتضارب الآراء ، إذ أصبحت التداولية ((من الحقول المنبوذة في الدراسات اللسانية الحديثة منذ سبعينيات القرن الماضي ، ولم يهتم بها النقد الغربي ولا الأمريكي الجديد ، ولم يوظفها في اجراءاته ، لأنها كانت تمثل لدى اللسانيين ومن ثم النقاد مستوى هامشيا لا قيمة له ، فهي حقل لساني يطرح إشكاليات معقدة من حيث حدوده وفرضياته ، ومجالاته وأدواته ، وهي بلا شك حقل ملتبس وغائم ، وفيه كثير من التعميم والغموض)) .

---

[١١] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ص٤٨ .

[١٢] ينظر في مجلة الأقلام ـــ العدد الأول ـــ شباط ـــ آذار ٢٠١٢ .

وهي في قول آخر : ((مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات ، ومتساوقة في النظر الى اللغة بوصفها نشاطا يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد . وعلى الرغم من عدم الوضوح الذي اكتنف التداولية فان مجمل الأفكار والملاحظات والتساؤلات التي لم تتمكن المدارس اللسانية والبنيوية منها الإجابة عنها ، قد وجدت سبلها في هذا الاتجاه)) .

فالتداولية قبل كل شيء دراسة لغوية ، وللباحثين العرب والأجانب آراء متفاوتة في تعريفها ودلالاتها ، وكثرت الدراسات والكتب عنها ، ولعل أشملها كتاب (استراتيجيات الخطاب ـ مقاربة لغوية تداولية) للدكتور (عبد الهادي بن ظافر الشهري) الذي بذل جهدا كبيرا في وضعه ، والاستراتيجيات ((طرق محددة لتناول مشكلة ما ، والقيام بمهمة من المهمات ، أو هي مجموعة عمليات تهدف الى بلوغ غايات معينة ، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة ، والتحكم بها))[١٣]. وعد التداولية منهجا وهي ((دراسة علاقة العلامات بمستعمليها وبمؤوليها)) وذكر أن استعمال مصطلح (التداولية) يعود الى الفيلسوف (تشارلز موريس) انطلاقا من عنايته بتحديد الاطار العام لعلم العلامات السيميائية من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع هي :

١ـ النحو أو التركيب (Syntax) : وهو دراسة العلاقة الشكلية بين العلامات بعضها ببعض .

---

[١٣] استراتيجيات الخطاب ـ مقاربة لغوية تداولية ص٥٣ .

٢ــ الدلالة (Semantic) : وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤول اليها هذه العلامات .

٣ــ التداولية (Pragmatics) : وهي دراسة علاقة العلامات بمستعمليها وبمؤوليها .

عمد الباحثون الى هذا المنهج ((ليمدهم برؤى متعددة نتيجة لقصور الدراسات الشكلية واهمالها لمقاربة اللغة في تجليها الحقيقي أي في الاستعمال التواصلي بين الناس ، ولذلك يرى (ليفنسون) أن الأساس الأول في نشوء المنهج التداولي كان بمثابة ردة فعل على معالجة (تشومسكي) للغة بوصفها شيئا تجريديا ، أو قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة غفلا من اعتبار استعمالها ومستعملها ووظائفها ، ثم استعرض عددا من الدوافع العامة التي كانت وراء تطور المنهج التداولي ، إذ كان منها ما يتعلق بالتراكيب ، وتحديد المراجع ، ومنها ما يتعلق بدلالة الخطاب في السياق ، والتعامل الاجتماعي بين طرفي الخطاب))[١٤] .

الاطار العام للكتاب هو الخطاب ، ولذلك كان بابه الأول في مفهوم الاستراتيجية في الخطاب ومعايير تصنيفه ، والباب الثاني لمعالجة أنواع استراتيجيات الخطاب وهي : التضامنية ، والتوجيهية ، والتلميحية ، والاقناع ، وفيهما شتى الدراسات كالصرفية والمعجمية والتركيبية والتنغيمية ، والبحث في الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتحذير ، والاغراء ، والتحضيض ، والعرض ، والنداء ، وفيه مباحث نحوية وبلاغية ، وضوابط التداول الحجاجي ، وأصناف الحجاج وتقنياته .

---

[١٤] المصدر نفسه ص٢١ ، وينظر كتاب التداوليات – علم استعمال اللغة ص٢ .

فالكتاب مجموعة من الدراسات المتعددة أطلق عليها المؤلف عنوان (مقاربة لغوية تداولية) أي أن (التداولية) كل شيء وإن كان محورها دراسة اللغة والخطاب ، وإنها لصعوبة ما بعدها صعوبة أن يدرس العمل الأدبي في خضم التعريفات والتقسيمات ، وقد أوقع هذا المفهوم الواسع بعض الدارسين في خلط عندما زين لهم دراسة بعض الأعمال الأدبية تداوليا .

وصدر كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة) وقد جمع فيه معده الدكتور (حافظ اسماعيلي علوي) بعض فصول من (أطاريح جامعية) لنيل (الدكتوراه) وهي دراسات لم تأتِ بتعريف (جامع مانع) للتداوليات ليوحد التعريفات المتداولة ، ولعل أول تعريف لها ما قاله (تشارلز موريس) ـــ ١٩٣٨م ، بانها ((دراسة علاقة العلامات بمؤوليها ومستعمليها)).[١٥]

ولم يقف مفهوم (التداولية) عندما قاله (موريس) ، وإنما تعددت التعريفات واختلفت ، وقد سعت الى تدقيق مفهوم التداولية ووظيفتها وموقعها من العلوم والمعارف عامة واللسانيات خاصة وهذا يعني أن هناك تداوليات متعددة ، والنظرة الجديدة للتداولية ((تقتضي فحص العلاقة الوجاهية بين التداولية والمعجم ، والتداولية والتركيب ، والتداولية والصواتة التطريزية (تنغيم ، نبر) والتداولية وقضايا الاكتساب اللغوي ،

---

[١٥] ينظر التداوليات علم استعمال اللغة ص٢ .

والتداولية واللسانيات الحاسوبية ، وهذا ما يجعلنا أمام تداوليات بصيغة الجمع ، لا أمام تداولية واحدة)).[١٦]

نشأت التداولية في حضن فلسفة اللغة وهي محاولة ((للاجابة عن اسئلة من قبيل :

ـ ماذا تفعل حين تتكلم ؟

ـ ماذا تقول بالضبط ؟

ـ ولماذا تطلب من جارنا على المائدة ما إذا كان في استطاعته أن يناولنا الملح مع أن ذلك يبدو بامكانه ؟

ـ من يتكلم إذن ؟ ولمن ؟ ومع من ؟ ولأجل ماذا ؟

ـ من تظنني أكون حتى تكلمني هكذا ؟

ـ ما تجب معرفته لرفع الايهام ؟

ـ ما هو الوعد ؟

ـ كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله ؟

ـ هل يمكن أن نقتصر على المعنى الحرفي لقضية ما ؟

ـ ما هي استعمالات اللغة الى أي حد يكون الواقع الانساني محددا بكفايته اللغوية ؟)) .[١٧]

فالتداولية ـ إذن ـ علم استعمال اللغة ، وفي ضوء هذا المفهوم جاءت البحوث متحدثة عن التداولية وعلاقتها بالدراسات النحوية واللغوية

---

[١٦] المصدر نفسه ص٤ .

[١٧] المصدر نفسه ص١٧ .

والبلاغية والنقدية ، وفي الكتاب فصول عن علاقة التداولية بالدراسات العربية القديمة ، وهي :

١ــ مفهوم البراغماتية ونظرية المقام في المقولات المعرفية ولدى علماء العربية لمنال النجار .

٢ــ نظرية الكم الخطابي في البلاغة العربية لبنعيسى أزاييط .

٣ــ الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتدوليات الحديثة لاحمد المتوكل .

٤ــ الأفعال غير الواجبة في كتاب سيبويه (الأمر – النهي نموذجا) لنعيمة الزهري .

٥ــ الانشاء وأساليبه بين (ألفية ابن مالك) والنحو الوظيفي لنعيمة الزهري .

٦ــ المقولات البلاغية – دراسة مقامية براغماتية لمنال النجار .

وهذه البحوث تؤكد أن العرب القدامى لم يكونوا على جهل بما يبحث الآن ، وما يقال عن التداولية الحديثة .

(٤)

إن أساس التداولية هو استعمال اللغة للتعبير عن المعاني والأفكار والمقاصد ، وهي ــ كما قال القدماء – ((مطابقة الكلام لمقتضى الحال)) أي أن لكل مقام مقالا ، والحالات والمقامات كثيرة ، وقد عرف العرب القدامى هذا ، وأشار (الحطيئة) في قوله لعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ الى ذلك :

تحننْ عليَّ هداك المليك　　　فان لكل مقام مقــــالا

وانتبه الى ذلك النحاة واللغويون ، فالخليل بن احمد يومئ الى ما يفيد ، وينقل عنه (سيبويه) في باب (عدة ما يكون عليه الكلم) ، ويقول : ((وأما (قد) فجواب لقوله (لما يفعل) فتقول : قد فعل)) ، وزعم (الخليل) أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر .

ودعا (الجاحظ) الى مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وكرر ذلك في كتبه ، ونقل قولهم : ((من علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا ، وتلك الحال له وفقا ... ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم)) ونقل من صحيفة (بشر بن المعتمر) قوله : ((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات)) وقال : ((لكل مقام مقال ، ولكل صناعة شكل)) . وأقرب أقواله في هذا الباب قوله : ((لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء ، فالسخيف للسخيف ، والجزل للجزل ، والإفصاح في موضع الإفصاح ، والكناية في موضع الكناية ، والاسترسال في موضع الاسترسال ، واذا كان موضع الحديث على انه مضحك ومُلهٍ وداخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الإعراب انقلب من جهته ، وإن كان في لفظه سخف وأبدلت السخافة بالجزالة ، والحديث الذي وضع على أن يَسرّ النفوس يُكربها ويأخذ باكظامها)) ؛ وقال : ((وقد اصاب كل صواب من قال : ((لكل مقام مقال)) .

وربط البلاغيون حسن الكلام وقبحه بانطباقه على مقتضى الحال وغيره ، فقال (السكاكي) : ((إن مدار حسن الكلام وقبحه على انطباق تركيبه على مقتضى الحال ، وعلى لا انطباقه)) .

وعرّفوا البلاغة بأنها ((مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)) ومقتضى الحال مختلف ، فان مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي .

وانتهى (الخطيب القزويني) الى أن ((ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب ، وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم)) .[١٨]

وتحدثت كتب التفسير والأصول والبلاغة والنقد عن الألفاظ والمعاني واستعمالها طبقا للموضوع ، لأن لكل لون من الكلام ألفاظه ومعانيه وأسلوبه الذي يعرض فيه ، وله حالات ومقامات مختلفة ، واللغة هي التي تؤدي الخطاب وأنواعه ، وهذا واضح في كلام العرب ، وفيما وصف به من أوصاف تدل على إدراكهم العلاقة بين اللغة وما يُراد من خطاب معين ، وإن لم يذكروا بالتفصيل ذلك ، ومنه قولهم : ((للشعراء

---

[١٨] ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص٦٢٧ ، وتنظر ص٦٤٢ ومعجم مصطلحات النقد العربي القديم ص٣٩٧ .

ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة ، لاينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها ، كما أن الكتاب اصطلحوا على ألفاظ باعيانها سموها (الكتابية) لا يتجاوزونها الى سواها إلا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في الندرة وعلى سبيل الخطرة ، كما فعل الأعشى قديما ، وأبو نواس حديثا فلا بأس بذلك)) .[١٩]

وقولهم : ((أول ما يحتاج اليه الشاعر بعد الجد الذي هو الغاية ، وفيه وحده الكفاية ، حسن التأتي والسياسة ، وعلم مقاصد القول ، فان نسب ذل وخضع ، وإن مدح أطرى وأسمع ، وإن هجا أقل وأوجع ، وإن فخر خبَّ ووضع ، وإن عاتب خفض ورفع ، وإن استعطف حنَّ ورجَّع ، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا ما كان ليدخل اليه من بابه ، ويداخله في ثيابه ، فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس ، وبه تفاضلوا . وقد قيل : لكل مقام مقال ، وشعر الشاعر لنفسه وفي مراده وأمور ذاته من مزح وهزل ومكاتبة ومجون وخمرية – وما أشبه ذلك – غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين ... وشعره للأمير والقائد غير شعره للوزير والكاتب ، ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الأنواع)) .[٢٠]

---

[١٩] العمدة ج١ ص٢٨ لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني كتاب (الألفاظ الكتابية) .

[٢٠] العمدة ج١ ص١٩٩ .

ومن ذلك ما ذكروا من نعوت المعاني الدالة عليها الشعر ، والفروق في أغراضه وصنوفه من حيث الألفاظ والمعاني والمقاصد[٢١] ، وما ذكروه في وصف النثر ، وما ينبغي أن تكون عليه صنوفه كالخطابة ، ، والترسل ، والجدل ، والحديث ، ومراتب القول ، ومراتب المستمعين .[٢٢]

لا يبعد ما قاله القدماء عن (التداولية) وقد أقر بعض الباحثين بذلك وقال إنها لم تغب عن القدماء ، وإن للعرب كلاما في التخاطب وقواعده ، وإنهم تحدثوا عن القصد ، وبعض أنواع الاتجاهات (الاستراتيجيات) كالتوجيهية والتلميحية والاقناع .[٢٣]

وربطت (منال النجار) الصلة بين (التداولية) و (المقام) الذي قرأه العرب بلاغيا ونحويا وأدبيا ونقديا ، وساعد في تطوير التراث ، وإن لم يقرأ (براغماتيا) لأنه لا علماء العرب القدامى ولا القارئ كانوا يمتلكون هذا البعد البراغماتي ومقصديته ، وإذا ما قرأناه (براغماتيا) سنرى أن علماء العربية أدركوا بعض قوانين البرغماتية وأُسسها . والبلاغة العربية الى حد ما هي البراغماتية ، والسياق هو المقام ، وعلى نظرية البلاغة تنهض البراغماتية ، والبلاغة بحسب تعبير (ليتش) تداولية في صميمها ، إذ هي ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير والتأثر المتبادلين

---

[٢١] ينظر نقد الشعر ص٦١ ، العمدة ج٢ ص١٣ .

[٢٢] ينظر البرهان في وجوه البيان ص١٩١ .

[٢٣] ينظر استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية ص٣٤ ، ٩٢ ، ٢٠١ ، ٣٣٠ ، ٣٧٤ ، ٤٤٧ .

بينهما ، فالبلاغة والتداولية البراغماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي ، ولو اطلع الغرب على النظرية البلاغية العربية لكانت البراغماتية على غير ما هي عليه اليوم ولا احتاجت الى سنوات أقل حتى تصل الى ما وصلت اليه الآن)) .[٢٤]

فالتداولية ((علم استعمال اللغة)) وليست منهجا كما ذهب اليه بعض الباحثين ، لأن المنهج (Method) وصول الى ((وسيلة محددة توصل الى غاية معينة ، والمنهج العلمي خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول الى كشف حقيقة ، أو البرهنة عليها)).[٢٥]

فليست التداولية – إذن – منهجا وإنما هي استعمال لغوي ، وقد جاءت ردا على الاتجاهات التي درست اللغة من أجل اللغة ، لا لأنها وسيلة التعبير عن المعاني والمقاصد نطقا أو كتابة ، ومن أوضح مهماتها :

١ـ استعمال اللغة وتداولها بين الناس .
٢ـ استعمال اللغة للتعبير عن المعنى وصياغة الخطاب بأسلوب واحد .
٣ـ استعمال اللغة للتعبير عن المعنى وصياغة الخطاب بأساليب متعددة لاكثر من منشئ .
٤ـ استعمال اللغة للتعبير عن المعنى وصياغة الخطاب بأساليب متعددة لمنشئ واحد .

---

[٢٤] ينظر التداوليات علم استعمال اللغة ص٦٣ ، ٧٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٩ ، ٥٩٧ ، وينظر بحث الاستلزام التخاطبي عند السكاكي في ص٢٩٦ .

[٢٥] المعجم العربي الأساسي (نهج) ، وينظر البحث الأدبي ومنهجه ص٩ .

وهذا المنحى أقرب الى مفهوم التداولية الحديثة التي لم تبتعد في الأسس العامة عما قاله العرب القدامى عن ((مطابقة الكلام لمقتضى الحال)) وهذا أسهل من تعقيد التعريفات ، واختلاف الآراء وغموض الكلام ، والتمسك بما لا يخدم اللغة ويقرب الكلام الى الأذهان .

(٥)

وصفوة القول : إن التداولية ليست منهجا ، وإنما هي استعمال اللغة للتعبير بالوسائل المختلفة ، وهي كثيرة في اللغة العربية ، فقد يقع الاختلاف بين شاعر وشاعر في اختيار ما يحقق هدفه ، فالحرب مثلا تعددت أوصافها وما تجر على العالم من مآسٍ وخراب ، وقال فيها (زهير بن أبي سلمى) :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم	وما هو عنها بالحديث المرجمِ
متى تبعثوها ، تبعثوها ذميمة	وتَضْرَ إذا ضريتموها فتضرمِ
فتعرككم عرك الرحى بثفالهـــا	وتلقَــح كِشافا ثـــم تنتج فتتئــمِ

الحرب دمار فاذا ما ثارت فانها لا تبقي ولا تذر كالنار الملتهبة تحرق كل ما تأتي عليه ، وهي ليست ضربا بالسيف أو طعنا بالرمح وإنما هي رحى تحيل الأجسام فتاتا كما تحيل القمح طحينا يتساقط على الخرقة أو الجلدة التي تبسط تحت (الرحى) ليتساقط عليها الطحين ، وهذه الصورة من ابشع ماتخلفه الحرب ، ويشتد خرابها ويزيد حين تستمر .
وخاض محمود سامي البارودي الحرب ووصفها باسلوب آخر :

ولما تدانى القوم واشتبك القنـــا	ودارت كما تهوى على قطبها الحرب

وزين للناس الفِرار من الـــردى وماجت صدور الخيل والتهب الضرب
ودارت بنا الأرض الفضاء كأننا سقينا بكـــأس لايفيق لهــــا شـــرب

هذا وصف خارجي للحرب ليس فيه فضاعة وصف زهير للحرب ، ولعل ماقاله في النونية أعمق وصفا :

أخذ الكرى بمعاقــد الأجفــان وهفا السرى بأعنة الفرســانِ
والليل منشور الذوائب ضارب فوق المتالع والربى بجــرانِ
لاتستبين العيــن في ظلمائــه إلا اشتعـــال أسنة المـــــرانِ
تسري به مابين لجـــة فتنـــة تسمو غواربها على الطوفانِ
ملأوا الفضاء فما يبين لناظر غير التماع البيض والخرصانِ
فالبر أكدر والسماء مريضة والبحر أشكل والرماح دورانِ
والخيل واقفة على أرسانهــا لطراد يوم كريهة ورهـــــانِ
وضعوا السلاح الى الصباح وأقبلوا يتكلمـــون بألســن النيــرانِ
حتى إذا ماالصبح أسفروا رتمت عيناي بين ربى وبين مجـــانِ
فاذا الجبال أسنة وإذا الوهــا د أعنة والمـــاء أحمر قـــانِ

لاتخرج الألفاظ والمعاني والصور في هذا الوصف عما ألفه شـــعر الحرب القديم ، فالأسلحة تلمع كالنجوم وكالنيران في الظلم ، ولايرى الناظر إلا التماع السيوف وماطرأ على مظاهر الطبيعة من تغير ، وحين انجلى الليل وأسفر الصباح كانت الجبال أسنة ، والوهاد خيلا ، والماء أحمر لكثرة الدماء التي خلفتها الحرب .

وتختلف قصائد الحرب الحديثة عن القديمة في أساليبها وصورها :

تزَحف أيلول ، يدب ، يجرِ سحاب
تتلبده الآفاق ليكتم كل الأنفاس
وكانت شمس خريف يقرع آخر أبواب الصيف
يلم بقاياه ، يرحِلها
كانت شمس خريف تزّاول
تتسل خلال الأغصان إذا انفرجت للريح
وكانت (صافرة الانذار) تمدّ بقامتها ، تطاول
فوق شتات نخيل ومآذن
لتطل على الناس ، تحذرهم
كانت تتهدج وسط زحام الغادين
تضيع كأنّ الأبواب إذاسمعتها تتفتح
أو تتشق الحيطان
فتلفظ أهليها طُوفان يتدافع في الطرقات
وفي الساحات
وتبقى (صافرة الانذار) تمد بقامتها
فتضيع ، وكل الشرفات
إذا سمعتها شالت ، راحت ترفع أهليها ينشدّون
الى الأفق المشحون
يمدون الأبصار الى لهب يتصيد طائرة
تتوهج ، تخبو ، تهوي

تبلعها الأرض كما اهتزت شمس في آخر رمق

لحظات ثم تلقفها كهف الليل

وتمتد سحابات دخان

وتروح تضج الطرقات

تضج الساحات والشرفات

تصير أغاريد نساء وأكفا

تنشدّ الى كل جهات الأرض

تلوّح للهب المشبوب

تصيد طائرة وتصير الشرفات وجوها

يسكنها فرح يمحو كل مسافات العمر

تظل الأفراح ترش دربي

هذا تصوير رائع لغارات الطائرات المعادية ، ووصف بارع للمضادات الجوية التي تحيل الحديد نارا ملتهبة تلمع في السماء ، ثم تخبو وتهوي تاركة وراءها الرماد.

(٦)

هذا مشهد من مشاهد الحرب عبر الشعراء عنه بأساليبهم وبما يقتضيه المقام ، وهناك مشاهد عن الاعتزاز بالأمة والأجداد ، والحنين الى ماضيها المجيد ، وكان لقاء إسبانية مثار نظم القصائد المعبرة عن أمجاد العرب ، فالشاعر (عمر ابو ريشة) كان سنة ١٩٥٣م في رحلة الى (شيلي) وكانت تجلس الى جانبه في الطائرة اسبانية تتحدث عن أمجاد أجدادها العرب من دون أن تعرف أن الشاعر (عمر) عربي :

وثبتْ تستقرب النجم مجالا وتهادت تسحب الذيل اختيالا
وحيالي غادة تلعب فـــي شعرها المائج غنجا ودلالا

وتجاذبا الحديث :

قلت: ياحسناء منْ أنت ومنْ أي دوْح أفرع الغصن وطالا
فرنت شامخـــةً أحسبهـــــا فوق أنساب البرايا تتعالـــى
وأجابت أنا مـــــن (أندلس) جنة الدنيا عبيرا وظـــــلالا
وجدودي ألمح الدهر على ذكرهم يطوي جناحيه جلالا
بُوركت صحراؤهم كم زخرت بالمروءات رياحا ورمـــــالا
حملوا الشرق سناء وســـنى وتخطوا ملعب الغرب نضالا
فنما المجد على آثارهـــــم وتحدَّى بعدما زالوا الـــزوالا
هؤلاء الصيد قومي فانتسب إن تجد أكرم من قومي رجالا

لفَّ الصمتُ الشاعر ، وأطرق قلبه وغامت عيناه برؤاها ولم يجب الفتاة :

أطرق القلب وغامت أعيني برؤاها وتجاهلت السؤالا

وفي (غرناطة) التقى (نزار قباني) سنة ١٩٦٥م حسناء :

في مدخل (الحمراء) كان لقاؤنا ماأطيبَ اللقيـــا بلا ميعـــــادِ
عينان سوداوان في حجريهمـــا تتوالد الأبعـــاد من أبعـــادِ
هل أنت إسبانيـــة ؟ ساءلتهـــا قالت : وفي (غرناطة) ميلادي
(غرناطة) وصحتْ قرون سبعةٌ في تينك العينين بعد رقـــاد
وأمية راياتها مرفوعـــــــةٌ وجيادها موصولةٌ بجيــــــاد
ما أغربَ التأريخ كيف أعادني لحفيدة سمراء من أحفادي ؟

أثارت الفتاة ذكريات عبرت أُفق خيال (نزار) وصَحَتْ (دمشق) ليرى أن وجه الفتاة دمشقي تراءت خلاله ((أجفان بلقيس وسعاد)) وذكرته بمنزله القديم في دمشق الشام ، وعرفت الفتاة أنه من هذه المدينة الخالدة ، وسألته :

و(دمشق) أين تكون ؟ قلت : ترينها   في شعرك المنساب نِهر سوادِ

في وجهك العربّي ، في الثغر الذي   مازال مختزنا شموسَ بـلادي

في طيب (جنات العريف) ومائهـا   في الفل ، في الريحان ، في الكبّادِ

مشى خلفها ووراءه تأريخ العرب يكاد يسمع نبض الزخرفات ، ونداء الزركشات الى السقوف .

وتفخر الفتاة بأصلها العربي :

قالت : هنا (الحمراء) زهو جدودنا   فاقرأ على جدرانها أمجادي

وهنا أدركه الأسى ، وقال مستغربا :

أمجادها ؟ ومسحتُ جرحا نازفـا   ومسحتُ جرحا ثانيا بفؤادي

ياليت وارثتـي الجميلـة أدركت   أنَّ الذين عنتهـمُ أجـدادي

عانقـت فيهـا عندما ودعتهـا   رجلا يسمى (طارق بن زياد)

وعالج الموضوع نفسه سنة ١٩٧٩م (احمد السقاف) إذ دخل ناديا في (مدريد) واستقبلته إحدى العاملات فيه بقولها : ((أهلا وسهلا)) ولم يعرفها ولكن محياها أثار في نفسه أمجاد العرب في (الأندلس) فانطلق يغني مزدهيا بأمته وماضيها العاطر ، ويتخذ من جمال هذه الفتاة سبيلا للتعبير عما يحس به من زهو واعتزاز ، أليست (بنت مدريد) حفيدة اولئك القوم الذين شادوا حضارة عربية في الغرب ، وأعلوا

مكانة الاسلام في (أوربة) ؟ لقد توحد الدم العربيّ والإسباني ، فكانت هذه الحسناء التي تُذكّر بالماضي التليد حفيدة أولئك الأجداد :

جمع الله بين عُرْب وإسـبا ن ، فكان الجمال أشهى وأحلى

لا تقولي : عهد قديم تقضى إنه في العيـون مازال يتأـــى

ويهفو (السقاف) الى الفتاة :

يشعر القلب بالتلاقي وإن لم تمنحيه يا ربةَ الحسن وصلا

ويصد الظنون حين تصدين ويُغفى على اللذاذات طفلا

إنه القلب لا يقاوم حسنا وعيونا تبارك الله نجلا

يتنزّى إمّا تذكر عهدا كان للمجد والمفاخر ظلا

ومن العدل أن تُصان أصول جمعتنا في سالفِ الدهر أهلا

عالج الشعراء الثلاثة موضوعا واحدا هو صلة الاسبان بالعرب ، واعتزازهم بالماضي التليد ، وقد تناول كل واحد الموضوع بلغته وأسلوبه وتصوره ، فأبو ريشة استعمل في مطلع قصيدته (في طائرة) ألفاظ وصف ، وحين تأمل جمال الجالسة الى جانبه سألها من أين أنتِ ؟ فأخذت تتحدث عن أجدادها العرب وتفتخر بهم :

هؤلاء الصيد قومي فانتسبْ إنْ تجد أكرمَ من قومي رجالا

وانهلّتْ دموعه ولم يستطع رد الجواب لما آلمه من نكران بعض العرب جذورهم واعتزاز الاسبانية بالعرب لأنها من حفدتهم .

ودخل (نزار) الموضوع مباشرة حين سأل الفتاة ((هل أنت إسبانية)) وأجابته بأنها من (غرناطة) وتأملها فاذا هي عربية الملامح ، وإذا بها تفصح عن جذورها العربية :

قالت : هنا (الحمراء) زهو جدودنا   فاقرأ على جدرانها أمجادي

وهنا قال الشاعر :

يا ليت وارثتي الجميلة أدركتْ   أنَّ الذين عنتهمُ أجدادي

أما (أحمد السقاف) فلم يتعمق في الكلام على العلاقة بين الدم العربي والدم الاسباني إلا بعد أن أبدى إِعجابه بمن قالت له : ((أهلا وسهلا)) :

(بنت مدريد) ما ألذَّ وأحلى   أن تقولي للضيف (أهلا وسهلا)

ما تخيرتُ (نادي الجاز) لولا   أنت فيه كبدر تِمٍ تجلّى

تقطف العين من محيــاك وردا   هو أزكى مــن الورود وأغلــى

(٧)

قد يعبر الشاعر عن موضوع واحد بعدة أساليب تطابق مقتضى الحال ، إذ تناول (نزار قباني) رثاء ولده (توفيق) و (جمال عبد الناصر) وزوجته (بلقيس) وكان لكل قصيدة لغتها ومعانيها وأُسلوبها ، ففي الثامن والعشرين من أيلول ١٩٧٠م توفي (جمال) ولم يكن الشاعر على وفاق معه دائما ، فبكاه مرَّ البكاء ، وأوقع اللوم على العرب الذين قتلوا من أراد أن يوحدهم ويقيم (دولة العرب الكبرى) :

قتلناك يا جبل الكبرياء

وآخر قنديل زيت

يضيء لنا في ليالي الشتاء

وآخر سيف من (القادسية)

قتلناك نحن بكلتا يدينا ، وقلنا المنيه

ويلومه لأنه قبل المجيء الينا ، ونحن لا نستحق ذلك فقتلناه ،

ثم يخاطبه :

أبا (خالد) ياقصيدة شعر تقال

فيخضر فيها المداد

الى أين ، يا فارس الحلم تمضى ؟

وما الشوط حين يموت الجواد

الى أين ؟ كل الأساطير ماتت

بموتك وانتحرت (شهرزاد)

أُنادي عليك أبا (خالد)

وأعرِف أني أُنادي بواد

وأعرِف أنك لن تستجيب

وأن الخوارق ليست تعاد

وفي عام ١٩٧٣م مات ولده (توفيق) فبكاه بقصيدة (الى الأمير الدمشقي توفيق قباني) أشدَّ البكاء ، وكادت القصيدة تأبى المثول ، إذ الغى موت ابنه جميع اللغات ، ولم يجد في شوارع (لندن) من يبكي عليه ليشاطره الحزن والأسى ، ويخفف عنه وقع الفاجعة :

أُواجه موتك وحدي

وأجمع كل ثيابك وحدي

وألثم قمصانك العاطرات

ورسمك فوق (جواز السفر)

وأصرخ مثل المجانين وحدي
وكل الوجوه أمامي نحاس
وكل العيون أمامي حجر
فكيف أقاوم سيف الزمان
وسيفي انكسر

ولم يصدق أن ابنه مات وهو فلذة من كبده :

أحاول أنْ لا أُصدق أن الأمير الخرافي مات
وأن الجبين المسافر بين الكواكب مات
أحاول أن لا أُصدق ، ها أنت تعبر (جسر الزمالك)
ها أنت تدخل كالرمح (نادي الجزيره)
تلقي على الأصدقاء التحيه
أحاول أن لا أُصدق عيني

ويخاطبـــه :

أتوفيـــق
لو كان للموت طفل لأدركَ ما هو موت البنين
ولو كان للموت عقل سألناه
كيف يفسر موت البلابل والياسمين ؟
ولو كان للموت قلب تردد في ذبح أولادنا الطيبين
أتوفيـــق
إن (جسور الزمالك) ترقب كل صباح خطاك
وإن الحمام الدمشقي يحمل تحت جناحيه دِفءَ هواك

فيا قرة العين كيف وجدت الحياة هناك

فهِل ستفكر في آخر الصيف حتى نراك

أتوفيــق

إني جبان أمام رثائك فارحم أباك .

واستشهدت زوجته (بلقيس) سنة ١٩٨٢م فرثاها باسلوب ينمُّ على منحاه الشعري المعروف ، والقصيدة تتداول عدة معانٍ وصور ، ولعل أوضح صورة هي الهجاء ، ويبدو ذلك من المقطع الأول :

شكرا لكم

شكرا لكم

فحبيبتي قُتلت وصار بوسعكم أن تشربوا

كأسا على قبر الشهيده

وقصيدتي اغتيلت

وهل من أُمة في الأرض إِلا نحن نغتال القصيده

ويخاطب زوجته :

قتلوك يا (بلقيس)

أَية أُمة عربية تلك التي تغتال أَصوات البلابل ؟

أين (السموأل) و (المهلهل) والغطاريف الأوائل ؟

فقبائل أكلت قبائل

سأقول يا قمري عن العرب العجائب

فهل البطولة كِذبة عربية أم مثلنا التأريخ كاذب ؟

بلقيس أيتها الأميره

هل أنت تحترقين في حرب العشيرة والعشيره ؟
حتى العيون الخضر يأكلها العرب
حتى الضفائر والخواتم والأساور والمرايا واللعب
حتى النجوم تخاف من وطني ولا أدري السبب
حتى الكواكب والمراكب والسحب
حتى الدفاتر والكتب
وجميع أشياء الجمال جميعا ضد العرب
من يوم أن نحروك يا (بلقيس) يا أحلى وطن
لا يعرِف الانسان كيف يعيش في هــذا الوطن
لايعرِف الانسان كيف يموت في هذا الوطن
سأقول في التحقيق
كيف غزالتي ماتت بسيف (أبي لهب) ؟

هذه صور هجاء عُرِف بها (نزار) وقد استعمل ما في اللغة من ألفاظ دالة عليها ، أما صور الحب والألم فلها ألفاظها التي يديرها في شعره :

(بلقيس) كانت أجمل الملكات في تأريخ (بابل)
(بلقيس) كانت أطول النخلات في أرض (العراق)
كانت إِذا تمشي ترافقها طواويس ، وتتبعها أيائل
هل يا ترى من بعد شعرك سوف ترتفع السنابل
يا (نينوى) الحمراء
يا غجريتي الشقراء

يا أَمواجَ (دجلة) تلبس في الربيع بساقها أحلى الخلاخل
يا أعظمَ الملكات يا امرأة تجسد كل أمجاد العصور السومرية
(بلقيس) ياعصفورتي الأحلى
ويا ايقونتي الأغلى

ثم يغير الخطاب :

هل تعرفون حبيبتي (بلقيس) ؟
فهي أهم ما كتبوه في كتب الغرام
كانت مزيجا رائعا بين القطيفة والرخام
كان البنفسج بين عينيها ينام ولا ينام

وتنحو معظم مقاطع القصيدة هذا المنحى ، وتأتي صور ذكراها وما في قلب الشاعر من وجع ، وكانت هي الوجع :

(بلقيس) يا وجعي ويا وجع القصيدة حين تلمسها الأنامل
الحزن يا (بلقيس) يعصر مهجتي كالبرتقاله
السيف يدخل كم خاصرتي وخاصرة العبارة
(بلقيس) يا (بلقيس) يا (بلقيس)
كل غمامة تبكي عليك فمن ترى يبكي عليا ؟
(بلقيس) كيف رحلت صامتة ولم تضعي يديك على يديَّا ؟
(بلقيس) كيف تركتنا في الريح نزحف مثل أوراق الشجر ؟
وتركتنا – نحن الثلاثة – ضائعين كريشة تحت المطر
أتراك ما فكرت بي
وأنا الذي يحتاج حبك مثل (زينب) أو عمر) ؟

وتطوف الذكريات ، ويصور كل دقيقة من دقائق حياته مع (بلقيس) الزوجة والصديقة والرفيقة :

(بلقيس) .

تذبحني التفاصيل الصغيرة في علاقتنا

وتجلدني الدقائق والثواني

فلكل دبوس صغير قصة ، ولكل عقد من عقودك قصتان

حتى ملاقط شعرك الذهبيّ تغمرني كعادتها بأمطار الحنان

ويعرش الصوت العراقي الجميل على الستائر والمقاعد والأواني

ومن المرايا تطلعين

من الخواتم تطلعين

من القصيدة تطلعين

وبعد أن بثّ كل ما يعتلج في صدره من حب وذكريات وألم ، ختم القصيدة :

نامي بحفظ الله أيتها الجميله

فالشعر بعدك مستحيل ، والأُنوثة مستحيله

ستظل أجيال من الأطفال تسأل عن صفائرك الطويله

وتظل أجيال من العشاق تقرأ عنك أيتها المعلمة الأصيله

وسيعرف الأعراب يوما أنهم قتلوا الرسوله

هذه مرثاة لا يحسنها إلا شاعر كنزار الذي جمع بين الهجاء والغزل ، وكان التعبير عن حبه متدفقا ، وكانت (بلقيس) أمله الذي يرقبه سنين عددا ، ويسأل عنها كلما هبت رياح الحب والشوق من

((العراق)) ، وفي سنة ١٩٧٩م ألقى في (بغداد) قصيدة (مواويل دمشقية الى قمر بغداد) بدأها بحبه (بلقيس) التي أيقظته :

أيقظتني (بلقيس) في زرقة الفجر	وغنتْ من (العراق) مقاما
أرسلتْ شَعرها كنهر (ديالى)	أرأيتم شَعرا يقول كلاما ؟
كان في صوتها (الرصافة) و (الكرخ)	وشمس وحنطة وخُزامى
قبل عصر التوحيد نحن اتحدنا	وجعلنا (راوا) دمشق الشآما
أخـذوا الحـب والصبابـة عنـا	ونسوا أننا اخترعنا الغراما

لقد عالج (نزار) موضوعا واحدا هو رثاء جمال عبد الناصر ، وابنه توفيق وزوجته بلقيس ، وعبر في كل قصيدة بما يقتضيه المقام ، فجاءت القصائد الثلاثة حافلة بالحب والألم والذكريات .

(٨)

هذه أمثلة توضح أنّ المعنى الواحد يُعبر عنه بعدة أساليب ، وهو ما وقف عليه العرب القدامى حين عَرّفُوا (البيان) بانه ((علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه))[٢٦] .

---

[٢٦] الايضاح ص٢١٢ .

المصـــادر :

١ـ استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – الدكتور عبد الهادي بن ظافر الشهري بنغازي – ليبيا ٢٠٠٤م .

٢ـ الايضاح – الخطيب القزويني – القاهرة .

٣ـ البحث الأدبي ومنهجه – نوري شاكر الآلوسي – بغداد ١٩٨٤م .

٤ـ بحوث مصطلحية – الدكتور احمد مطلوب – بغداد ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

٥ـ البرهان في وجوه البيان – ابن وهب الكاتب – تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي – بيروت ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

٦ـ التداوليات علم استعمال اللغة – اعداد الدكتور حافظ اسماعيلي علوي – اربد – الاردن ٢٠١١هـ .

٧ـ جدلية الخفاء والتجلي – الدكتور كمال أبو ديب – بيروت ١٩٧٩م .

٨ـ جمرة النص الشعري – الدكتور عز الدين المناصرة – عمان ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

٩ـ صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني الطبعة السادسة – المانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

١٠ـ العمدة – ابن رشيق القيرواني – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – الطبعة الثانية – القاهرة ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م .

١١ـ قاموس اللسانيات – الدكتور عبد السلام المسدي – بيروت ١٩٨٤م .

١٢ـ الكليات – أبو البقاء الكفوي – تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري – الطبعة الثانية – بيروت ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
١٣ـ لسان العرب – ابن منظور .
١٤ـ مجلة الأقلام – بغداد – العدد الأول – السنة (٤٧) – كانون الثاني – شباط ٢٠١٢م .
١٥ـ المصطلحات الأدبية الحديثة – الدكتور محمد عناني – بيروت ١٩٩٦م .
١٦ـ المعجم العربي الأساسي – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
١٧ـ معجم مصطلحات الأدب – مجدي وهبة – بيروت ١٩٧٤م .
١٨ـ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة – الدكتور سعيد علوش ـ بيروت ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
١٩ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها – الدكتور احمد مطلوب – الطبعة الثانية – بيروت ١٩٩٦م .
٢٠ـ معجم مصطلحات النقد العربي القديم – الدكتور احمد مطلوب – بيروت ٢٠٠١م .
٢١ـ معجم مقاييس اللغة – احمد بن فارس .
٢٢ـ المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
٢٣ـ مفاهيم نقدية – رينيه ويلك – ترجمة الدكتور محمد عصفور (عالم المعرفة ١١٠) – الكويت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٢٤ـ المنهل (فرنسي عربي) الدكتور جبور عبد النور والدكتور سهيل ادريس .

٢٥ـ المورد – (انكليزي – عربي) – منير البعلبكي .
٢٦ـ المورد (عربي انكليزي) الدكتور روحي البعلبكي .
٢٧ـ نقد الشعر – قدامة بن جعفر – تحقيق كمال مصطفى – القاهرة ١٩٦٣م .
٢٨ـ النهاية في غريب الحديث والأثر – أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير – تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي – القاهرة ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م .

التعليم التقني وبناء مهارات العمل

الدكتور داخل حسن جريو

عضو المجمع العلمي

الملخص :

برغم الأهمية الواضحة للتعليم التقني ، إلاّ أنه لم يلق بعد الاهتمام الكافي ، الاهتمام الذي يتجسد برسم السياسات التعليمية الواضحة في مراحل التعليم المختلفة التي تحدد دورا واضحا للتعليم التقني في إطار إستراتيجية وطنية شاملة ، تنبثق عنها خطط علمية وبرامج تنفيذية للنهوض بقطاع التعليم التقني من منطلق دوره المحوري الأساسي في المنظومة التعليمية لإمتلاك ناصية العلم وحلقات التقنية المتطورة ، و لردم فجوة التخلف الآخذة بالأتساع عاما بعد آخر بيننا وبين الدول الأخرى ، خلافا لما قد يعتقد بعضهم ويراه من مظاهر رفاهية واضحة لقطاعات واسعة من السكان بفضل توظيف التقنية الحديثة التي هي بمجملها منتجات تقنية مستوردة ، في الوقت الذي يفترض أن تكون فيه منتجات تقنية مستوطنة . تسلط هذه الدراسة الضوء على منظومة التعليم التقني ودورها بتكوين رأس المال البشري وتراكمه الذي يعتبر من ركائز التنمية البشرية المستدامة ، والإسهام ببرامج التنمية الوطنية الشاملة بفاعلية واقتدار عال ، وترابطها بحقل العمل للإسهام بتأهيل خريجيها وبناء مهارات العمل لممارسة مهنة من المهن التي يحتاج سوق العمل .

المقدمـــة :

اعتمد التعليم التقني والتدريب المهني في بداياته الأولى على الجهد الفردي حتى حلول الثورة الصناعية ، إذ أنشأت مراكز متخصصة للتدريب المهني لأول مرة في الدول الأسكندنافية عام ١٨٦٦، وبعدها في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٨٠ . دفعت حاجة الولايات المتحدة الأمريكية إلى الفنيين والتقنيين في الحربين العالمية الأولى والثانية إلى إنشاء المزيد من مراكز التدريب المهنية لسدِ حاجة الجيش الأمريكي.وتسهم حاليا الكثير من منظمات العمل بإنشاء الكثير من مراكز التدريب المهني لتأهيل مواطنيها لممارسة مهنة من المهن . ونظرا لازدياد حاجة سوق العمل للكثير من المهن التي باتت تعتمد المعرفة التقنية أكثر فأكثر،لذا اهتمت الدول المختلفة ببرامج التعليم التقني والتدريب المهني ، إذ أصبح التدريب المهني جزءً أساسيا من منظومة التعليم في ألمانيا والنمسا وفنلندة وسويسرا وبريطانيا وغيرها من الدول الصناعية ، ففي ألمانيا مثلا شرع قانون في العام ١٩٦٩ لتنظيم برامج التدريب المهني وتحديد مسؤوليات الحكومة وغرفة التجارة والصناعة بتهيئة متطلبات هذه البرامج ومستلزماتها . تشير بعض الإحصاءات إلى أن ثلثي الشباب الألمان دون سن الثانية والعشرين قد انخرطوا بهذه البرامج ، وأن نسبة (٧٨٪) منهم قد أكملوها بنجاح .

ولا يختلف الحال كثيرا في العراق إذ دعت الحاجة عند تأسيس دولته الحديثة إلى تهيئة ملاكات مهنية وتقنية ، فقد أنشأت وزارة الصحة أول مدرسة للموظفين الصحيين في بغداد عام ١٩٣٠، تحولت بعد ذلك إلى معهد الصحة العالي في عام ١٩٦٢، وتأسس بعد ذلك معهد المراقبين

الصحيين ، وفي عام ١٩٦٤ تأسس معهد مساعدي الصيادلة ، وربط المعهدين إداريا بمعهد الصحة العالي ، وفي عام ١٩٦٧ تم توحيد هذه المعاهد بمعهد واحد باسم "معهد المهن الصحية" ، وأنشأت معاهد مماثلة في المحافظات الأخرى ، ربطت جميعها بمؤسسة واحدة باسم الهيئة العامة للتعليم والتدريب الصحي .

أنشأت وزارة النفط معهد النفط في مدينة كركوك عام ١٩٥١ لإعداد ملاكات تقنية في ثمانية تخصصات نفطية ، وأنشئ معهد نفطي آخر في بغداد عام ١٩٧٠، ليرتبطا عام ١٩٧٢ بمنشأة واحدة باسم "المنشأة العامة للتدريب النفطي" ، ومعهدا ثالثا في البصرة عام ١٩٩٤. وأنشأت وزارة المواصلات معهد الطيران المدني في بغداد عام ١٩٥٩، ومركز التدريب للاتصالات السلكية واللاسلكية عام ١٩٦٣. وأنشأت وزارة الصناعة عام ١٩٧٨ المركز التدريبي للصناعات الكيميائية والميكانيكية والتعدين الذي تحول فيما بعد إلى معهد الصناعة .

وفي أواخر عقد الخمسينات من القرن المنصرم أنشئت في بغداد معاهد العلوم الإدارية واللغات والمساحة والهندسة الصناعية التي ارتبطت جميعها بجامعة بغداد عند تأسيسها عام ١٩٥٧. وفي العام ١٩٦٩ توحدت هذه المعاهد في مؤسسة واحدة باسم "مؤسسة المعاهد الفنية" مع بقاء ارتباطها بجامعة بغداد، لترتبط لاحقا بوزارة التعليم العالي عند تأسيسها عام ١٩٧٠. استحدث المعهد الصناعي العالي عام ١٩٦١ ليتطور فيما بعد إلى كلية الهندسة الصناعية ومن ثم إلى كلية الصناعة عام ١٩٦٩ التي

ألحقت بجامعة بغداد ، ثم أعادة تسميتها بكلية الهندسة التكنولوجية ، بعدها تحولت إلى الجامعة التكنولوجية عام ١٩٧٥.

وفي عام ١٩٧٦ صدر قانون خاص بمؤسسة المعاهد الفنية ، حدد أهدافها وإختصاصاتها وصلاحياتها ، وفي العام ١٩٨٨ ألحقت بالمؤسسة معاهد المهن الصحية العائدة لوزارة الصحة البالغ عددها (١٤) معهدا ، التي تغيرت تسميتها إلى " هيئة المعاهد الفنية ". وشهد العام ١٩٨٥ توسعا باستحداث المعاهد المتعددة التقنيات في جميع المحافظات . وفي العام ١٩٩٣ استحدثت الكليات التقنية التي تمنح شهادة البكالوريوس ، مما استلزم استبدال تسمية هيئة المعاهد الفنية بتسمية "هيئة التعليم التقني" في العام ٢٠٠١ .

قطع التعليم التقني شوطا مهما منذ بداياته الأولى حيث شهد توسعا كميا ونوعيا ، فعلى صعيد الكم أصبح عدد المعاهد الفنية حاليا في العراق (باستثناء منطقة كردستان) (٢٨) معهدا لمنح شهادة الدبلوم التقني ، ويبلغ عدد تخصصاتها (٦٧) تخصصا بواقع (٢٨) تخصصا هندسيا و(١٥) تخصصا صحيا وطبيا و(١٢) تخصصا إداريا و(٧) تخصصات زراعية و(٥) تخصصات في الفنون التطبيقية. ويبلغ عدد الكليات التقنية (١٦) كلية تقنية ، وعدد تخصصاتها (٣٨) تخصصا بواقع (٢٠) تخصصا هندسيا و(٧) تخصصات طبية وإدارية و(٤) تخصصات زراعية و(٥) تخصصات إدارية و(٢) تخصصين في الفنون التطبيقية ، وتمنح بعض هذه الكليات شهادات الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه .

أهداف التعليم التقني :

يهدف التعليم التقني إلى إعداد ملاكات تقنية ومهنية قادرة على تشغيل وصيانة الأجهزة والمعدات وإدارة منظومات العمل المختلفة كحلقة وصل بين الاختصاصيين المهنيين والقوى العاملة الماهرة . يستهدف هذا النمط من التعليم عادة الطلبة الذين أنهوا مرحلة الدراسة الثانوية، أو من خريجي المدارس المهنية (بعد تجسير دراستهم) ضمن الفئة العمرية (١٨) سنة فأكثر . تستغرق مدة الدراسة عادة في المعاهد التقنية سنتان ، يمنح بعدها الخريج شهادة الدبلوم التقني بإحدى التخصصات التقنية . وتسعى المعاهد التقنية إلى ربط التعليم التقني بحاجات سوق العمل وقطاعات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، ومواكبة التطورات العلمية والتقنية الحديثة في مختلف التخصصات . ومع التطور التقني في العالم ودخول التقنيات المتقدمة معظم المهن ، إضافة إلى زيادة كلف التقنيات وتنوعها ، برزت الحاجة إلى مستوى متقدم من التقنيين المؤهلين تأهيلا متقدما وذوي خلفية علمية رصينة في تخصصات تقنية ذات أهمية خاصة في التنمية. لذا دعت الحاجة إلى استحداث دراسات تقنية لا تقل مدة الدراسة فيها عن أربع سنوات دراسية بعد الدراسة الثانوية ، أو سنتان بعد شهادة الدبلوم التقني ، يمنح بعدها الخريج شهادة البكالوريوس التقني . تتميز هذه الشهادة بالطابع العملي والتطبيقي مع المحافظة على خلفية نظرية رصينة ، وتشكل الساعات العملية والتطبيقية ما نسبته(٦٠٪) من إجمالي ساعات الدراسة . تهدف الكليات التقنية تحقيق آلاتي :

١ ـ إعداد ملاكات تقنية متقدمة ومؤهلة علميا " وعمليا" وقادرة على التعامل مع التقنيات الحديثة وممارسة العمل فور تخرجها لاطلاعها على بيئة العمل .

٢ ـ استكمال البناء العمودي للتخصصات التقنية لمواكبة التطور الكبير في التقنيات الحديثة.

٣ ـ فتح آفاق جديدة لخريجي المعاهد التقنية ،بهدف زيادة الرغبة والإقبال على التعليم التقني وتحفيز طلبة المعاهد التقنية نحو التفوق العلمي وخلق أجواء المنافسة فيما بينهم وتخفيف حالة الاختناق في بعض الأقسام العلمية في الجامعات نتيجة للزيادة الكبيرة في أعداد الطلبة المتخرجين سنويا" من الطلبة الأوائل من خريجي المعاهد المسموح لهم الدراسة في الجامعات بنسبة ١٠٪ من مجموع خريجي المعاهد .

سمات منظومة التعليم التقني

منظومة التعليم التقني منظومة مركبة من شقين ، احدهما تعليمي يعنى بتزويد الطالب بالمعارف والعلوم التي تستند إليها التقنية ، والآخر تدريبي يعنى بإكساب الطالب المهارات التي تمكنه من ترجمة هذه المعارف إلى تطبيقات عملية تسهم بحل المعضلات التي تواجهها المؤسسات ، وتطوير أداء منظومات العمل المختلفة وزيادة إنتاجيتها وتحسين منتجاتها ، وتخفيض تكاليفها، وتطوير بيئة العمل وخدمة المجتمع بصورة عملية وملموسة ، أي باختصار تحسين مجمل نواحي الحياة الإنسانية .

لذا يمكن إدراك أهمية منظومة التعليم التقني ودورها في التنمية المستدامة الشاملة ، وهذا لا يعني الإقلال من شأن منظومات التعليم الأخرى التي تعنى بإنماء المعرفة وإثرائها ونشر العلوم والمعارف المختلفة ، ذلك أن هذه العلوم والمعارف هي المحرك الأساسي للحياة بجوانبها المختلفة ، وبدونها لا يمكن ترقية الحياة الإنسانية ، إلاّ إننا أردنا هنا تأكيد أهمية التعليم التقني بوصفه أداة تحويل إبداعات العلوم وإرهاصاتها إلى نتائج مثمرة لمصلحة الجنس البشري . وربما لا يعلم بعضهم أن الإنسان قد عرف التقنية قبل العلوم ، ووظفها لتحسين حياته في العصور القديمة ، وبازدياد معرفته للعلوم تقدمت التقنية وأحسن توظيفها.

ينفرد التعليم التقني عن أنماط التعليم الأخرى بسمات معينة تميزه من أنماط التعليم الأخرى أبرزها :

١ ــ إكساب الطالب المهارات التي تؤهله لممارسة مهنة من المهن التي يحتاج اليها سوق العمل فور تخرجه .

٢ ــ الاهتمام بالجانب العملي إذ تبلغ الساعات الدراسية العملية نسبة (٧٠٪) من مجموع الساعات الدراسية مقابل نسبة(٣٠٪) للساعات النظرية ، بخلاف ما عليه الحال في الدراسات الجامعية الأكاديمية التي يغلب عليها الجانب النظري .

٣ ــ تدريب الطالب في المعامل في حقل تخصصه في أثناء دراسته بدرجة أكبر مما هو عليه الحال في الدراسات الأخرى ، وذلك لإكساب الطالب المهارات التي تمكنه حل المشكلات التقنية .

٤ ـ إكساب الطالب مهارات تقنية مستندة إلى المعارف والعلوم الحديثة في حقل تخصصه .

٥ ـ الترابط الشديد مع حقل العمل حيث تعد المؤسسات الإنتاجية شريكا قويا مع مؤسسات التعليم التقني في إعداد البرامج والمناهج الدراسية وتدريب الطلبة .

وتمتاز الكليات التقنية على وجه الخصوص بالسمات الآتية :

١ ـ سرعة الاستجابة لمتطلبات المجتمع لتوفر المرونة والقابلية على فتح تخصصات جديدة وبما يواكب متطلبات القطاع الصناعي من جهة والتطورات العلمية والتقنية من جهة أخرى .

٢ ـ يجري الجزء الأكبر من التدريسات العملية والتطبيقية خارج الكليات التقنية في المنشآت الصناعية والصحية والإنتاجية حيث تعتمد بصورة أساسية على المستلزمات العلمية والإمكانيات البشرية المتوفرة في تلك المنشآت .

٣ ـ تركز المناهج على الجانب العملي والتطبيقي مع الحفاظ على الجانب النظري كجزء أساسي وبما يكفي لخدمة التطبيق .

٤ ـ تركز الكليات التقنية على الاختصاصات الدقيقة وذلك لتوفير البناء العمودي للتخصص ومواجهة متطلبات المهنة وتطورها المستمر.

٥ ـ يعد التدريب جزءً أساسيا من الدراسة ويأخذ صيغا" متعددة مثل (التدريب على رأس العمل والتدريب التعزيزي والتدريب المتناوب مع الدراسة) .

٦ ــ تعدد مدخلات هذه الكليات اذ تقبل خريجي الدراسة الثانوية من الفرعين (العلمي والمهني) وخريجي المعاهد التقنية من الأوائل والموظفين المتميزين ، ويفضي هذا التنوع في مدخلات الكليات إلى متطلبات إضافية في المناهج الدراسية لتوحيد خط شروع تلك الفئات بما يؤمن مستوى واحدا للخريج .

٧ ــ توفر الكليات التقنية برامج واسعة لخدمة المجتمع من خلال الفعاليات الإنتاجية المتمثلة بالاستشارات والتعليم المستمر والتصنيع والعيادات الطبية..الخ .

مسارات التعليم التقني :

تتخذ منظومة التعليم التقني عادة المسارات الآتية :

أولا : مدارس ومراكز التعليم المهني للتلاميذ الذين يكملون مرحلة التعليم الابتدائي،بعدها يكملون مرحلة التعليم المهني ويحصلون عندها على شهادة مهنية في إحدى التخصصات المهنية التي تؤهلهم للعمل بعد تخرجهم بمستوى عامل ماهر .

ثانيا : المعاهد التقنية للطلبة الحاصلين على شهادة التعليم الثانوي العام ، للحصول على شهادة الدبلوم التقني بعد دراستهم لمدة سنتين في إحدى التخصصات التقنية التي يحتاج سوق العمل.

ثالثا : الكليات التقنية للطلبة الحاصلين على شهادة التعليم الثانوي العام ، للحصول على شهادة البكالوريوس التقني بعد دراسة أمدها أربع سنوات ، أو الطلبة الحاصلين على دبلوم تقني من أحد المعاهد التقنية بعد دراسة أمدها سنتان .

رابعا : الجامعة التقنية المتخصصة للطلبة الحاصلين على شهادة التعليم الثانوي العام ، للحصول على بكالوريوس تقني في إحدى التخصصات التقنية بعد دراسة مدتها أربع سنوات .

تتميز الجامعات التقنية بأنها مؤسسات علمية جامعة للعلوم التطبيقية والتقنية التي تعتمد على التطبيق العملي لهذه العلوم وتسعى إلى تمكين الخريج من استخدامها بصورة فاعلة في الحياة العملية من خلال بناء المقدرة لدى الخريج على التفكير والتصور الأمثل لإيجاد الحلول للمشكلات الإنتاجية في موقع العمل معتمدا على ما تعلمه من علوم نظرية وما اكتسبه من مهارات . لا تختلف مهمات الجامعات التقنية عن مهمات الجامعات الأخرى من حيث الشكل ، إلا إنها تختلف عنها من حيث المضمون ذلك إن الجامعات التقنية بطبيعتها التخصصية يتحتم عليها الارتباط الوثيق مع حقل العمل وتفهم حاجاته وتعرف مشكلاته لغرض إيجاد الحلول المناسبة لها .

الترابط مع حقل العمل :

لكي تؤدي مؤسسات التعليم التقني والمهني مهماتها بصورة صحيحة لابد أن ترتبط برامجها ومناهجها الدراسية بصورة أكبر بمتطلبات حقل العمل وأن تستند إلى التدريب العملي التطبيقي، وأن يتم اختيار ملاكاتها التعليمية والتدريبية من ذوي الخبرة والاختصاص ، ولا يصح الاكتفاء بمؤهلاتهم الجامعية كما هو الحال في الكليات والجامعات الصرف ، بل لابد أن يمتلكوا خبرة مهنية ميدانية في مجال تخصصهم ، وإلاّ كيف يستطيع من لا يملك الخبرة العملية المهنية الميدانية إكساب طلبته أية مهارة

لا يمتلكها هو أساسا، ففاقد الشيء لا يعطيه حتما . ولكي ترتبط مؤسسات التعليم التقني والتدريب المهني أكثر بحقل العمل نقترح الأتي :

١ ــ تسخير مختبرات المعاهد والكليات والجامعات التقنية ومعاملها ومكاتبها الاستشارية لمصلحة تلبية حاجات المؤسسات الصناعية ، وكذلك تسخير إمكانات المؤسسات الصناعية لمصلحة العملية التعليمية التقنية ، وبما لا يؤثر في سير العمل في كلتا الحالتين .

٢ ــ أنشاء وحدات إنتاجية تجريبية أو ريادية في المعاهد والكليات والجامعات التقنية بهدف تطوير الصناعة الوطنية .

٣ ــ ألاعتماد على نظام تعليمي تقني رصين ومرن في آن واحد بحيث يأخذ في الحسبان ظروف العاملين في المؤسسات الإنتاجية . ولهذا الغرض يمكن الاعتماد على نظم التعليم المتناوب والتعليم المستمر والتعليم المفتوح والتعليم الالكتروني والتعليم عن بعد والتعليم الجزئي والتعليم الموازي والتعليم بمرحلتين والتعليم المسائي وغيرها . إذ لا يمكن لنظام تعليمي جامد أن يستجيب بفاعلية لحاجات المؤسسات الصناعية .

٤ ــ وضع الخطط ورسم السياسات العلمية لتحسين أداء الفنيين والتقنيين وتأمين مواكبتهم لأخر مستجدات العلوم والتقانة ، وتطوير أساليب الإنتاج بهدف زيادة كمية المنتج وتحسين نوعيته بالاستفادة من أرقى حلقات التقنية المتقدمة ، والاعتماد على أساليب الإدارة الحديثة في الصناعة الوطنية .

٥ ــ ربط المناهج الدراسية بصورة أوثق بحاجات المؤسسات الصناعية من الفنيين والتقنيين وإعدادهم بالشكل الذي يمكن فيه الاستفادة من مؤهلاتهم بصورة مباشرة في تلك المؤسسات ، وهذا يتطلب حتما" التشاور والتنسيق المستمر بين العاملين في المعاهد والكليات والجامعات التقنية والمؤسسات الصناعية ومراجعة المناهج الدراسية بصورة دورية ومنتظمة بهدف تحديثها لتلبية هذه الحاجات ، ولتواكب التطورات التقنية من جهة أخرى .

٦ ــ العمل على تنمية القدرات الوطنية القادرة على تحديد التقنيات المناسبة لتطوير الصناعة الوطنية وخدمة المجتمع وذلك لسد حاجات السوق المحلية في المرحلة الأولى ، والدخول في منافسة المنتجات الأجنبية في الأسواق الخارجية في المرحلة الثانية ، وبذلك نضمن خلق تقنية وطنية تعتمد على الملاكات الوطنية وتستخدم الإمكانات والموارد المحلية وتستوعب التطورات التقنية العلمية لاستنباط تقنيات متقدمة .

٧ ــ تنشيط عمل المكاتب التقنية الاستشارية ودعمها بكل الوسائل الممكنة بوصفها بيوت خبرة وطنية ممتــازة .

٨ ــ تشجيع مشاركة كبار المسؤولين في المؤسسات الصناعية والإنتاجية في أعمال مجالس المعاهد والكليات والجامعات التقنية ، وكذلك مشاركة عمداء المعاهد والكليات وكبار الأساتذة في أعمال مجالس إدارة المؤسسات الصناعية والإنتاجية .

٩ ـ ايلاء التعليم التقني ما يستحقه من اهتمام ورصد المبالغ اللازمة لتحقيق أهدافه على أفضل وجه .

١٠ ـ بلورة مفهوم المعهد المنتج / الكلية المنتجة وتجسيد ذلك على صعيد الواقع باعتبار أن المعهد المنتج / الكلية المنتجة إنما يمثل صيغه تعليمية متقدمة في المؤسسات التقنية ..

فرص عمل الخريجين

يشير التقرير الصادر من مؤسسة التمويل الدولية والبنك الإسلامي للتنمية في نيسان عام ٢٠١١ بعنوان " التعليم من أجل العمل ... تحقيق إمكانات الشباب العربي " ، إلى أن نسبة البطالة في صفوف شباب منطقة الشرق الأوسط هي الأعلى بين شباب العالم، ونسبة مشاركة العرب في القوى العاملة بين أدنى مستويات المشاركة في العالم ، إذ تبلغ نحو (٣٥ ٪) مقارنة بالمعدل العالمي البالغ (٥٢ ٪) . وتقدر الخسائر الناجمة عن ذلك بين (٤٠) و(٥٠) مليار دولار سنويا .

يعزي بعضهم أسباب زيادة أعداد الباحثين عن عمل بين الشباب من خريجي المعاهد والكليات والجامعات إلى سوء نظم التعليم والتدريب ، وعدم توافق البرامج والمناهج الدراسية الجامعية وبرامج تشغيل القوى العاملة والاعتقاد السائد لدى الكثيرين أن الحصول على وظائف مرموقة مرتبط بالحصول على شهادات جامعية عليا ، مما نجم عنه عزوف عن التدريب المؤهل لممارسة مهن حرفية وفنية يحتاج اليها سوق العمل ، مما يتطلب نشر ثقافة عمل صحيحة بين فئات الشباب المختلفة وبيان مردوداتها الاقتصادية وأهميتها في استدامة التنمية .

لذا ينبغي أن تبذل المؤسسات التعليمية جهودا حثيثة للحد من الزيادات المطردة بأعداد الطلبة الذين يلتحقون بالدراسات الإنسانية والنظرية التي غالبا ما تفضي إلى تخريج ملاكات يصعب الاستفادة من مؤهلاتها في سوق العمل ، وتؤدي في الغالب إلى ما يعرف بالبطالة المقنعة أي وظائف لا يؤدي شاغليها أية أعمال منتجة ، مما يعني هدرا بالموارد المالية والبشرية على حد سواء . مما يتطلب إعادة نظر جادة وشاملة بنظم التعليم والتأهيل والبرامج والمناهج الدراسية وربطها بصورة أوثق مما هي عليه الآن بمتطلبات سوق العمل ، لإكساب الدارسين والمتدربين المهارات التي تمكنهم من حسن أدائهم لوظائفهم ومهنهم طبقا لهذه المتطلبات . وهذا يتطلب معرفة احتياجات سوق العمل من الوظائف في المهن المختلفة، لتحديد التخصصات المهنية والتقنية التي تتوافق مع تلك الاحتياجات وتجنب التخصصات الهامشية ، ودعم برامج التدريب التي تعزز قدرات المتدرب المهارية والتطبيقية،وإشراك قيادات مؤسسات قطاع العمل في لجان تطوير البرامج والمناهج الدراسية لضمان مواءمة تلك البرامج والمناهج ومتطلبات المهن التي يحتاجها سوق العمل .

نعيش اليوم في عالم سريع التغيير حيث تزداد التحديات في ضوء كثرة المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، مما دفع الكثير من الحكومات نحو الجامعات لتوفير الموارد البشرية ذات القدرات والمهارات والمعارف التي تمكنها من تلبية حاجات مجتمعاتها وتنمية قدراتها الاقتصادية ، والمنافسة بترويج منتجات بلدانها في الأسواق العالمية التي تشهد حاليا منافسة حادة بين الدول صغيرها وكبيرها على الحد السواء ، حيث لا مكان

فيها للدول ذات الإقتصادات الضعيفة . تعد الملاكات البشرية عالية التأهيل والتدريب المحرك الأساس للاقتصاد الوطني وتحقيق معدلات تنموية عالية . لذا يصبح موضوع إعداد الملاكات الوطنية تأهيلا وتدريبا في غاية الأهمية لبناء قدرات اقتصادية وطنية عالية ، وهذا يتطلب حتما اعتماد منظومات تعليم راقية وقادرة على تخريج ملاكات وطنية منتجة، يمكنها دخول سوق العمل بيسر وسهولة.ولغرض تحسين فرص تشغيل هذه الملاكات فأنه لا يكفي تزويدها بالمعلومات والمعارف العلمية في مجالات تخصصاتها فحسب ، بل يستلزم إكسابها مهارات مضافة أبرزها :

١. مهارات الاتصال والتواصل مع الآخرين .
٢. مهارات التحليل المنطقي وحل المعضلات .
٣. الثقة بالنفس واحترام الذات .
٤. المرونة والتكيف مع بيئة العمل .
٥. تقدير قيمة الزمن في الإدارة والإنتاج .
٦. الإبداع والابتكار .
٧. مهارات القيادة والقدرة على العمل بروح الفريق .
٨. التعلم الذاتي والرغبة بالتطوير المستمر .

ولاشك في أن تنمية هذه المهارات ليس بالأمر الهين ، بل يستلزم تضافر جهود المؤسسات التعليمية ومؤسسات العمل والطلبة أنفسهم من خلال الرغبة والإرادة والممارسة العملية والتأهيل والتدريب.لم تعد فرص العمل متاحة لخريجي المعاهد والكليات والجامعات كما كان عليه الحال

سابقا حيث تشير الإحصاءات إلى تزايد نسبة الباحثين عن عمل في دول العالم المختلفة لاسيما بين صفوف الشباب الفئة العمرية (١٥ – ٢٤ سنة) ، حيث وصلت هذه النسبة في المعدل الى نحو (١٢,٧ ٪) في العام ٢٠١١. ويعزى سبب زيادة نسبة الشباب الباحثين عن عمل إلى الأزمات الاقتصادية التي شهدها العالم من جهة، وإلى زيادة أعداد خريجي المعاهد والكليات والجامعات من جهة أخرى .

وبذلك تزداد مهمة المؤسسات التعليمية أكثر من ذي قبل لتعريف خريجيها بطبيعة الوظائف المناسبة لهم والعمل على تحفيزهم للالتحاق بالتخصصات التي يحتاج اليها سوق العمل وتعزيز الترابط مع أصحاب الأعمال ، مما يستلزم التنسيق المباشر مع المؤسسات الإنتاجية والخدمية المختلفة للوقوف على حاجتها من الموارد البشرية كما ونوعا ، وتأشير التخصصات الأكثر رواجا في سوق العمل ، وإشراكها في برامج تدريبية لاستكمال إعداد خريجيها من الناحية العملية بإكسابهم المهارات التطبيقية التي تؤهلهم لممارسة مهنة من المهن . وغلق الفجوة بين البيئة التعليمية وبيئة العمل .

يرى بعض الجامعيين أن اقتراب المؤسسات التعليمية من مؤسسات العمل ، قد يجعل منها مصانع لصناعة الموارد البشرية ، أكثر منها مراكز لإنماء المعرفة وإثرائها ونشرها كما كان سائدا ومعروفا عنها لقرون خلت ، لاسيما في أوساط النخب وعلية القوم في بلدان كثيرة ، الأمر الذي يرون فيه انتقاصا لهيبتها ومكانتها المجتمعية ، متجاهلين أن دورها الرائد ووظيفتها الأساسية هي تنمية مجتمعاتها بوصفها أحد أهم أدوات التنمية

وخدمة المجتمع ، مما يتطلب قيامها بإمداد مجتمعاتها بالموارد البشرية اللازمة للأعمار والبناء . ولكي تحقق المؤسسات التعليمية هذه المهمة النبيلة لابد أن تحضى بدعم حكومات ومجتمعات بلدانها بتيسير سبل عملها بجميع الوسائل المتاحة .

وثمة مسألة أخرى جديرة بالاهتمام حيث تتضارب الآراء حولها ، إذ يرى بعض الخريجين كفاءة مؤهلاتهم الدراسية لدخول سوق العمل وممارسة مهنة من المهن في مجالات تخصصهم ، وقد تؤيدهم بذلك معاهدهم وكلياتهم وجامعاتهم ، في حين يرى أرباب العمل أحيانا كثيرة عدم كفاءتها لممارسة العمل وأنهم بحاجة إلى اكتساب خبرات ومهارات عملية مضافة ، مما يتطلب انخراطهم بدورات تدريبية قد تمتد عاما أو أكثر قبل تسليمهم أي عمل ، وهذا ما نميل إليه كثيرا . وخلاصة القول أن المؤهلات الدراسية ضرورية لممارسة مهنة من المهن ، إلاّ أنها غير كافية لدخول سوق العمل وتحمل مسؤولية ممارسة المهنة ، ما لم يقترن ذلك بخبرات تدريبية في بيئة العمل لبعض الوقت تحت إشراف مدربين أكفاء من حقل العمل ، ويعد هذا التدريب جزءا أساسيا ومكملا للبرامج التعليمية الجامعية . ولغرض الاستمرار في العمل لابد أن يعد الخريج بحيث يكون قادرا على التعلم الذاتي في أثناء العمل لمواكبة مستجداته ، وأن يكون قادرا على العمل في بيئات عمل مختلفة وفي مجالات عمل مختلفة ذات صلة بتخصصه ، والتواصل مع الآخرين بسهولة . ويرى بعضهم أن جودة برامج المعاهد والكليات والجامعات ، إنما تقاس بمدى قدرتها بتأهيل خريجيها لدخول سوق العمل بيسر وسهولة ، ورضا المؤسسات التي

يعملون فيها عن أدائهم ، ومدى قدرتهم على التدرج الوظيفي في المستويات الوظيفية العليا وصولا لأعلى المراتب .

ولغرض حفز الشباب على الالتحاق بالتعليم التقني والتدريب المهني لا بد من اتخاذ إجراءات مناسبة بحسب ظروف كل بلد ، منها :

١. إشاعة ثقافة العمل المهني منذ سنوات التعليم الأولى في المدارس بحيث تكون جزءً من مفردات التعليم فكرا وممارسة .

٢. تضمين مفردات المناهج الدراسية مهارات العمل الأساسية المستندة إلى المعرفة العلمية والتقنية الحديثة .

٣. التعاون والتنسيق المباشر بين مؤسسات التعليم التقني و حقل العمل لتحديد التخصصات المهنية التي يحتاجها من منطلق الشراكة بين الجانبين .

٤. يفضل إنشاء مؤسسات التعليم التقني والتدريب المهني في مراكز التجمعات الصناعية أو بالقرب منها للإفادة من إمكاناتها التدريبية .

٥. متابعة خريجي التعليم التقني والتدريب المهني للوقوف على مدى أهليتهم في ميادين العمل ومدى رضا جهات عملهم عن أدائهم .

٦. إصدار التشريعات اللازمة لتشجيع التحاق الشباب بالتعليم التقني والتدريب المهني .

٧. أن لا يكون نظام التعليم التقني نظاما مغلقا ، بل ينبغي أن يكون نظاما تعليميا منفتحا يتيح الفرص للطلبة المتفوقين بالانتقال إلى مستويات دراسية أعلى كلما كان ذلك ممكنا .

٨. رصد التخصيصات المالية اللازمة في الموازنات التشغيلية والاستثمارية لمؤسسات التعليم التقني والتدريب المهني بما لا يقل عن الجامعات والمؤسسات الأكاديمية الأخرى ، إن لم يكن أكثر منها ، ذلك أن طبيعة التدريس فيها تتطلب الكثير من الأجهزة والمعدات العلمية ذات التكاليف المالية العالية .

المؤسسة التعليمية التقنية المنتجة :

يقصد بالمؤسسة التعليمية التقنية المنتجة قيام المؤسسة التعليمية التقنية باستثمار جميع إمكاناتها المادية منها والبشرية وتوظيفها ليس لحساب وظيفتها الأساسية المتمثلة بالتعليم وإعداد الملاكات التقنية والفنية فحسب ، بل لأداء وظيفتها الأخرى المتمثلة بخدمة المجتمع والإسهام في حل مشكلاته التقنية بإيجاد الحلول المناسبة لها ، ذلك أن المعاهد والكليات التقنية تزخر بالقدرات العلمية العالية التأهيل والرفيعة المستوى العلمي ، وقد تراكمت لديها خبرات ممتازة عبر السنين من خلال عملها الدؤوب وتفاعلها مع المؤسسات الصناعية المختلفة . لذا أصبح بالإمكان توظيف هذه القدرات لتطوير الصناعة الوطنية لاسيما الصناعات التي تتطلب تقنيات متقدمة وتطوير مستمر لتحسين النوعية وتخفيض التكلفة وذلك

لتأمين القدرة على منافسة المنتجات الأجنبية . يمكن أن تنجز المؤسسة التعليمية التقنية المنتجة المهمات الآتية :

١- تقديم الاستشارات العلمية والتقنية وإنجاز التصاميم الهندسية للمشاريع الهندسية والتقنية المختلفة والأشراف على تنفيذها من خلال مكاتبها الاستشارية .

٢- القيام بدراسات الجدوى الفنية والاقتصادية للمشاريع الصناعية والإنتاجية المختلفة .

٣- تصنيع أجهزة ومعدات علمية متطورة أو بناء منظومات صناعية على وفق مواصفات معينة ، أو إيجاد مواد محلية بديلة لمواد مستوردة أو تصنيع قطع غيار لمكائن ومعدات معقدة أو ما شابه ذلك .

٤- تقويم أداء المشاريع الإنتاجية القائمة فعلا بهدف تحسين إنتاجها بالاعتماد على أساليب الإنتاج الحديثة والإدارة الصناعية المتطورة .

٥- بناء منظومات صناعية ريادية ، أي أن تكون المؤسسة التعليمية التقنية المنتجة ميدان تجارب للصناعات الرائدة والمتطورة علميا" وتقنيا" وأن توظف بحوثها ودراساتها لهذا الغرض . وأن تمد الجسور مع المؤسسات الصناعية لتعزيز التعاون فيما بينها لاستثمار نتائج البحوث العلمية لأغراض التطور والتقدم الصناعي .

٦- إدخال التقانات المتقدمة في التخصصات المختلفة بهدف الإستفادة منها على أوسع نطاق في المؤسسات الصناعية والإنتاجية بحيث تكون

المؤسسات التعليمية التقنية المنتجة أهم مصادر استنبات التقانات المتقدمة في القطر .

٧- تدريب العاملين في المؤسسات الصناعية على أساليب الإنتاج الحديثة واطلاعهم على كل ما هو جديد ونافع في مجالات العلوم والتقانة المختلفة بهدف تطويرهم ورفع قدراتهم العلمية والتقنية .

ولكي تؤدي المؤسسة التعليمية التقنية المنتجة وظيفتها الإنتاجية على أفضل وجه ، لابد أن تراعي الأتي :

١- أن لا تتخلى عن مهماتها العلمية والتربوية وأن لا تتحول إلى مجرد مصنع من المصانع لإنتاج هذه السلعة أو تلك ، شأنها في ذلك شأن أي مصنع ، وتسودها قيم السوق من ربح وخسارة بهدف تحقيق موارد مالية أضافية حسب ، وهي إن فعلت ذلك تكون قد تخلت نهائيا" عن مكانتها الاعتبارية في المجتمع كمصدر أشعاع علمي ، وهو أمر يجب مقاومته مهما كانت الضغوط والإغراءات المالية .

٢- ولغرض تشجيع الفعاليات الإنتاجية لابد من وضع نظام حوافز وصرف مكافآت تشجيعية مجزية للقائمين بهذه الفعاليات .

٣- توسيع قاعدة المشاركين بالفعاليات الإنتاجية كلما أمكن ذلك وبما لا يؤثر في جودة المنتج ، وعد هذه الفعاليات ميدان تدريب للملاكات الحديثة التعيين .

٤- الأخذ بالحسبان نشاط المنتسبين إلى المؤسسة في الفعاليات الإنتاجية عند النظر في ترقيتهم أو ترشحيهم لمواقع أعلى أو منحهم فرص التفرغ العلمي أو المشاركة في الندوات والمؤتمرات وما شابه ذلك.

٥- العمل على توسيع الفعاليات الإنتاجية لتشمل جميع تخصصات المؤسسة التعليمية وعدم اقتصارها على تخصص معين دون سواه .

جودة التعليم التقني :

كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن جودة التعليم بمراحله المختلفة ، بعد أن توسع التعليم كثيرا وأصبح متاحا بدرجة كبيرة لجميع طالبيه . وإذا كان التعليم حق كفله القانون للمواطن ، حيث يتحمل المجتمع نفقاته بالدرجة الأساسية ، فأن من حق المجتمع أن يتأكد من أن هذا الحق الذي ضمنه للمواطن ، يمارس بالشكل الصحيح الذي يحقق أهداف المجتمع وغاياته بتكوين إفراد متعلمين وصالحين وقادرين على تحقيق رقيه وتنميته بالاتجاهات الصحيحة لخدمة اقتصاده الوطني وتوفير العيش الكريم لجميع المواطنين ، والحفاظ على ثقافة الأمة وحضارتها وتراثها وهويتها الوطنية في عالم تتقاذفه الصراعات وتحتدم فيه المنازعات ، لتعيش البلاد في عز وكرامة وأمن وأمان .

ومن هذا المنطلق فأن من حق المجتمع أن يراقب أداء المؤسسات التعليمية المختلفة ، ويفحص ويتساءل عن جدوى برامجها الدراسية وجودتها ، ومدى قدرتها على تلبية حاجاته في ضوء مستجدات العلوم والتقنية الحديثة ، ومدى قدرتها على تخريج ملاكات مزودة بالعلم

والمعرفة وقادرة إن تكون أداة التنمية الصحيحة ، وليس عبئا على اقتصادها الوطني بتخريج ملاكات يصعب الإفادة من مؤهلاتها .

وابتداء نقول أن ما يعنينا بالجودة هنا في المقام الأول هو جودة الخريج الذي يمثل هدف العملية التعليمية وغايتها أولا وقبل أي شيء آخر، وما عداه من أمور أخرى على أهميتها ، إنما تمثل العمليات والوسائل التي يفترض أن تفضي إلى تخريج ملاكات على وفق معايير جودة التعليم الوطنية والإقليمية والدولية.لذا فأن لا معنى للحديث عن جودة المنظومات التعليمية ، ما لم يستهدف بالدرجة الأساس فحص جودة مخرجات المؤسسة التعليمية ، فالمؤسسة التعليمية التي تصنف بأنها مؤسسة تعليمية ذات جودة عالية ، يجب أن تكون مخرجاتها ذات جودة عالية . وهنا نقول أن جودة مخرجات المؤسسة التعليمية لا تقاس عبر استطلاع آراء المسؤولين في المؤسسات التي يعمل فيها الخريجون فحسب ، إذ يلاحظ أنه غالبا ما تتسم هذه الآراء بدرجة عالية من المجاملة أو عدم الجدية ، أو بالسلبية الحادة أحيانا لسبب أو لآخر، بل لابد من اعتماد أدوات قياس وفحص أكثر دقة وموضوعية. كما أن توافر المستلزمات الدراسية من مبان ومكتبات ومختبرات مزودة بأحدث الأجهزة والمعدات العلمية ، على أهميتها الفائقة في العملية التعليمية ، لا تعني بالضرورة جودة المخرجات التعليمية ، ما لم يتم التأكد من حسن استخدامها وتوظيفها في العملية التعليمية.

وكما في ميدان الرياضة على سبيل المثال ، لا يعني بالضرورة توفير الملاعب والمستلزمات الرياضية المختلفة والمدربين الأكفاء ، جودة النشاط الرياضي ، ما لم يكن ذلك مقرونا بتحقيق الرياضيين أفرادا أو

جماعات إنجازات ملموسة بالفوز بالمباريات الرياضية والحصول على الجوائز والكؤوس التي تؤشر قدراتهم وجودة أداءهم ، وتبقى جميع الأمور الأخرى مجرد وسائل بدونها لا يمكن الوصول إلى الهدف المتمثل بجودة أداء الرياضيين أنفسهم . ولا يختلف الحال كثيرا في المؤسسات التعليمية ، إذ يبقى الهدف الأساس الذي يعكس جودة المؤسسة التعليمية ، يتمثل بجودة مخرجات المؤسسات التعليمية ، وتبقى جميع الأمور الأخرى ، وسائل يفترض أن تفضي لتحقيق هذا الهدف .

ولاشك في أن عضو الهيئة التدريسية يؤدي دورا أساسيا بجودة العملية التعليمية ، فعضو الهيئة التدريسية يعد المحرك الأساس للعملية التعليمية ، فحسن اختيار أعضاء الهيئة التدريسية وإعدادهم وتطويرهم المستمر ، إنما يمثل أحد أهم العوامل التي يمكن أن تفضي إلى ضمان جودة الخريجين إذا ما توفرت البيئة الجامعية السليمة لذلك، وحرية التصرف على وفق القيم والأعراف الجامعية المتعارف عليها في الأوساط الجامعية الدولية .

ولقياس جودة مخرجات المؤسسات التعليمية المختلفة نرى ضرورة اتخاذ إجراءات ضبط جودة عملية عديدة ، منها :

١. إخضاع الخريجين إلى اختبارات فحص كفاءة للوقوف على مدى جودة تحصيلهم الدراسي في مجال تخصصاتهم ، من قبل مؤسسات علمية ومهنية مستقلة ومتخصصة ، وإعلان نتائج الفحص على وفق سلم تقديرات معين ، حسب المؤسسات التعليمية بوسائل الإعلام المختلفة ،

دون أن يؤثر ذلك على حقوقهم وامتيازاتهم بموجب الشهادات الممنوحة لهم من قبل المؤسسات التعليمية المانحة لتلك الشهادات .

٢. ألعمل بأسلوب الممتحن الخارجي المعمول به في الكثير من الجامعات في الدول المختلفة ، وذلك بإشراك ممتحنين خارجيين بوضع الأسئلة الإمتحانية في بعض المواد الدراسية وتقييم نتائجها وتحليلها للوقوف على مستويات طلبتها الدراسية .

٣. مراقبة تدرج الخريجين في الوظائف المختلفة التي يتقلدونها بعد تخرجهم للوقوف على ترقيتهم وتقدمهم بتلك الوظائف في مجالات تخصصاتهم .

٤. تأشير الوظائف القيادية في مؤسسات الدولة المختلفة التي يتولاها الخريجون .

٥. تأشير الجوائز والتقديرات العلمية التي يحصل عليها الخريجون في المحافل الوطنية والإقليمية والدولية.

٦. التأكد من توافر مستلزمات العملية التعليمية المادية والبشرية على وفق المعايير الدولية المتعارف عليها في الأوساط التعليمية .

٧. حسن اختيار القيادات التي تدير مفاصل العملية التعليمية بمستوياتها المختلفة من ذوي الخبرة والمراس في العمل الجامعي .

٨. التفاعل البناء بين المؤسسات التعليمية وحقل العمل ومؤسسات المجتمع ومنظماته المختلفة .

أن الأخذ بهذه المقترحات سيدفع المؤسسات التعليمية إلى بذل المزيد من الجهود لتحسين العملية التعليمية والارتقاء بمستوياتها لضمان تخريج

ملاكات ذات قدرات علمية جيدة يمكنها الولوج إلى سوق العمل بيسر وسهولة . ولغرض تجويد منظومة التعليم التقني نقترح الآتي :

١ . المواءمة بين مخرجات المعاهد والكليات والجامعات التقنية ومراكز التدريب المهني ، ومتطلبات التنمية الاقتصادية في البلاد ، وكذلك متطلبات سوق العمل من الملاكات الوطنية لممارسة المهن المختلفة ، لاسيما المهن التي تستند إلى العلوم الحديثة والتقنية المتقدمة ذات القيمة العالية المضافة .

٢ . التوسع في برامج التعليم التقني والتدريب المهني بإدخال تخصصات تقنية حديثة تلامس حافات العلوم وتواكب حلقات التقنية المتطورة .

٣ . تنويع أساليب التدريس وطرائقه ليستجيب بصورة أفضل لظروف المتعلمين وطالبي المعرفة ، أكثر من استجابته لظروف المعلمين ، مع إيلاء التعليم المفتوح والتعلم عن بعد والتعليم الإلكتروني المزيد من الاهتمام .

٤ . إيلاء التعليم التقني والتدريب المهني اهتماما خاصا . كونه الركيزة الأساسية للتنمية والازدهار الاقتصادي ، وذلك بالعمل الدؤوب على توفير جميع مستلزماته المادية والبشرية .

٥ . السعي لإيجاد فرص تعليمية مناسبة لطبعة المرأة بهدف الاستفادة القصوى من كامل قدراتها لرفد الاقتصاد الوطني وتعزيز إسهاماتها الثقافية والاجتماعية .

٦. اعتماد نظام تدريبي وتعليمي مفتوحا ومتنوع المسارات على نحو يتسم بالمرونة في التدرج المهني ويساعد على تطوير مهارات العامل لتمكينه من مواكبة السوق والمستجدات في عالم العمل .

٧. تطوير التعليم التقني ليراعي الفروقات الفردية في قدرات الطلبة ومتطلبات سوق العمل ، بحيث يكون التأهيل على مستوى الشهادة المهنية والدبلوم التقني والبكالوريوس التقني .

٨ . إعداد برامج إعلامية لغرس ثقافة العمل الحر ، وتوجيه الناشئة نحو العمل للحساب الخاص مع توضيح دور المشروعات الصغيرة والمتوسطة في التنمية وتوفير فرص العمل وتحسين الدخل ، وكذلك تقديم منح تشجيعية للمتميزين من ذوي المبادرات الفردية عبر تطبيق سياسات اقتصادية داعمة لإنشاء وتنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة وتشجيع المواطنين للاستثمار فيها .

١٠ . إنشاء حاضنات تقنية تستهدف كل من لديه رغبة في تأسيس مشروع لحسابه الخاص والمستفيدين الذين هم في طور إنجاز مشاريعهم وأصحاب المؤسسات الصغيرة الراغبين في تطوير أنشطة مشاريعهم .

١١. تطبيق معايير جودة التعليم التقني والتدريب المهني الشاملة والمعتمدة وطنيا وإقليميا ودوليا ، في جميع برامجها التعليمية والتدريبية ، اهتماما خاصا بوضع أطر مرجعية لمنظومة السيطرة النوعية وضبط الجودة ، ومتابعة حسن تنفيذها من خلال دوائر متخصصة لهذا الغرض .

متطلبات النهوض :

ولكي تنهض المعاهد والكليات والجامعات التقنية ، وتؤدي دورا مهما برفد مجتمعاتها بملاكات تقنية يمكن أن تسهم بفاعلية في نهضة بلدانها وتقدمها ، وتوفير فرص عمل أفضل لمواطنيه ، نقترح الآتي :

١ـ اعتماد نظام تعليمي تقني رصين ومرن في آن واحد بحيث يأخذ بالحسبان ظروف العاملين في المؤسسات الإنتاجية . ولهذا الغرض يمكن الاعتماد على نظم التعليم المتناوب والتعليم المفتوح والتعليم عن بعد والتعليم الجزئي والتعليم بمرحلتين وغيرها . إذ لا يمكن لنظام تعليمي جامد أن يستجيب بفاعلية لحاجات المؤسسات الصناعية .

٢ـ وضع الخطط ورسم السياسات العلمية والتقنية لتحسين أداء التقنيين والفنيين وتأمين مواكبتهم لآخر التطورات العلمية والتقنية ، وتطوير أساليب الإنتاج بهدف زيادة كمية المنتج وتحسين نوعيته بالإفادة من أرقى حلقات التقنية المتقدمة .

٣ـ ربط المناهج الدراسية بصورة أوثق بحاجات المؤسسات الصناعية من التقنيين وأعدادهم بالشكل الذي يمكن فيه الإفادة من مؤهلاتهم في تلك المؤسسات بصورة مباشرة . وهذا يتطلب حتما التشاور والتنسيق المستمر بين العاملين في المعاهد والكليات والجامعات التقنية والمؤسسات الصناعية ومراجعة المناهج الدراسية بصورة دورية منتظمة بهدف تنقيحها وتحديثها لتلبي هذه الحاجات من جهة ، ولتواكب التطورات العلمية والتقنية من جهة أخرى .

٤ـ تسخير مختبرات ومشاغل المعاهد والكليات والجامعات التقنية ومراكزها ومكاتبها الاستشارية لمصلحة تلبية حاجات المؤسسات الصناعية . والعكس صحيح أيضا أي تسخير إمكانات الصناعة لمصلحة العملية التعليمية التقنية وبما لا يؤثر في سير العمل في كلتا الحالتين. والعمل على إنشاء وحدات إنتاجية تجريبية أو ريادية في المعاهد والكليات والجامعات التقنية بهدف تطوير الصناعة الوطنية .

٥ـ ربط المناهج الدراسية بصورة أوثق مما هو عليه الحال في الوقت الحاضر بالتدريب العملي أي أن يكون التعليم التقني مستندا إلى قاعدة عملية صناعية وذلك لتنمية الرغبة لدى الطلبة في أن يصبحوا تقنيين ناجحين ومبدعين في حقول المعرفة المختلفة والتأقلم مع ظروف العمل في المؤسسات الصناعية واحترام العمل وتعود الانضباط والعمل الجماعي وتحمل المسؤولية واستيعاب أساليب العمل المختلفة وصقل شخصية الطالب المتدرب المشبعة بروح العمل والهادفة إلى التطوير وإيجاد الحلول للمشكلات التقنية بالاعتماد على التفكير العلمي بصورة منهجية سليمة .

٦ـ تنمية الملاكات الوطنية القادرة على تحديد التقنيات المناسبة لتطوير الصناعة الوطنية وتعزيز إمكاناتها لسد الحاجات الوطنية في المرحلة الأولى ، والمنافسة في الأسواق الخارجية في المرحلة الثانية . وبذلك نضمن خلق تقنية وطنية تعتمد على الملاكات الوطنية وتستخدم الإمكانات والموارد المحلية وتستوعب التطورات التقنية العالمية لاستنباط تقنيات متقدمة .

٧ـ أنشاء معاهد وكليات وجامعات تقنية في مواقع التجمعات الصناعية الرئيسة في البلاد وبتخصصات تلبي حاجات هذه المؤسسات .

٨ـ تشجيع مشاركة كبار المهندسين والتقنيين في أعمال مجالس الأقسام العلمية ومجالس المعاهد والكليات والجامعات التقنية ، وكذلك تشجيع مشاركة كبار أساتذة المؤسسات التعليمية التقنية في التشكيلات المماثلة في المؤسسات الصناعية لتأمين التنسيق والتشاور وإدامة الصلة العلمية والتقنية على أعلى المستويات .

٩ . تبني المعاهد والكليات والجامعات التقنية إنشاء مشاريع الحاضنات التقنية وإسنادها بكل الوسائل الممكنة لتحويل أفكار المبدعين إلى منتجات لدعم الاقتصاد الوطني .

١٠. أن تكون المعاهد والكليات والجامعات التقنية مراكز رصد متقدمة لمستجدات العلوم والتقنية الحديثة والعمل على نقلها لبلدانها والإسهام بتوطينها في بيئات عمل وطنية مناسبة .

الخاتمــة :

تشير التقارير المختلفة ومنها تقارير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) إلى أن قطاع التعليم التقني والتدريب المهني في العراق يعاني من نسبة التحاق ومتابعة متدنية ، وارتفاع نسبة الطلاب المتسربين منه . يعزى ذلك إلى عدم تحديث الأدوات والأساليب المستخدمة في العملية التعليمية ، وعدم استجابة البرامج المنهجية المعمول بها للحاجات التقنية الحديثة لسوق العمل ، مما يتطلب إعادة تأسيس منظومة تعليم تقني مهني متطورة وحديثة وقادرة على مواكبة مستجدات العلوم والتقنة والعمل على إدخالها إلى العراق بصورة منهجية منتظمة وتسخيرها لخدمة تنفيذ خطط التنمية الوطنية المستدامة ..

المراجع العلمية

١. دراسة واقع التعليم العالي المتوسط (الفني والمهني) بالدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج .

إعداد الأمانة العامة للاتحاد العربي للتعليم التقني

مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج / الرياض / ١٩٨٨.

٢. جريو ، داخل حسن

التعليم التقني في عالم متغير

إصدارات المجمع العلمي العراقي/ بغداد ٢٠١٠.

٣. جريو ، داخل حسن

التنمية المعرفية للبشر

إصدارات المجمع العلمي العراقي / بغداد ٢٠١٢.

٤. جريو ، داخل حسن

التعليم التقني وبناء مهارات العمل

إصدارات دار دجلة للطباعة والنشر/ عمان / الأردن/ ٢٠١٣.

٥. جريو ، داخل حسن

التعليم التقني في دول الخليج العربي

مجلة المجمع العلمي العراقي/ الجزء الأول / المجلد ٦٠/ ٢٠١٣.

الحشرات الطبية عند الأطباء والعلماء العرب والمسلمين والطب الحديث

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

طبيب أطفال – الموصل

الملخص :

تناول البحث ما جاء لدى الأطباء والعلماء العرب والمسلمين حول الحشرات الطبية أوصافها ومخاطرها وكيفية مكافحتها وعلاج المصابين بعضاتها ومقارنة ذلك مع ما جاء في الطب الحديث حول ذلك كله . والحشرات التي ذكرت هي :

١ – البعوض والجرجس (الحرمس)

٢– الذباب .

٣– القمل : ثلاثة أنواع هي : أ – قمل الرأس ب _ قمل الجسم ج – قمل العانة

٤– حشرة الجرب

٥– النحل والزنبور

٦– البراغيث

٧– الصراصر والخنافس

٨– القراد

٩– العناكب : الأنواع التي تؤذي الإنسان

أ – الرتيلاء ب – العنكبوت الناسك البني

ج – عنكبوت الأرملة السوداء .

١٠– العقارب

المقـدمة :

كان لدى الأطباء العرب والمسلمين معرفة وتصور عـن علاقـة الحشرات الطبية بالأمراض والأوبئة ، وتحدث أغلـبهم عـن مخاطرهـا وأضرارها ووصفها ، وتحدثوا عن وسائل مكافحتها ومعالجة المصـابين بعضاتها . كما جاء ذكر الحشرات الطبية في بعض كتب الحيـوان التـي ألفها علماء عرب ومسلمين مثل الجاحظ والقزويني والدميري وغيـرهم ، حيث تحدثوا عن العديد من الحالات المرضية التي تتسـبب عـن عضـة الحشرات الطبية وطرق معالجتها .

نذكر فيما يأتي ماجاء لدى الأطباء والعلماء العـرب والمسـلمين حول الحشرات الطبية أوصافها ومخاطرها وكيفيـة مكافحتهـا وعـلاج المصابين بعضاتها ومقارنة ذلك مع ما جاء في الطـب الحـديث حـول ذلك كله .

١ – البعوض (Mosquito) والجرجس (الحرمس Phlebotomus):

من المعروف اليوم بأن البعوض حشرات صغيرة ذات ستة أرجل طويلة وأجزاء فم ثاقبة ماصة بالإضافة إلى زوج من الأجنحة ، أما قرون إستشعاره فتكون نغطاة بشعيرات قصيرة . تتطفل هذه الحشرات خارجيـا على جسم الإنسان بإمتصاص الدم بواسطة أجزاء فمها بعد غرزهـا فـي جسم العائل فتسبب حساسية وحكة في موقع الإصابة . ويعتبر البعوض من الحشرات الناقلة لعدد من المسببات المرضية بعضـها وبائيـة كالملاريـا والحمى الصفراء والسحايا .

وكمثال لما ذكره العلماء والأطباء العرب والمسلمون نذكرما جاء عند القزويني(ت ٦٨٢هـ) حيث يقول عنه ((حيوان في غاية الصغر . . له خرطوم أدق شيْ يمكن أن يقال ، ومع دقته مجوف حتى يجري فيه الدم الرقيق ، وخلق في رأس ذلك الخرطوم قوة يضرب بهما جلد الفيل والجاموس ينفذ فيهما))[١] . ويقول النويري ((وخرطوم البعوض أجوف نافذ الخرق ، فإذا طعن به جلد الإنسان استقى به الدم وقذف به إلى جوفه))[٢] .

ويقول عنه الجاحظ ((البعوض بالنهار تؤذي بعض الأذى وإنما سلطانه بالليل)) . . .

((فالحاضر لا يبرحه البعوض ، لأن البعوض من الماء يخلق ، فكيف يفارقه والماء الراكد لا يزال يولده ؟ فإن صار نطافا او ضحضحا استحال دعاميص وانسلخت الدعاميص فصارت . . . بعوضا))[٣] .

ولم يعرف الأطباء والعلماء العرب والمسلمون أن البعوض الذي يعيش في المستنقعات هو ناقل مرض حمى الملاريا ، إلا أنهم تنبهوا إلى علاقة المستنقعات بانتشار الحمى .

---

[١] القزويني ، زكريا بن محمد : عجائب المخلوقات والحيوانات ، نشر المكتبة الإسلامية (بدون تاريخ) ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

[٢] النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب – وزارة الثقافة والإرشاد ، مصر (بدون تاريخ) ج ١٠ ، ص ٣٠١ .

[٣] الجاحظ : كتاب الحيوان ، تحقيق فوزي عطوي ، دار صعب – بيروت ، بدون تاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٢٥ .

يقول ابن زهر : ((وأما المياه فإنها إن كانت مياها راكدة حتى تنتن وتكون عكرة مما تحتها من حمأة وأقذار ، فإنها قد يكون عنها ما ذكرته من الوباء بالحميات الدقية))[٤] .

وقد جاء وصف هذا المرض وأعراضه لدى بعض الشعراء العرب مثل المتنبي حين أصابته الحمى فقال في ذلك قصيدة طويلة نقتطف منها :

وزائرتي كأن بها حياء فليس تزور الاّ في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

جرجس (حرمس) : تصنف هذه الحشرة في العلم الحديث مع البعوض بنفس الرتبة ذات الجناحين ، وهي فصيلتان ، الحرمس غير الواخز ، والحرمس الواخز وهي المهمة من الناحية الطبية حيث تتغذى الأنثى منها على إمتصاص دم الإنسان ، ومن أهم الأمراض التي تنقلها حبة بغداد ومرض الكزاز .

وحبة بغداد = قرحة الشرق وتسمى أيضا (حبة بلخ = البلخية) : إن أقدم من وصف هذا المرض وأعطى أعراضه بصورة دقيقة وواضحة كان (أبو منصور بن نوح القمري البخاري) من قصبة بلخ في خراسان ، أحد أساتذة ابن سينا (توفي سنة ٤٢٨هـ) .

إنه من المناسب هنا أن ننبه إلى أن الناس في بلخ ربطوا بين المرض وعضة نوع من البعوض فأطلقوا اسم عضة البعوض (باشا غازيداجي) على الحبة . علما بأن ناقل المرض حشرة تشبه البعوض وهو

---

[٤] ابن زهر : أبو مروان عبد الملك – التيسير في المداواة والتدبير تحقيق ميشيل الخوري – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٣ ، ج ١ ص ٤٢٢ .

الحرمس كما ذكرنا وليس البعوض ، وقد يكون ذلك من أقدم الإشارات إلى حدوث أو انتقال مرض مستديم ومتوطن بعد عضة البعـوض أو بكلمـة أخرى حشرة ما [٥] .

٢- الذباب (Housefly) :

من المعروف اليوم أنه ((هناك أنواع كثيرة من الذباب ، كالـذباب المنزلي والذباب المعدني وذباب اللحم وغيرهـا)) . . . و((ان بعـض أنواع الذباب متطفل يتغذى على دم العائل بواسطة أجـزاء فمهـا ، كمـا والبعض الآخر منها يعتبر من العوامل الناقلة للمسببات المرضية كالسـل والتراخوما والتيفوئيد والكوليرا والجمرة الخبيثة والجذام ، وتوجد أنـواع منها تعمل كعائل ثانوي أو وسيط لبعض الطفيليات كالـدودة الشـريطية ، وتغذية البعض الآخر من أنواع الذباب على الإنسان تـؤدي إلـى تمـزق أنسجة الجسم المصابة فتكون عرضة للتلوث والإصابة بـأنواع البكتريـا والفطريات أوغيرها من الجراثيم فتؤدي على حدوث التهابات)) [٦].

وما جاء ذكره لدى العلماء والأطباء العرب والمسلمين حول الذباب نذكر مايلي

قال الجاحظ ((يقوى سلطان الذباب في الضياء))[٧] .

---

[٥] الحاج قاسم ، الدكتور محمود : مفهوم العدوى والأمراض المعدية عند الأطباء العرب والمسلمين ، مجلة المجمع العلمي ، ج٢ – م ٤٨ ، ٢٠٠١ ، ص ١٠٧ .

[٦] الحفيظ ، عماد محمد : الحشرات الطبية في مصادر الطب العربي في العراق ، دراسات في الطب العربي – مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ١٩٩١ ، ص ٢٣٤ .

[٧] الجاحظ : الحيوان (مصدر سابق) ص ٥١٨ .

ويقول القزويني ((هي أصناف كثيرة تتولد من العفونة ، ولـــه خرطـــوم يخرجه إذا أراد مص الدم ويدخله إذا روي وإذا أصاب الحيوان جراحـــه وسقط عليها الذباب فيفضي إلى هلاكها إن لم يكن في موضع يصل إليه فم الحيوان ، لأن الذباب إذا وقع على الجراحة ونم عليها فيتولد من ونيمهـــا الدود ، والجراحه إذا تولد فيها الدود أهلكت))[8] .

ويؤثر عن ابن التلميذ ذكر ضرر الذباب على الجرح قبل اكتشاف المتأخرين له ، حيث قال :

لا تحقــرن عــدوا لان جانبــه ولــو يكــون قليل البطش والجلد
فللذبابة في الجــرح الممد يــد تنــال مــا قصرت عنه يد الأسد [9]

ولا يفوتنا التنويه إلى خطأ ما ذكره القزويني حينما ذكر أن الدود يتولد من ونيم الذباب ، فالدود هو يرقات تفقس عن البيض الــذي تضــعه أنثى الذباب الملقحة .

٣- القمل (**Pediculosis**): حشرة لها ثلاثة أنواع تتطفل على الجسم وتتغذى بدمه وتحـــــدث أعراضا مختلفة وهي :

أ - قمل الرأس (**Pedculus humanus capitis**):

هو الأكثر شيوعا يتراوح طوله بين ٢-٤ملـــم ، و العرض الهام الأول في قمل الرأس هو الحكة في الفروة ويلاحظ بالفحص تسحجات في الفروة ، وقد يأخذ شكلا أكزيميا ناحية النقرة يطلق عليها اسم : أكزيما

---

[8] القزويني : عجائب المخلوقات (مصدر سابق) ج ٢ ، ص ٣٢١ .

[9] ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ج ٣ ص ٢٨٣ .

القمل وقد يحدث تضخم في العقد اللمفاوية القريبة . يضع القمل بيوضه (الصئبان) على الشعرات بشكل ملتصق لايمكن إزالته .

ب _ قمل الجسم (**Pedculus humanus humanus**):

يبلغ طول القملة ٣-٤.٥مم و تنجم الإصابة عن العدوى وتزداد في حالة إهمال نظافة الجسم العامة ، يقيم قمل الجسد في طيات الثياب ويهاجمه عند تغذيه . تتطلب بيوضه أسبوع أو أكثر لتفقس ولا تعيش أكثر من يومين من دون أن تتغذى بالدم في الأحوال العادية . تظهر الأعراض بسحجات خطية عميقة على الجذع وتتصف بامتدادها وتوازيها وخاصة على الظهر ناحية الأكتاف ويرافق ذلك اندفاعات تقيحية ثانوية تالية للحكة من بثرات وقشور وسطوح متأكزمة واعراض حساسية.

ج - قمل العانة (**Phthirus pubis**) :

طوله١.٥-٢مم أصبحت تذكر هذه الإصابة أيضا في عداد الأمراض المنتقلة جنسيا،كما يمكن أن تنتقل بالتماس المباشر أو استعمال الحوائج المختلفة . يقيم الطفيلي في ناحية العانة إلا أنه يمكن أن يصيب أي منطقة تحوي غدد عرقية مثل الإبط والناحية الشرجية التناسلية. يظهر سريريا بحكة تزداد ليلا ووجود بقع نزفية في النواحي المصابة ، كما يشكو المريض من إفرازات متسخة احمرارية في ثيابه الداخلية . ويمكن لهذه الأنواع الثلاثة أن تنقل العديد من الأمراض كمرض التيفوس والحمى الراجعة .

وكمثال لما جاء عند الأطباء والعلماء العرب والمسلمين عن القمل نذكر قول الجاحظ ((القمل يعتري من العرق والوسخ اذا علاهما ثوب أو

ريش أو شعر ، حتى يكون لذلك المكان عفن وخموم . والقملة تكون في رأس الأسود الشعر سوداء . . ورأس الأبيض الشعر بيضاء . . بالحمرة حمراء)) ((ثم يبيض القمل وبيضه الصئبان ، فإذا باضت التصقت بيضتها بالموضع إلصاقا لا يمكن إزالتها إلا بشدة)) (١٠)

٤- حشرة الجرب (Scabies) :

قام J.Adams في لندن في القرن ١٩ برسمها بدقة. حيث يقيس الذكر (٠.٠٢× ٠.١٥ مم) والأنثى (٠.٠٤ ×٠.٠٣ مم) . الجسم بيضوي مع أشعار في سطحها الظهري ولها أربعة أزواج من الأرجل . تسير الأنثى على سطح الجلد بسرعة كبيرة إذا كان دافئا و تستغرق نحو ساعة لحفر نفق ضمن الطبقة القرنية للبشرة للتغذية بالسوائل . لا تعود الحشرة نحو الوراء أبدا نظرا لوجود أشواك في جسمها متجهة نحو الخلف وعمرها المتوسط هو ٣٠ - ٦٠ يوما" .

تضع الأنثى البيوض بمعدل ٢-٣ في اليوم ، بعد أسبوع تتحول إلى يرقات . تغادر اليرقات النفق بعد يوم أو أكثر وتحفر جيبا سطحيا في الطبقة القرنية وتنسلخ مرتين لتتحول خلال ثلاثة أسابيع إلى حشرة تتلقح من جديد ويموت الذكر حالا ، بينما تغادر الأنثى لحفر أنفاق جديدة . وتتوزع في معظم الأماكن عدا الظهر والصدر وقليلا في فروة الرأس (١١).

---

(١٠) الجاحظ : الحيوان (مصدر سابق) ص ٣١٤ .

(١١) قبلان ، الدكتور سعيد : الجرب ، الشبكة العنكبوتية ، الدورية الطبية العربية .

أهم عرض للإصابة هو الحكة وهي حكة متوسطة إلى شديدة تزداد ليلا وبالدفء وتخف نهاراً ، تبدأ الحكة بعد ٢ - ٣ أسابيع من العدوى . يصيب المرض غالبا أكثر من فرد في الأسرة الواحدة والحكة معممة عادة تبتعد عن الرأس والظهر . يختلف الطفح الجلدي بدرجة كبيرة وذلك حسب نمط الإصابة و المداواة السابقة ، و إن المرضى الذين يحافظون على النظافة و يكثرون من الاستحمام يندر أن يكون الطفح عندهم واضحا".

وإن أول من أشار لحشرة الجرب من الأطباء العرب هو أبو مروان عبد الملك بن زهر (توفي ٥٥٧ هـ). وهو ثاني طبيب يشير إلى ذلك بعد الطبيب اليوناني الإسكندر الترالي[١٢] حيث وصفه تحت اسم الصؤاب يقول ابن زهر ((ويحدث في الأبدان في ظاهرها شيئا يعرفه الناس بالصؤاب ، وهو حكة تكون في الجلد ويخرج إذا قشر الجلد من مواضع منه حيوان صغير جدا يكاد يفوت الحس)) [١٣] .
وهو قول مطابق تماما لما ذكرنا ولما هو معروف اليوم من أن الآفة حكة في الجلد وأنه لا يمكن رؤية الحيوان المختبئ الاّ بإزالة القشور عن المواضع الحاكة ، وإن الحيوان متناه في الصغر لا تكاد العين تحس به أو تراه .

---

(١٢) Carison – Introd . Hist. Med. P.132

(١٣) ابن زهر ، أبو مروان عبد الملك : التيسير في المداواة والتدبير– تحقيق ميشيل الخوري – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٣ ، ص ٣٦٤.

٥- النحل (Bees) والزنبور(Hornet):

في الطب الحديث تعتبر لدغة النحل أو الزنبور مشكلة طبية كبيرة لأن أذيتها تسبب بعد فترة عدة ساعات تسمما حادا وتفاعلات تحسسية (ألم موضعي ، حكة ، تورم ، شرى منتشر وممتد ، وذمة ، أو احمرار، التهاب ملتحمة .) وتبقى لفترة ١-٣ أيام ، وفي حالات نادرة قد تكون قاتلة . وتحدث التأثيرات السمية بعد اللسعات المتعددة . وتترافق بـ (أعراض هضمية ، صداع ، حمى ، غشي ونادرا انحلال عضلي وقصور كلوي واختلاجات) ، وقد تحدث التفاعلات التحسسية بغض النظر عن عدد اللسعات. وقد تظهر تفاعلات متأخرة حتى ١-٢ أسبوع تتظاهر بحمى ، صداع ، ألام مفصلية عديدة،اعتلال عقد لمفية .

تتضمن المعالجة دعم الطريق الهوائي ، الإنعاش بالسوائل لمعاكسة هبوط الضغط،أدرينالين ، إضافة لمضادات الهيستامين والستيروئيدات .

ولم نعثر عند الأطباء والعلماء العرب والمسلمين على ذكر لأعراض لدغة النحل والزنابير وعواقبها ، إلا أن أغلبهم تحدث عن كيفية معالجة تلك اللدغات ، على سبيل المثال

يقول علي أبن العباس المجوسي (من أبناء القرن الرابع الهجري) في مداواة لدغ الزنابير والنحل ((ينبغي أن يفتح موضع اللدغة بإبرة أو برأس مبضع ويمص الموضع مصا جيدا أو يطلى عليه بطين أرمني معجون بخل وبمسوح الحيطان مع خل أو بطين كور الزنابير مع الخل أو يضمد بالطحلب أو بالخبازي المطبوخ جيدا بورق السمسم المدقوق

ناعما ويصب على موضع اللدغة الماء البارد أو يوضع عليه الـــثلج)) . [١٤]

٦- البراغيث (Siphonaptera):

هي حشرات صغيرة عديمة الأجنحة مضغوطة الجانبين ، ولها القدرة على القفز لمسافات ليست بالقصيرة والارتفاع ليس بالمنخفض ، فهي تقفز من عائل لآخر ومن مكان لآخر على جسم نفس العائل ولها القدرة علـــى تفضيل عائل من عائل آخر . وتتطفل هـــذه الحشـــرات علـــى الإنســـان بامتصاص الدم ، وتتميز أجزاء فمها بأنها ثاقبة ماصة .

ومن أهم أنواع البراغيث برغوث الجرذان الذي ينقل مرض الطاعون للإنسان ، كما أن البراغيث تنقل أنواع أخرى من الأمـــراض ومســـبباتها كحمى التيفوس .

ويمكن التخلص من البراغيث برش المناطق الموبؤة والأمتعة بمـــادة الميالاثيون بتركيز ٥٪ أو بودرة الـــ د.د.ت .

وما جاء لدى العلماء العرب حول البرغوث قريب مما ذكرناه فعلـــى سبيل المثال يقول القزويني ((البرغوث أسود أحدب ضامر إذا وقع نظـــر الإنسان عليه أو أحس به فيثب تارة إلى اليمين وتارة إلى الشـــمال حتـــى يغيب عن نظر الإنسان ، قـــال الجاحظ أنها تبيض وتفرخ قـــالوا عمـــره خمسة أيام)) [١٥]

---

[١٤] المجوسي ، علي أبن العباس : كامل الصناعة في الطب ، المطبعة الكبرى في الديار المصرية ، ١٢٩٤ هـــ ، ج٢ ، ص ٢٢٤ .

[١٥] القزويني : عجائب المخلوقات (مصدر سابق) ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

٧- الصراصر(Cockroach) والخنافس (Coleoptera) :

وهي حشرات تعود لرتبة مستقيمة الأجنحـــة ، وبعــض المصــنفين أفردها في رتبة منفصلة يماها رتبة الصراصر ، وتعرف عند العامة فــي العراق باسم (وردان) ولعل أهم أنواع بنات وردان التي عرفها العراقيون هي الصرصر الشرقي حيث تكون الأنثى غير مجنحة ولونها أسود والذكر مجنح ولونه بني أحمر ، والصرصر المصري ويكون لونه بني أســود . وتفضل جميع أنواع الصراصر هذه المعيشة في المجــاري والحمامــات والمرافق الصحية حيث تتوفر العوامل البيئية الملائمة لمعيشتها .

وإن هذه الأنواع تنقل العديد من الأمراض نتيجة تنقلها بين المواد القــذرة والملوثة ثم إلى الطعام وأماكن معيشة الإنسان [١٦].

والخنافس : تسبب بعض أنوع الخنافس حساسية بالجلد . وقد تزداد حدتها وتؤدي إلى ظهور بثور وفآليل أحيانا على الجلد . ويرجع سبب ذلك إلى وجود مادة كاوية وهي الكانثريدس في مفاصــل وجهــاز الخــنفس التناسلي . في الأحوال العادية لا تسبب الخنافس أي تأثير على الجلد. ولكن عند أثارتها ، كما يحدث عن الضغط عليها على سطح الجلد، فإنها تفرز المادة الكاوية وتسبب بذلك تنميل وحرقان بالجلد . يتبعها ظهــور فآليــل طولية على سطح الجلد وذلك على الأماكن التي تعرضت لتــأثير المــادة الكاوية . وعلاج ذلك يتم باستعمال كمادات الثلج ومركبات الكــورتيزون الموضعية .

---

[١٦] الحفيظ : الحشرات الطبية في مصادر الطب العربي في العراق (مصدر سابق) ، ص ٢٣٦ .

وكمثال لما جاء عند العلماء والأطباء العرب حول الصراصر ، يقول الدميري ((الصرصر : حيوان فيه شبه بالجراد قفاز يصيح صياحا رقيقا وأكثر صياحه بالليل ولذلك سمي صرصار الليل ، وهو نوع من بنات وردان عري الأجنحة)) (١٧)

٨- القراد (**Tic**) :

من الحشرات الطفيلية التي تكثر في الغابات والتي تتطفل بغـذائها على الحيوان والإنسان ، فعندما يكون الانسان المضيف لهـذه القراديـات ولاسيما المرحلة اليرقية التي تقيس تقريبا ١ ملم إذ تعلق على ثيابـه ثـم تتثبت على الجلد من دون أن يشعر بها لأنها لا تحدث أي حكـة أو ألـم وعندما يأخذ القراد وجبته الدمويه فإن قطره يمكن أن يتجـاوز ال١ سـم وتسبب إناث القراد شللا متصاعدا يتطور حتى يبلغ الجهاز التنفسي وأحيانا يؤدي للوفاة ، ولكن نزع القرادة قبل هذه المرحلة يؤدي إلى الشفاء .وتبدأ الأعراض بشكل إسهال خفيف،ضعف في الأطراف السفلية يليها غياب أو ضعف المنعكسات الوترية العميقة خلال ٢٤-٤٨ سـاعة . قـد يتطـور الضعف حتى الجذع والذراعين والرقبة إذا لم تزل القرادة (١٨).

يقول الجاحظ ((القراد أول ما يكون ، وهو الذي لا يكاد يرى من صغر فقامه ، ثم يصير قرادا ، ثم يصير حلمة ، قال ويقال للقراد القمـل

---

(١٧) الدميري ، كمال الدين : حياة الحيوان الكبرى ، المكتبة الإسلامية ، بدون تاريخ ، ج٢ ، ص ٦٣ .

(١٨) الوتار : الوتار ، الدكتور نذير : لدغات الحشرات ، الشبكة العنكبوتية – موقع الدورية الطبية العربية .

والطلح والقتير والبؤام والقرماش . قال والقردان يخلق من عرق البعير ومن الوسخ والتلطخ بالأبوال . . . والقراد يعرض لأست الجمل)) [١٩]

٩- العناكب (True spiders):

كثير من أنواع العناكب غير ضار، وبعضها يتغذى على البعوض إلا أن هناك أنواعا منها تعتبر خطرة وتسبب كثيرا من المضاعفات عند مهاجمتها الإنسان ومن هذه الأنواع التي تؤذي الإنسان

أ – الرتيلاء (Solpugida) : هي أصل للعناكب الحقيقية :

تطلق هذه الحشرة أشعار تسبب الشري ، تؤدي لتحرر الهيستامين موضعيا ، وتتضمن أيضا (هيالورونيداز ، نيكلوتيداز) .

العلاج : داعم وعرضي مع كمادات باردة وتسكين يمكن إزالة الأشعار باستخدام شرائح لاصقة ويمكن استعمال الستيروئيدات موضعيا .

ب – العنكبوت الناسك البني :

لونه أسمر ضارب للصفرة،قد يكون بنيا غامقا طوله ٩ملم على ظهره شكل يشبه آلة الكمان . يحوي سمه ٨- ١٠ بروتينات أهمها السفنغوميليناز D المسؤول غالبا عن النخر الجلدي وفقر الدم الانحلالي .

الأعراض والعلامات الموضعية : ألم ، حكة في موضع اللدغة ، تعب ، قشعريرة وتعرق ، حمامى ، التهاب نسيج خلوي ، طفح ، نفاطة يكون الطفح عادة بقعيا نفطيا يغطي الجسم. وتبدأ الأعراض بشكل مشابه للإنفلونزا . تظهر خلال٢٤- ٤٨ ساعة بعد العضة ، يحدث انحلال دم

---

[١٩] الجاحظ : الحيوان (مصدر سابق)ج ٥ ، ص ٣٣٦ .

خلال ٢-٣ساعات ، يترافق مع سبات ، اختلاجات ، ثم الموت . وقد تحدث أعراض شديدة في عضات تبدو سليمة نسبيا(موضعيا)[٢٠].

العلاج : الموضعي العناية بالجرح ، وإعطاء المصل المضاد للكزاز ، مضادات الحياة إن حدث التهاب ، مسكنات ، الستيروئيدات .

ج - عنكبوت الأرملة السوداء :

لونه أسود ، شكله بيضوي ، على ظهره شكل يشبه الساعة الرملية لونه أصفر أو أحمر طوله ١.٥سم الأنثى هي الخطرة . يحتوي سمه اكثر من ٦ بروتينات فعالة أهمها ألفا-لاتروكسين (وهو سم عصبي قوي) يحرض إطلاق النواقل الكيميائية من النهايات العصبية ولاسيما الوصل العصبي العضلي يلي هذا التحريض حصار للنقل العصبي بسبب نقص الناقل في الحويصلات المشبكية .

الأعراض والعلامات : تبدو منطقة الاصابة ذات لون ابيض تحيط بها قساوة موضعية . لا يحدث نخر جلدي أو انحلال دموي . يبدأ الألم في المجموعات العضلية والعقد اللمفية الناحية ثم مجموعات عضلية أكبر أبعد . تترافق الحالة مع صداع ، تعرق ، غثيان ، وقيئ ، تململ ، وقلق . العلامات : تشنج عضلي وقساوة بطن ، اضطراب الجهاز العصبي الذاتي(تسرع قلب ، ارتفاع ضغط ، تسرع تنفس،بطء قلب) ، ارتعاش عضلي ، رجفة ، تقلصات معوية ، نعوظ مستمر. وفي حالات التسمم الشديد صدمة ، سبات ، قصور تنفسي ، إرتفاع ضغط .

---

[٢٠] الوتار : لدغات الحشرات (مصدر سابق) .

العلاج الموضعي للدغة عنكبوت الأرملة السوداء هوعناية بالجرح ، وإعطاء مصل مضاد للكزاز ، مسكنات . المصل المضاد يفيد في بعض أنواعه ويفضل السيطرة على الأعراض دون إعطاء المصل.

ولتبيان ما جاء عند الأطباء والعلماء العرب والمسلمين نورد قول ابن هبل البغدادي حيث يقول ((في نهش الريتيلا والشبث والعنكبوت الكبير)) .

((أما الريتيلا فهي دابة شكلها شكل العنكبوت الصغير الذي يسمى سبع الذباب ويسمى أيضا الفهد لأنه يقفز على الذباب ويصيده ، إلا أن الرتيلا أكبر منه بكثير تكون مختلفة الشكل واللون كثيرة الأصناف قيل ستة أصناف وقيل إثنا عشر صنفا وأردأها المصرية ، ومنها له جناح كجناح النملة الكبيرة ، ومنها حمراء وسوداء وصفراء ورقطاء وعنبية وذهبية وزغبانية وكوكبية على ظهرها خطوط براقة وذات خطوط وكلها يعرض عنها أعراض رديئة من إنتفاخ موضع اللسعة وإختلاط الذهن ووجع المعدة وكزاز وتمدد وصداع وسعال وقيْ دائم ، ومنها ما يعرض منه توتر القضيب وقذف مني وورم البطن وكثرة خروج الريح من أسفل وعرق بارد وكرب وقلق وسبات مهلك .

العلاج : يعالج موضع اللدغة بالمص والشرط ويعطى الترياقات المذكورة ويكرر جلوسه في الأبزن . وينفعهم من الأدوية بزر الحندقوقي والكمون الحبشي وبزر الشبث ولبن الخس البري وثمرة الطرفا وورق شجر الدلب وحب الصنوبر وجوز السرو والدارصيني والزراوند والكمون بالسوية ثلاثة دراهم بماء حار وطبيخ الهليون بالشراب .))

((واما العنكبوت الكبير والشبث وهو نوع من العناكب طويـل الأرجـل صغير الشكل يشبه قمع الورد ، يعرض من لسعها وجع المعدة وعسر بول وبراز وأرياح عظيمة في الـبطن وبـرد أطـراف ، وعلاجهـا عـلاج الريتيلا)) .[21]

وجاء في كتاب الحيوان للجاحظ ((العناكب ضروب ، فمنها هـذا الذي يقال له الليث وهو الذي يصيد الذباب صيد الفهود . . ومنها جنس إذا مشى على جلد الإنسان سم . ويقال أن العناكيب الطوال الأرجل إذا اتخذت بيتا أعدت فيه المصائد والحبائل والخيوط التي تلتـف علـى مـا يـدخل بيتها من أصناف الذباب وصغار الزنابير ، لأنها حين علمت أنهـا لا بـد من القوت وعرفت ضعف قائمها وانما تعجز عمـا يقـوى عليـه الليـث إحتالت بتلك الحيل . . وإناث العناكيب هي العوامـل ، والـذكر يـنقض ولا ينسج ، وان كان على النسج وعلى التقدم في احكـام شـأن المعـاش حين يولد)) .[22]

١٠- العقارب (Scoropionida):

حسب مفاهيمنا الحديثة أن العقارب من مفصليات الأرجل التـي تعيش في الأماكن الحارة والتي تتميز بلدغاتها السامة والمميتة في بعـض الأحيان ، ويمكن تصنيف درجات الإصابة بلدغتها [23] إلى :

---

[21] البغدادي ، مهذب الدين إبن هبل : المختارات في الطب ، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٦٤ هـ ، ج ٤ ، ص ١٨٣ . ص ٢٦

[22] الجاحظ : الحيوان (مصدر سابق)ج ٥ ، ص ٣٢٩ .

[23] الوتار : لدغات الحشرات (مصدر سابق) .

درجة_أولى : – في مكان الإصابة : ألم شديد يزداد باللمس أو الضغط مع
اضطراب حس .

درجة_ثانية : إضافة للألم تحرك اضطراب الحس في الطرف بعيدا عن
مكان الإصابة،مع تنمل حول الفم .

درجة_ثالثة : سوء وظيفة عصبية عضلية : ضجر ، رجفانات غير إرادية
شديدة التي تختلط باختلاجات . أو أذية أعصاب قحفية : مثل
تشوش رؤية ، حركات جوالة في العين ، فرط إللعاب ،
اضطراب بالبلع ، تحزمات في اللسان،خلل في الطريق
الهوائي ، كلام غيرمفهوم .

درجة_رابعة : إضافة للأعراض السابقة ، العقارب ذات السم العصبي :
تسبب ارتفاع ضغط ، تسرع نبض ، اختلاجات ، فرط سكر
الدم وزيادة في إللعاب ، والدمع ، اختلاجات فرط تغوط ،
تبول ، اقياء . وقد يسبب التسمم العصبي خاصة عند الأطفال :
ارتفاع أو هبوط ضربات في القلب ، تقلصات في البلعوم ،
مغص بطني ، قلة في البول ، اختلاجات ، وذمة في الرئة ،
وفشل في التنفس .

وكمثال لما ذكره الأطباء العرب والمسلمون حول ذلك نذكر قول
إبن هبل البغدادي حيث يقول عن أعراض لدغ العقرب ((في لدغ
العقرب : تختلف منها ما يقتل من فرط رداءة سمه ، ومنها ما لايقتل وهي
كثيرة الإختلاف ، قالوا إنها تسعة أنواع والأنثى منها أكبر والذكر أصغر
إلا أن شوكته أغلظ وهو أردأ سما ، ومنها ما له جناح ويطير وهو

أسلمها . ويعرض من لسعتها وجع شديد وبرد وكزاز وربما إختلط العقل ، وتعرض أعراض رديئة من ورم موضع اللسعة ونخس كـنخس الإبـر ، ومن الأعراض القتال البرد الشديد والخدر والغشي والعرق البارد وإنطباق الفكين وورم الذكر وبروز المقعدة ، وإن أصابت شريانا عرض الغشي أو العصب عرض التشنج أو أو الوريد عفنت الدم في تجاويف العروق ، ومن الناس من لايؤثر فيه العقرب البتة وربما تأثرت هي بمـن تلسـعه مـن أصحاب بأن تخدر ولا تستطيع الحركة وربما ماتت .)) [٢٤]

المعالجة : تتجه معالجة لدغة العقرب في الطب الحديث لتعـديل الأعراض لا لتعديل السم . إن معظم الحالات لا تسبب التسمم ، والعنايـة بالجرح هي المطلوبة فقط . وإعطاء المصل المضـاد (للدرجـة الثالثـة والرابعة فقط) زائدا زرقات أتروبين ، وادوية لعـلاج حـالات الضـغط المرتفع .

ولما كانت المصول غير معروفة لدى الأطباء العرب والمسـلمون لذا جاءت معالجاتهم للدغة العقرب حسب المستوى المعرفي لزمانهم ، على سبيل المثال كان الرازي (ت ٣١٣ هـ) يعالج لدغة العقرب خارجيـا : حيث يقول

((وينفع منه أن يكمد موضع اللدغة بالجاورس والملح المسخن أو بخرق مسخنة أو يدنى من النار . . ويطلى موضـع اللسـعة بـالنفط الأبـيض والجندبادستر أو بزيت غلي فيه الثوم))

---

[٢٤] البغدادي ، مهذب الدين إبن هبل : المختارات في الطب (مصدر سابق) ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .

وداخليا : حيث يذكر عدة وصفات عن طريق الفم منها ((وينفع منه أكـــل الثوم والحلتيت والبندق .. وهذا ترياق نافع للدغ العقارب جدا يؤخذ مـــن الزراوند الطويل والجنطيانا وحب الغار ومر ومن أصول الكبر وأصـــول الحنظل وأصول الأفسنتين النبطي أجزاء سواء يعجن بعسل ويؤخـــذ منـــه قدر جوزة . . .)) .[٢٥]

---

[٢٥] الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا : من لا يحضره الطبيب ، تحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم محمد ، دار الشؤون الثقافية – بغداد ١٩٩١ . ص ١٧٧ .

الموسوعات العربية الاسلامية مصدر لدراسة
تاريخ العلوم الاسلامية
نهاية الارب للنويري موضوع الدرس

الأستاذة نبيلة عبدالمنعم داود
مركز احياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

الملخص :

تعددت وتنوعت مصادر دراسة تاريخ العلوم عند العرب فمنها كتب التاريخ الاسلامي العام ، وتاريخ الامم الاخرى ، وكتب التراجم والطبقات والسير ، وفهارس الكتب التي ادرك العرب والمسلمون اهميتها في معرفة الحركة الفكرية فعني عدد منهم بذكر عدد من المؤلفين ومنهم ابن النديم ، وابن ابي اصيبعة والمؤلفات العربية في تاريخ العلماء ، وكتب الاطباء ، وكتب الثقافة العامة وهي كتب تناولت جوانب متعددة من الحياة والفكر ومنها ما يتصل بالعلم فذكرت بعض الحقائق والافكار العلمية ثم الموسوعات العربية الاسلامية التي نحن بصدد الحديث عنها .

المقدمـــة :

ان تاريخ العلم كالتواريخ الاخرى يدرس تطور العلم في الماضي وما مر به من احوال وتبدلات باعتباره عملية عقلية من انتاج الفكر البشري .

وقد شارك عدد كبير من الباحثين والمفكرين في توضيح معالمه وتحديد نطاقه الى ان اصبح يشمل : -

١- دراسة حياة العلماء ، ولاسيما البارزين منهم وما قدمه كل منهم الى العلم .

٢- دراسة الافكار والمعلومات المدونة من حيث المقدار والنوع سواء كان فكرة واحدة او علما محددا واحدا .

٣- التطبيقات العلمية في الحياة والتقنية .

٤- تطور الطريقة العلمية التي هي جزء اساس في كيان العلم وتقدير حقائقه .

٥- آثار العلم في المجتمع وتقدير مكانتها ودورها في انمائه وازدهاره او في جموده وركوده[١] .

ان مصادر دراسة التراث العلمي العربي الاسلامي كثيرة نظرا لانفتاح الامة العربية الاسلامية على انجاز الحضارات الاخرى التي سبقت قيام الحضارة العربية الاسلامية في ميادين العلوم والمعارف ومحاولة الافادة منها وتطويرها على المستويين النظري والعملي .

---

[١] الدكتور صالح احمد العلي : العلوم عند العرب ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ص٧-٨ .

ومن هذه المصادر ما كان متداخلا في البناء الفكري للامة العربية الاسلامية بفضل ما توارثته من معارف وعلوم من حضارات عربية سابقة وامم عاشت فوق الارض العربية فانجزت وطورت وابتكرت كثيرا من المعارف النظرية والعملية ومصادر اخرى اجنبية منها المصدر اليوناني .

ومما يؤسف له ان اكثر الدراسات التي تناولت انجازات المسلمين العلمية ركزت على ابراز ما للمصدر اليوناني من دور وتأثير في حين اهملت مصادر اخرى لاتقل اهمية عن المصدر اليوناني مثل المصدر البابلي والمصري وما ابدعته الحضارات العربية قبل الاسلام من معارف وعلوم[٢] .

لقد انتقل العلم البابلي والمصري الى اليونان عن طريق الاتصال التجاري وزيارة الفلاسفة لبابل ومصر واحتكاكهم بحضارتي بابل ووادي النيل[٣].

ان المصدرالمهم الذي ساهم في النهضة الاسلامية هو المصدر الذاتي للامة العربية الاسلامية ويضم مجموعة المعارف والعلوم التي عرفها عرب الجزيرة وشمالها وجنوبها ، وعرب الشام والعراق ، ثم الدعوة الاسلامية وما تحويه من معارف متصلة بالانسان فالقرآن الكريم هو المرجع بكل ما يتصل بحياة الانسان المسلم وسيرة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) مرجع آخر وبفضل الدعوة الاسلامية نشطت

---

[٢] الدكتور ياسين خليل : التراث العلمي العربي ، مطبعة جامعة بغداد ١٩٧٨، ص١٢-١٣.

[٣] المرجع نفسه ص٢٢-٢٣.

دراسات كثيرة اضافة الى الحديث النبوي الشريف والفقه والتاريخ ، ثم المعارف الرياضية والفلكية والطبية [٤].

لقد فتحت العقيدة الاسلامية ابواب العلم وحثت على طلبه اينما كان وحولت فكر الانسان المسلم من الاوهام والاساطير وعبادة الاوثان الى الاعتماد على النفس في الفهم واستخدام العقل واحلاله محل الاوهام والتجربة محل الاساطير.

لقد تعددت وتنوعت مصادر دراسة تاريخ العلوم فمنها كتب التاريخ الاسلامي العام ، وتاريخ الامم الاخرى ، وكتب التراجم والطبقات والسير، وفهارس الكتب التي ادرك العرب والمسلمين اهميتها في معرفة الحركة الفكرية فعني عدد منهم بذكر عدد من المؤلفين ومنهم ابن النديم ، وابن ابي اصيبعة (ت٦٦٨هـ) والمؤلفات العربية في تاريخ العلماء ، وكتب الاطباء ، وكتب الثقافة العامة وهي كتب تناولت جوانب متعددة من الحياة والفكر ومنها ما يتصل بالعلم فذكرت بعض الحقائق والافكار العلمية ثم الموسوعات العربية الاسلامية التي نحن بصدد الحديث عنها .

لقد حقق العرب المسلمون قبل اتصالهم بالعلوم الاجنبية قفزات علمية كبيرة حول القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فابتدعوا الاساليب العلمية والفنية للتثبت من رواية الحديث قبل تدوينه واهتموا بالاحكام الشرعية والسير والتاريخ وابتدعوا الاساليب الدقيقة في تدوين الوثائق متأثرين بذلك بمنهج الحديث النبوي[٥] .

---

(٤) المرجع نفسه ص١٨.

(٥) المرجع نفسه ص١٨.

ثم ظهرت حركة الترجمة ايام الامويين وتوسعت ايام العباسيين وبلغت اوجها بإنشاء بيت الحكمة وتطورت الحركة لكشف اسرار العلوم فنقلت الكثير من الكتب من السريانية واليونانية والفارسية والهندية[٦] .

ولم يقتصر الامر عند حدود الترجمة والنقل بل سرعان ما اتجه العلماء المسلمون الى وضع المصنفات في جميع العلوم ومنها الموسوعات يقول حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ) : ان التأليف على سبعة اقسام لايؤلف عاقل الا فيها وهي : -

١- شيء لم يسبق اليه فيخترعه .

٢- شيء ناقص يتممه.

٣- شيء مغلق يشرحه .

٤- شيء طويل يختصره دون ان يخل شيء من معانيه.

٥- شيء متفرق يجمعه . وهذا يصدق على الموسوعات .

٦- شيء مختلط يرتبه .

٧- شيء اخطأ فيه مصنفه فيصلحه .

وقد شملت المؤلفات جميع العلوم[٧].

ومما يلاحظ على الحركة العلمية عند العرب والمسلمين ان النزعة العلمية لازمت العالم المسلم في كل خطواته حتى بعد اتصاله بالحضارات الاجنبية فكان دائب العمل من اجل ادراك الحقيقة ، كما كان دائب العمل من اجل ربط المعرفة النظرية بالعمل[٨].

---

[٦] المرجع نفسه ص٥٨.

[٧] كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، بغداد مكتبة المثنى ص٤٠١ .

[٨] الدكتور ياسين خليل : العلوم الطبيعية عند العرب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠، ص١١.

يقول هبة الله ابو البركات البغدادي (ت٥٦١هـ) : " يقول قوم ان لكل علم عملا هو كالثمرة للشجرة فعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر...."[٩].

ويقول في موضع آخر : " ان العلم يراد للعلم والعمل ، والعلم اشرف من العمل في كثير من المعلومات"[١٠].

ويقول آخر : " العلم ميت يحييه الطلب فاذا حيي فهو ضعيف يقويه الدرس فاذا قوي بالدرس فهو محتجب تظهره المذاكرة فاذا ظهر فهو عقيم نتاجه العمل " [١١] .

وهكذا فان ابرز ما امتاز به الفكر العربي هو ربطه الحازم بين الاصول او المبادىء والتجارب فلم يتلق المعلومات دون تمحيص وروية وتجريب" [١٢] .

واستمر التأليف وتعددت وتنوعت فنونه وكان له في كل عصر سمة خاصة ، ولسنا بصدد الكلام عن هذا الموضوع لانه يشكل موضوعا مستقلا وما يهمنا من هذه الفنون الموسوعات العربية الاسلامية .

بدأ ظهور هذه الموسوعات بعد سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ على ايدي التتار الذين عاثوا فيها فسادا ثم تبعه تيمورلنك في اواخر القرن السابع الهجري فساهم في الخراب والدمار ونتيجة لهذا الوضع المضطرب

---

[٩] هبة الله ابو البركات البغدادي : المعتبر في الحكمة ، حيدرآباد الدكن ١٣٥٨هـ ، ج٢، ص٢٣١.

[١٠] المصدر نفسه ج٢ ص٢٣٢.

[١١] رشيد الدين الوطواط : غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة ، بولاق ١٢٨٤هـ ، ص٨٦.

[١٢] المعتبر في الحكمة ، ج٢، ص٢٣٢.

والفوضى العارمة فر الكثير من العلماء الى مصر وقد وقف حكامها ضد التتار فهزموهم وانقذوا الحضارة الاسلامية .

واحدث هؤلاء العلماء حركة علمية كبيرة في مصر حيث وجدوا ان خير طريقة لانقاذ الثقافة الاسلامية الضائعة هي جمعها في كتب كبيرة على شكل موسوعات أو دوائر معارف لاتدع صغيرة ولاكبيرة من تلك المواد الا احصتها.(١٣)

" وكان هناك باعث آخر عل تأليف هذه الموسوعات هو ديوان الانشاء والاهتمام به في الواقع هو الذي شجع العلماء والادباء وكتاب الموسوعات على هذا الاتجاه"(١٤).

وقد نبعت الثقافة من جديد على يد علماء من المصريين احيوا الثقافة الاسلامية وكتبوها كتابة جديدة وسلكوا في كتابتها طرقا جديدة . فهذا يجمع الثقافة في اطار العلوم الطبيعية والجغرافية ، وآخر يجمعها في اطار لغوي ، وثالث في اطار ادبي وهو النويري موضوع بحثنا ، ورابع في اطار جغرافي ، وخامس في اطار ديواني كما فعل القلقشندي في صبح الاعشى(١٥).

ولابد من القول ان الثقافة الاسلامية في العصر المملوكي كانت موسوعية الطابع . وان عصر الموسوعات كان مسبوقا بعصر آخر شهد حركة من التأليف الشبيهة بالموسوعات وكان ذلك في العصر العباسي

---

(١٣) الدكتور عبداللطيف حمزة : القلقشندي في كتابه صبح الاعشى ، سلسلة اعلام العرب (١٢) ، مصر ، وزارة الثقافة والاعلام ١٩٦٢، ص١٢-١٣ .

(١٤) الدكتور عبداللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي ، مصر ، ص٣١٥.

(١٥) القلقشندي في كتابه صبح الاعشى ص١٤.

حيث امتزجت ثقافات كثيرة وهي الثقافة الفارسية والثقافة اليونانية والثقافة الهندية التي ظهرت بسبب الترجمة فضلا عن الثقافة العربية وقوامها الشعر والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والخطب وغير ذلك.

امتزجت هذه الثقافات بعضها ببعض وكانت كل واحدة منها رافدا كبيرا يصب في نهر الثقافة الاسلامية ويزيدها قوة وحياة ونماء[١٦].

وكانت الكتب الادبية الاولى فيها فوضى في التأليف فقد جمعت كل مايفيد على اساس ان الادب بمعناه هو الاخذ من كل شيء بطرف فحكمة بجانبها بيتان من الغزل ، ونادرة لطيفة بجانبها خطبة بليغة ، وقصص في البخل بجانبها اخبار عن الخوارج وهكذا..... ثم جاءت الكتب الاخرى تحذو حذوها وتفرق مجتمعا وتجمع متفرقا ، وتزيد ما استحدث من الطرق الادبية[١٧].

وبمرور الزمن تغير منهج الموسوعات من الفوضى الى التنظيم الدقيق والتقيد بموضوع الموسوعة قدر المستطاع فالموسوعة الجغرافية تحاول ان تحصر نفسها في المعلومات الجغرافية واللغوية كذلك .

واشهر الموسوعات في هذا العصر موسوعة رشيد الدين الوطواط (ت٧١٨هـ) مباهج الفكر ومناهج العبر ، وابن منظور (ت٧١١هـ) في لسان العرب ، والنويري (ت٧٣٣هـ) في نهاية الارب في فنون الادب ، وابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ) في مسالك الابصار في ممالك الامصار ، والقلقشندي (ت٨٢١هـ) في صبح الاعشى في صناعة الانشاء .

---

(١٦) المرجع نفسه ص١٦ .

(١٧) احمد امين : ضحى الاسلام ، مصر ، ج١، ص١٧٠-١٧١.

وسوف نختار كتابا يمثل الموسوعات هو (موسوعة النويري نهاية الارب في فنون الادب) ونركز على دراسة العلوم الطبيعية فيها لنؤكد ان هذه الموسوعات قدمت مادة علمية تضاف الى المادة العلمية في المصادر الاخرى . وقبل الدخول في الموضوع لابد من التعريف بالنويري تعريفا موجزا .

النويري[١٨]

هو احمد بن محمد بن عبدالدائم القريشي التيمي البكري نسبـــة الى

---

(١٨) ترجمته في : صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) : الوافي بالوفيات تحقيق الدكتوراحسان عباس فيسبادن ١٩٨١، ج٧، ص١٦٥، الصفدي : اعيان العصر واعوان النصر ، تحقيق الدكتورعلي ابو زيد ، الدكتور نبيل ابو عمشة ، الدكتورمحمد موعد، الدكتورمحمود سالم محمد ، بيروت ، دار الفكر ١٩٩٧، ج١، ص٢٨١، اسماعيل بن كثير(ت٧٧٤هـ) : البداية والنهاية في التاريخ ، بيروت ، مكتبة المعارف ط٢، ١٩٧٧ ، ج١٤، ص١٦٤ ، شهاب الدين احمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ) : الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، بيروت ، دار الجيل ، ج١ ، ص١٩٧، جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق احمد يوسف نجاتي ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٥٦، ج١ ، ص٣٦١-٣٦٢ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مصر ، وزارة الثقافة والارشاد (سلسلة تراثنا) ج٩ ، ص٢٩٩، مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ) : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، بغداد ، مكتبة المثنى ، ج٢ ، ص١٩٨٥ ، خير الدين الزركلي : الاعلام ، بيروت ، ج١ ، ص١٥٨ ، فازيليف : العرب والروم ، ص٣٢٨(نقلا عن الزركلي)عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، بيروت ، دار احياء التراث ، ج١، ص٣٠٦.

ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) والنويري نسبة الى نويرة ناحية بمصر[١٩].

ونسبة ابن تغري بردي بـــ احمد بن عبدالوهاب بن احمد بن عبادة شهاب الدين البكري النويري الشافعي[٢٠].

وسماه الصفدي احمد بن عبدالوهاب بن عبدالكريم شهاب الدين النويري المحتد ، القوصي المولد[٢١].

اما حاجي خليفة فقد سماه شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب النويري الكندي[٢٢]. وهذا غير صحيح لان مصادر ترجمته لم تذكر ذلك .

ولد النويري في ناحية نويرة عام ٦٧٧هـــ وقضى طفولته بها ثم غادرها الى قوص وهي مدينة كبيرة من صعيد مصر اكثر اهلها تجار ولهم ثروات كبيرة وهي محط القادمين من التجار من عدن[٢٣] .

وكانت مدينة قوص آنذاك من البيئات العلمية بالديار المصرية فتربى بها ودرس على عدد من العلماء اشارت الى ذلك مصادر ترجمته ولم تفصل المصادر في سيرته العلمية سوى ذكر عدد الذين تلقى عليهم العلم .

---

(١٩) نويرة ناحية بمصر بلفظ تصغير النار ، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـــ) : معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ج٥ ، ص٣١٢.

(٢٠) المنهل الصافي ، ج١، ص ٣٦١-٣٦٢.

(٢١) اعيان العصر واعوان النصر ج١ ، ص٢٨١.

(٢٢) كشف الظنون ج٢، ص١٩٨٥ .

(٢٣) معجم البلدان ج٤ ، ص٤١٣.

كان العصر الذي عاش فيه النويري عصر سيطرة المماليك على مقاليد الحكم وكان عصر اضطراب سياسي واقتصادي . عاصر النويري الملك الناصر محمد بن قلاووق[٢٤] (٦٨٤-٧٤١هـ) والذي استمر في الحكم ٣٢عاما وكان مقربا للملك الناصر وخدم الديوان وباشر نظر الجيوش بطرابلس في وقت ونظر الديوان بالدهقلية والمرتاحية [٢٥].

كان العصر الذي نشأ فيه النويري عصر اضطراب، سياسي في الداخل والخارج وقد فصلت المصادر والمراجع طبيعة هذا العصر ولسنا بصدد الكلام عليه وما يهمنا الحالة الثقافية للعصر لان آراء المرء وتصرفاته وافكاره ومشاعره انما تؤثر فيها وتوجهها النظم والتقاليد والعادات السائدة في مجتمع العصر الذي نشأ فيه.

تميز عصر النويري بظهور دور العلماء وتأثيرهم في الرأي العام وقد تسابق الامراء والسلاطين في اغداق الاموال على التعليم والاهتمام

---

[٢٤] ترجمته في : الوافي بالوفيات ج٤، ص٣٥٣ ، محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ) : فوات الوفيات ، تحقيق الدكتوراحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ج٤ ، ص٣٥، تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر ط٢ ، ق٣ ، ج٢ ، ص٧٩٢ ، الدرر الكامنة ، ج٤، ص١٦١ ، النجوم الزاهرة ،ج٨، ص١٨٢ ، محمد بن اياس الحنفي (ت٩٣٠هـ) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة ١٩٨٢، ق١، ج١، ص٥٣٧ ، الزركلي : الاعلام ٢٣٢/٧، الدكتورمحمد عبدالعزيز مرزوق ، الناصر محمد بن قلاوون، مصر وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة اعلام العرب .

[٢٥] اعيان العصر واعوان النصر، ج١، ص٢٨١.

بالعلم والعلماء ومثال ذلك ماعمله الملك الناصر قلاوون من تقريب الملك المؤيد ابي الفدا وتلقيبه بامك الصالح وتوليته حماة[٢٦] .

وكانت ثقافة العصر تتمثل بالعلوم القرآنية واللغة والحساب والفقه والخط[٢٧].

عاش النويري في هذا العصر ولم تزودنا مصادر ترجمته عن سيرته العلمية سوى انها اشارت الى انه درس على:

الشريف موسى بن علي بن ابي طالب (ت٧١٥هـ)[٢٨].

واحمد بن نعمة الحجار (ت٧٣٠هـ)[٢٩].

وزينب بنت احمد بن محمد بن عثمان بن منجا(ت٧٥٠هـ)[٣٠].

ويعقوب بن احمد وقاضي القضاة ابن جماعة (ت٧٣٣هـ)[٣١].

واضاف ابن حجر الى شيوخه يعقوب الهدباني .

اما سيرته العلمية فقد اجمعت مصادر ترجمته على انه كان فقيها فاضلا مؤرخا بارعا وله مشاركة في العلم ويكتب الخط المنسوب[٣٢].

---

(٢٦) السلوك ق٢ ، ج٢، ص٣٥٤. اعيان العصر واعوان النصر، ج١، ص٢٨١.

(٢٧) الناصر ، محمد بن قلاوون ، ص٤١.

(٢٨) ترجمته في اعيان العصر ، ج٥ ،ص٢٨٤.

(٢٩) ترجمته في اعيان العصر ،ج١، ص٤٠٥.

(٣٠) ترجمته في الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص١١٨.

(٣١) ترجمته في البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص١٦٣.

(٣٢) المنهل الصافي ، ج١، ص٣٦٢.

وقال عنه الصفدي كان ذكي الفطرة فيه أريحيه ومكرمة وود لاصحابه وله نظم ونثر وقد ذكر ذلك من ترجم له الا انهم لم يرو له بيتا واحدا[٣٣] .

وقال عنه ابن كثير كان لطيف المعاني ناسخا مطبقا يكتب في اليوم ثلاث كراريس وكتب البخاري (٨) مرات ويقابله ويجلده ويبيعه ويبيع النسخة بالف درهم او نحوه[٣٤] .

ويذكر الصفدي انه كتب تاريخه وباعه بالفي درهم[٣٥].

ولم تشر مصادر ترجمته الى مؤلفاته سوى تاريخه او موسوعته نهاية الارب في فنون الادب فقد سماه ابن كثير " منتهى الارب في علم الادب" في ثلاثين مجلدا ويقول وبالجملة كان نادرا في وقته[٣٦].

ويذكر ابن تغري بردي ان له تاريخا سماه " منتهى الارب في علم الادب" ويقول رأيته وانتقيته ونقلت منه بعض الشيء في هذا التاريخ[٣٧] .

ولكن هذا لايتفق مع نسخة الكتاب التي وصلت الينا والتي نشرتها دار الكتب المصرية وان النويري نفسه سماه"نهاية الارب في فنون الادب"[٣٨] .

---

(٣٣) الوافي بالوفيات ، ج٧، ص١٦٥.

(٣٤) البداية والنهاية ، ج١٤، ص١٦٤.

(٣٥) اعيان العصر ، ج١، ص٢٨١.

(٣٦) البداية والنهاية ، ج١٤، ص١٦٤.

(٣٧) النجوم الزاهرة ج٩ ، ص٢٩٩.

(٣٨) نهاية الارب في فنون الادب ، ج١، ص٢٥.

ولم تذكر مصادر ترجمته التي ذكرناها آنفا الا في هذا الكتاب الا ان حاجي خليفة يقول في هامش تعريفه للنويري انه لخص مجموعة من الكتب وهي : احياء علوم الدين ، اللمعة النورانية ، الملل والنحل . القصيدة العبدونية وشرحها ، فقه اللغة ، الامثال ، الحماسة ، ديوان المتنبي ، ديوان البحتري ، ديوان البستي واكثر دواوين الشعراء مباهج الفكر ومناهج العبر، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق[٣٩].

ولم يذكر أحد غير حاجي خليفة هذه الكتب ولعله لخصها فعلا لانها من مصادر موسوعته نهاية الارب في فنون الادب وهي من اهتماماته الادبية .

وليس بغريب ان يكون النويري مثلا في التأليف لانه قضى شطرا من عمره في الاعمال الديوانية ثم تركها كما صرح في مقدمة كتابه وانصرف للادب وقضى بقية عمره في كتابه موسوعته نهاية الارب .

ويقول الزركلي " ويكفيه انه مصنف كتاب نهاية الارب وهو كبير جدا اشبه بدائرة معارف لما وصل اليه العلم عند العرب" [٤٠].

ويقول الدكتورعبداللطيف حمزة " القارىء لكتابه – نهاية الارب – يعجب كيف مزج بين العلوم والاداب مزجا قويا فهو اذا تحدث عن السماء لايقف عندما وصل اليه المنجمون والفلكيون في زمانه وما حصلوه من علمي الفلك والتنجيم ولكن يتجاوز هذا الى ما ورد في القرآن عن السماء

---

[٣٩] كشف الظنون ، ج٢ ، ص١٩٨٥.

[٤٠] الاعلام ، ج١ ، ص١٥٨.

وما ورد في الحديث عنها ثم الامثال العامة التي وردت في كلمة السماء ثم طائفة من الاشعار[41] .

وهكذا قضى النويري عمره في العمل بالادارة وفي الكتابة والتأليف حتى توفاه الله وهو في الخمسين من العمر بمرض اصابه سنة ٧٣٣هـ[42] .

بعد ان خدم العلم والمعرفة وقدم موسوعة علمية ضخمة قيدت تراث العرب والمسلمين واصبحت مصدرا لدراسة كثير من العلوم وخاصة العلوم الطبيعية .

نهاية الارب في فنون الادب : ــ

موسوعة ادبية تقع في (٣٠) مجلدا جعلها في خمسة فنون

الفن الاول في السماء والاثار العلوية والارض والمعالم السفلية وفيه (٥) اقسام وفيه ابواب .

اما الفن الثاني فخصصه للانسان وما يتعلق به وهو من (٥) اقسام ايضا وفيه عدة ابواب .

اما الفن الثالث فهو في الحيوان الصامت ويشتمل على (٥) اقسام وفيه عدة ابواب.

الفن الرابع في النبات ويشتمل على (٥) اقسام يضم كل قسم عدد من الابواب .

---

[41] القلقشندي في كتابه صبح الاعشى ص٢٣.

[42] لكن ابن تغري بردي في المنهل الصافي يجعلها ٧٣٢هـ .

اما الفن الخامس فخصصه للتاريخ ويشتمل على (٥) اقسام من مبدأ خلق آدم واخبار الدول المختلفة الى ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ان هذه المواد المتنوعة التي ضمها النويري في كتابه تدل على سعة اطلاع وموسوعية ولعله كان متأثرا بعصره الذي عاش فيه وهو عصر الموسوعات فقد سلك هذا المنهج كل من رشيد الدين الوطواط (ت٧١٨هـ) في مباهج الفكر ومناهج العبر وابن منظور (ت٧١١هـ) في لسان العرب وقد عاصرا النويري وان اختلفت هذه الموسوعات في السعة والعمق وقد استفاد منها مع موسوعة ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ) مسالك الابصار في ممالك الامصار القلقشندي (ت٨٢١هـ) في موسوعته صبح الاعشا في صناعة الانشا .

ان ما قدمه النويري في نهاية الارب وما اهتم به من هذه المواضيع المتنوعة لم يكن السابق فيها بل كان هذا الاهتمام امتدادا لتوجهات سبقته بدأها ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) في كتابه ادب الكاتب ، هذا الكتاب الذي يعده ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) احد الاركان الاربعة لاصول الادب هو وكتاب الكامل للمبرد (ت٢٨٥هـ) والبيان والتبيين للجاحظ (ت٢٥٥هـ) والنوادر للقالي (ت٣٥٦هـ)[٤٣] .

بدأ هذا الاهتمام عند علماء اللغة فقد عني ابن قتيبة بتدوين اللغة في مصنفه حسب المواضيع ، فكان هذا الكتاب وغيره من الكتب التي الفت للكتاب وهم موظفو الدواوين الذين صاروا يكتبون بالعربية وكان عليهم اتقانها ومعرفة المعاني الصحيحة لمفرداتها لكي يتجنبوا باستعمالها الاخطاء التي قد تؤدي الى ارباك في الادارة وظلم الناس[٤٤] .

---

(٤٣) مقدمة ابن خلدون ، بيروت ص٥٥١.

(٤٤) الدكتورصالح احمد العلي : العلوم عند العرب ص٤٤.

واستمر هذا التوجه بالتوسع حسب طبيعة العصر فظهرت كتب اكثر تخصصا منها : كتاب البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب (ق٤هـ)[٤٥] ، وكتاب جوامع العلوم لابن فريغون (ت٤٠١هـ)[٤٦] ، وكتاب مواد البيان لعلي بن خلف الكاتب (الف الكتاب سنة ٤٣٧هـ)[٤٧] ، والذي كان مصدرا اساسيا للقلقشندي في صبح الاعشا ،

ثم جاء احمد بن جعفر بن شاذان (ق٧هـ) فوضع كتابه ادب الوزراء[٤٨] ضمنه كل ما يحتاج اليه موظف الادارة والوزير من معلومات عامة فذكر كل المجالات الثقافية فجاء كتابه متنوعا اشبه بموسوعة صغيرة .

---

(٤٥) صدر الكتاب في بغداد بتحقيق الدكتور احمد نطلوب والدكتورخديجة الحديثي .

(٤٦) نبيلة عبدالمنعم داود : تصنيف العلوم في جوامع العلوم (بحث في الندوة العالمية السابعة لتاريخ العلوم عند العرب ، معهد التراث العلمي بجامعة حلب بالتعاون مع دولة الامارات العربية – العين عام ٢٠٠٠ ، وانظر نبيلة عبدالمنعم داود : مخطوط جوامع العلوم نص جديد في الادارة العربية ، نشر ضمن الكتاب التذكاري بمناسبة بلوغ الدكتور صالح درادكة الاستاذ في الجامعة الاردنية سن السبعين ص٥١٦ – ٥٣٥ ، ٢٠٠٩) واقوم بتحقيق هذا الكتاب الذي هو موسوعة صغيرة تناولت قضايا الادارة وفنون معرفية متنوعة .

(٤٧) نشر الكتاب مرة على شكل ابواب في مجلة المورد العراقية بتحقيق الدكتورحاتم الضامن ، واخرى في بيروت بشكل مستقل.

(٤٨) دراسة وتحقيق نبيلة عبدالمنعم داود وسيصدر قريبا عن شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ، وانظر نبيلة عبدالمنعم داود : دراسة لكتاب ادب الوزراء لاحمد بن جعفر بن شاذان (بحث منشور ضمن بحوث ودراسات الجامعة الاردنية مهداة الى الدكتورعبدالعزيز الدوري ١٩٩٥، ص٣٣٢-٣٥١) .

وقد ضمن هؤلاء جميعا كتبهم مادة علمية قيمة تخص اسماء العلماء وآراءهم . وظهر هذا الفن من التأليف عند محمد بن ابراهيم الوطواط (ت٧١١هـ) في موسوعته مباهج الفكر ومناهج العبر والذي يمثل احدى موسوعات العلوم الطبيعية والجغرافية ولكن باسلوب ادبي موضح بالشواهد الشعرية والنثرية وتضمن اربعة فنون هي[٤٩] :

الاول : في الفلك والاجرام السماوية .

الثاني : في الجغرافية وضمنه فصلا عن المعادن والاحجار[٥٠].

الثالث: في الحيوان[٥١] .

الرابع : في النبات[٥٢] .

وقسم كل فن الى مجموعة من الابواب والفصول : ـ

ومن الموسوعات الجغرافية المهمة موسوعة احمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ) الموسومة مسالك الابصار في ممالك

---

[٤٩] من مباهج الفكر ومناهج العبر : رشيد الدين الوطواط : صفحات من جغرافية مصر ، تحقيق الدكتورعبدالعال عبادالمنعم الشامي ، الكويت ١٩٨١، ص١٠-١١.

[٥٠] نبيلة عبدالمنعم داود والدكتورنداء نجم الدين : المعادن والاحجار في مخطوط مباهج الفكر (بحث في ندوة علوم الارض وتطورها ، مركز احياء التراث بجامعة بغداد بالتعاون مع اتحاد الجيولوجين العرب عام ٢٠٠٠) .

[٥١] حقق هذا القسم في بغداد الدكتورعبدالرزاق احمد الحربي ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٠.

[٥٢] حقق هذا القسم السيد ناصر حسين كرسالة ماجستير في معهد التاريخ العربي ، منشورات المجمع العلمي العراقي ٢٠٠٨ .

الامصار وتقع في (٢٧) مجلدا، الاول والثاني منها للجغرافية والباقي لمواضيع متنوعة من الادب والشعراء والوزراء وغيرهم كما تكلم عن النبات والحيوان والمعادن[٥٣]. وجاء بعدهم واستفاد منهم فائدة كبيرة وكان امنيا في الاشارة اليهم ابو العباس احمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ) في كتابه صبح الاعشى في صناعة الانشا حيث ضمن كتابه مادة علمية عن : وصف النوع الانساني ،والحيوان ،والاجسام الارضية والاحجار والعطور والالات والافلاك والكواكب والنبات .

ان النويري حين الف موسوعته نهاية الارب وكان يقدم كتابا جامعا لمواد متنوعة تخدم ثقافة عصره وقد وضح ذلك في فاتحة كتابه يقول : (هذا مجموع يشتمل على اقسام وذيول وابواب وينطوي كل باب على فصول واخبار ويحتوي على وقائع وآثار ....وما اوردت فيه الا ما غلب على ظني ان النفوس تميل اليه ، وان الخواطر تشتمل عليه ولو علمت ان فيه خطأ لقبضت بناني وغضضت طرفي ....)[٥٤].

كما وضح النويري منهجه في موسوعته يقول : (ولكني تبعت فيه آراء الفضلاء قبلي وسلكت منهجهم فوصلت بحبالهم حبلي فان يكن اعتراض فعلى علاهم لا علي العار وقد علمت ان من صنف كتابا فقد

---

[٥٣] نبيلة عبدالمنعم داود : العلوم الصرفة في مخطوط مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري (الحيوان ، النبات ، المعادن) بحث منشور ضمن الوقائع الكاملة للمؤتمر الدولي السادس لتاريخ بلاد الشام ، جامعة دمشق بالتعاون مع الجامعة الاردنية ٢٠٠١ ، ص١١٤- ١٤٧.

[٥٤] شهاب الدين النويري : نهاية الارب في فنون الادب ، مصر ، وزارة الثقافة والاعلام ، ج١، ص٢٥.

استهدف واصم الاسماع وان كان لبعضها قد شنف)[٥٥] ثم يستمر الاعتذار عن الخلل ويقول : (ولكن ليس من عثرة الكتاب امان)[٥٦] .

اما منهجه في اقتباس المعلومات فقد ذكر ذلك في فاتحة كتابه فقال : (فامتطيت جواد المطالعة ، وركضت في ميدان المراجعة ،وحيث ذل لي مركبها ، وصفا لي مشربها ، آثرت ان اجرد منها كتابا استأنس به وارجع اليه ،واعول فيما يعرض لي من المهمات عليه.....)[٥٧].

وكان دقيقا في الاشارة الى المصادر التي استقى منها معلوماته وسوف نشير الى ذلك في مواضعه . وهو دقيق جدا في تأكيد على الافادة من غيره وقد صرح بذلك اكثر من مرة ففي فاتحة الكتاب يقول (..... وطوقته بقلائد من مقولي ورصعته بفرائد من منقولي......)[٥٨].

وفي موضع آخر يقول في وصفه للحيوانات ويذكر منهجه في ذلك فيقول: (لكني استغنيت بما الفته من منقولي عما اصنفه من مقولي وعلمت اني اقصر في حق هذه الرتبة فأحجمت ،واقف دون بلوغ هذه الحلبة فامسكت ، وقد تقدمني من بالغ في هذا واطنب ووجد المقال فبسط القول واسهب وحاز المعاني فما ترك لسواه مذهب فاختصرت عند ذلك المقال....)[٥٩] .

---

[٥٥] المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٦ .

[٥٦] المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٦.

[٥٧] المصدر نفسه ، ج١، ص٣.

[٥٨] المصدر نفسه ج١، ص٢٥ .

[٥٩] المصدر نفسه ج٩ ، ص٢٢٥ .

فهو على علم بكثير من الامور التي ذكرها في كتابه الا انه يقدر الريادة والسبق العلمي .

وقد عرض النويري كل معوماته بأسلوب سلس واضح يدل على عمق وتمكن في العربية واسرار البلاغة مما اعطى اسلوبه صفة ادبية راقية حتى في المواضيع الجافة التي ذكرها . يدل على ذلك كثرة الاشعار والرسائل الادبية التي تشكل بمجموعها موضوعا جديرا بالدراسة وتؤكد اهمية الشعر والنثر وكونهما مصدرا من مصادر دراسة تاريخ العلوم .

ولعل تمكنه بالعربية وتضلعه من الأدب والشعر يعود الى انه عمل طوال حياته بالكتابة وفي ذلك يقول : (وكنت ممن عدل في مباديه وجعل صناعة الكتابة فننه الذي يستظل بوارفه وفنه الذي جمع له فيه بين تليده وطارفه ، فعرفت جليها وكشفت خفيها .... ثم نبذتها وراء ظهري ..... وسألت الله تعالى الغنية عنها ، وتضرعت اليه فيما هو خير منها، ورغبت في صناعة الاداب وتعلقت باهدابها وانتظمت في سلك اربابها ....)[٦٠]

وسوف اتناول بالبحث في هذه الموسوعة الفنون الخاصة بالسماء والاثار العلوية ، ثم الانسان ، ثم الحيوان ، ثم النبات والتي هي ضمن العلوم الصرفة وهي العلوم المعنية بمشاهدة وتصنيف الحقائق وصياغة القوانين النظرية والعلاقات العامة المبرهنة التي يمكن التحقق من صحتها لتسخيرها لخدمة الانسان وتشمل العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية من فلك وحيوان ونبات .

---

[٦٠] المصدر نفسه ج١، ص٣.

وقد ادرجها علماء تصنيف العلوم ضمن علم الطبيعة كما ذكر كل من الكندي (ت٢٥٢هـ) والفارابي (ت٢٥٦هـ) في احصاء العلوم واخوان الصفا (ق٤هـ) في رسائلهم ، وابن سينا (ت٤٢٩هـ) في الشفاء ،وابن ساعد السنجاري (ت٧٤٩هـ) في ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد وكذلك ابن خلدون.

هذه العلوم كما يقول اخوان الصفا وضعت لطلب المعاش وصلاح امر الدنيا .

وقد ادرجها النويري في موسوعته ليس من باب تصنيف العلوم بل كمعرفة عامة او ثقافة عامة يحتاج اليها الانسان في حياته تمشيا مع منهجه في اعداد موسوعته ولكن حين ذكرها سلك فيها منهجا واضحا محددا ذكره في بداية الكلام عن كل فن ، وكان له منهجه في الانتقاء والاختيار .

وسوف اعرض بشكل موجز عن الفنون التي اشرت اليها والتي تخص المادة العلمية او العلوم الطبيعية كما قلت في بداية الحديث .

الفن الاول في السماء والآثار العلوية والارض والمعالم السفلية وجعل هذا الفن في خمسة اقسام :

القسم الاول : السماء وما فيها وفيه خمسة ابواب هي :

الباب الاول : في مبدأ خلق السماء .

الباب الثاني: في هيئتها .

الباب الثالث : في الملائكة .

الباب الرابع : في الكواكب السبعة .

الباب الخامس : في الكواكب الثابتة[٦١].

وقد كان له منهجه في ذكر الأمور التي اشار اليها فهو يبدأ بآيات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وآراء المفسرين ثم الاستفادة من المصادر التي تناولت هذه المواضيع ،وبعدها يتبعها في الوصف والتشبيه فيذكر اشعارا وصفت تلك المواد ، ثم ما يضرب بها من الامثال ، ثم ما يذكر منها على سبيل الذم والامثلة على ذلك كثيرة جدا وسنشير الى بعض منها بشكل موجز[٦٢] .

ولطبيعة موسوعته الادبية يكتفي احيانا بذكر مجموعة من الاشعار ومثال ذلك حين تكلم على الفلك فذكر اشعارا لابي العلاء المعري وابن سينا والبحتري يصفون الفلك[٦٣] .

وفي موضوع الملائكة اعتمد فيه على آيات من القرآن الكريم وآراء المفسرين[٦٤] .

وذكر الكواكب السبعة المتحيرة وهي : زُحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعُطارد ، والقمر. وذكر ان اسماء هذه الكواكب عند العرب مشتقة من صفاتها فالمريخ مثلا سمي كذلك لاحمراره وانه مأخوذ من المرخ وهو شجر تحتك بعض اغصانه ببعض فتوري نارا

---

(٦١) المصدر نفسه ج١ ، ص٢٧-٧٠ .

(٦٢) المصدر نفسه ج١، ص٢٨-٣٤.

(٦٣) المصدر نفسه ج١، ص٣٤-٣٥.

(٦٤) المصدر نفسه ، ج١، ص٣٦.

فسمي بذلك . والقمر مأخوذ من القمرة وهي البياض، والاقمر الابيض .
ويذكر اسماء الكواكب بالفارسية ويستشهد باشعار في وصف الكواكب .

أما منهجه في وصفها فيقول : ان كل كوكب من هذه الكواكب اختص بقول ....: "وسنذكر من ذلك ما تقوم به الحجة وينهض به الدليل من الكتاب والسنة وما ورد في ذلك من الاوصاف والتشبيهات . نظما ونثرا مما وقفت عليه اثناء مطالعتي لكتب الفضلاء وتصنيفاتهم ودواوينهم ، وعدلت عن اقوال المنجمين لما فيها من سوء الطوية وقبح الاعتقاد لان منهم من يرى ان للنجوم في الوجود تأثيرات وافعالا اعاذنا الله تعالى من ذلك"[٦٥] .

ثم يتكلم على الشمس وما قيل فيها ، ويذكر ما يتمثل به في ذكر الشمس واشعار جاءت في وصفها وتشبيهها ، وذكر ما وصفت به على طريق الذم مثال ذلك يقول : ان قربت منها صرت زنجيا ، وان بعدت عنها صرت صقليا[٦٦].

ويذكر الكسوف ولكنه يكتفي بذكر ان الشمس كسفت ايام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويتمثل بشعر لمحمد بن هاني في الكسوف :

هي الحوادث لاتبقي ولا تــذر ما للبــرية مــن محتومهـــا وزر
لوكان ينجى علو من بوائقها لم تكسف الشمس بل لم يخسف القمر

---

[٦٥] المصدر نفسه ، ج١، ص٤٠.

[٦٦] المصدر نفسه، ج١، ص٤٠-٤٧ .

ويتبع ذلك بكر اسماء الشمس اللغوية والاسماء التي نطقتها العرب فمنها : ذُكاء ، والجارية ، والجونة ، والغزالة ، واللاهة ، والضحى ، والضح ، ويوح ، والشرق ، وحناذ، والعين ، والمووبة ، والسراج .
ويذكرموضوعا عن عباد الشمس .

ثم ذكر القمر وما قيل فيه من استهلاله الى انقضاء الشهر واسماء لياليه ، ثم ذكر اسماء القمر اللغوية التي ذكرتها العرب ومنها : الباهر، البدر ، الطوس ، والجلم ، والفاسق، والواضح ، والباحور ، والابرص، والزمهرير ، ومنه قوله سبحانه وتعالى {لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا} ثم ما يتمثل به في الشعر ثم الوصف والتشبيه وما قيل فيه على طريق الذم ، ثم عباد القمر وعباد الروحانيات وبيوت الهياكل(٦٧) .

اما موضوع الكواكب الثابتة ، فقال : انما سميت بالثوابت ،وان كانت متحركة لانها ثابتة الابعاد على الابد لايقرب احدها من الاخر ولايبعد عنه ولايزيد ولاينقص ولاتتغير عن جهاتها لانها تتحرك بحركتها الطبيعية حول قطبي العالم ولهذا سميت ثابتة (٦٨) . ثم يستمر في منهجه فيذكر ما يتمثل به في ذكر الكواكب ووصفها.

اما القسم الثاني من الفن الاول فقد جعله في الاثار العلوية وجعله على اربعة ابواب .

الباب الاول : في السحاب وسبب حدوثه وفي الثلج والبَرَد .

الباب الثاني : في الصواعق والنيازك والرعد والبرق .

---

(٦٧) المصدر نفسه ج١، ص٤٨-٦٣.

(٦٨) المصدر نفسه ج١، ص٦٥-٦٤.

الباب الثالث : في اسطقس الهواء.

الباب الرابع : في اسطقس النار واسمائها[٦٩] .

ويفسر سبب حدوث السحاب استنادا الى قول الزمخشري في تفسيره حيث يقول : السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لاكزعم من يزعم انه يأخذ من البحر ويؤيد ذلك قوله عزوجل {وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَدٍ}[٧٠].

ويكثر من ذكر الاسماء اللغوية للسحاب واصنافه ويعتمد في ذلك على الثعالبي في فقه اللغة فيخصص بابا في ترتيب السحاب واسمائه اللغوية واوصافه :

اول ما ينشأ السحاب فهو نشئٌ .

فاذا انسحب في الهواء فهو السحاب .

فاذا تغيرت وتغممت له السماء فهو الغمام .

فاذا كان غيم ينشأ في عرض السماء فلا تبصره وانما تسمع رعده فهو العقى .

فاذا اطل واظل السماء فهو العارض .

فاذا كان ذا رعد وبرق فهو العرّاض

فاذا كانت السحابة قطعا متدانيا بعضها من بعض فهي النمِّرة .

فاذا كانت متفرقة فهي القـــزَع .

فاذا كانت قطعا متراكمة ، فهي الكرفيء واحدتها كرفئة

---

(٦٩) المصدر نفسه ج١، ص٧١-١٢٩.

(٧٠) المصدر نفسه ، ج١، ص٧٢.

فاذا غلظ السحاب وركب بعضه بعضا فهو المكفهر.

فاذا ارتفع ولم ينبسط فهو النشاص

فاذا اظل الارض فهو الدجن .

فاذا اسود وتراكب فهو المحمومي .

فاذا تعلق سحاب دون السحاب فهو الرباب .

فاذا كان سحاب فوق سحاب فهو الغفارة

فاذا تدلى ودنا من الارض مثل هدب القطيفة فهو الهَيدب

فاذا كان ذا ماء كثير فهو القنيف

فاذا كان ابيض فهو المزن والصبير.

فاذا كان لرعده صوت فهو الاجش .

فاذا كان باردا وليس فيه ماء فهو الصُراد .

فاذا كان ذات صوت شديد فهو الصَّيب .

فاذا هرق ماءه فهو الجهام[٧١] .

كما يذكر المطر واسماءه اللغوية معتمدا على الثعالبي في فقه اللغة منها :

اذا احيا الارض فهو الحيا .

واذا جاء عقيب المحل فهو الغيث .

فاذا زاد فهو الهثلان والهثان والتهتان .

واذا كان مستمرا فهو الودق .

واذا ضخم القطر شديد الوقع فهو الوابل .

فاذا دام اياما لايقلع فهو العين .

---

[٧١] المصدر نفسه ج١، ص٧٢-٧٤.

فاذا كان كثير القطر فهو الغدق .

فاذا اتى المطر بعد المطر فهو الولي .

فاذا تتابع فهو اليعلول .

فاذا جاءت المطرة دفعات فهو الشآبيب[٧٢] .

ويتبعها بذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر المطر ،والوصف شعرا ونثرا. اما الثلج والبرد فلا يفسر حدوثهما ويكتفي بذكر اوصافهما في الشعر لكشاجم والصاحب بن عباد والنميري ، يقول الصاحب :

اقبل الثلج في غلائل نـــــور   تتهادى بلــؤلــؤ منـــــثور

فكأن السماء صاهـــــرت الار   ض فصار النثار من كافور

وقال النميري :

اهدى لنا بَــرَدا يلوح كأنـــــه   في الجوحب لالئ لم يثقب[٧٣]

ويتحدث عن النيازك والصواعق والرعد والبرق وقوس قُــزَح .

فالنيازك ما يرى من الذوائب المتصلة بالشهب .

اما الصواعق فيذكر تعريف الزمخشري ، الصاعقة قصفة من رعد ينقض معها شقة من نار ،ويعتمد ايضا في تفسيرها على صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر.

اما الرعد فعرفه الزمخشري اجرام السحاب تضطرب وتنتفض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك .

واما البرق قد ذكر ترتيبه في لمعانه يقول :

---

(٧٢) المصدر نفسه ، ج١، ص٧٥-٧٧.

(٧٣) المصدر نفسه ، ج١، ص٨٦.

اذا بدا من السماء برق يسير قيل اوشمت السماء .

فاذا برق برقا ضعيفا قيل قد خفا .

فاذا لمح لمعانا خفيفا قيل لمح واومض .

فاذا تشقق قيل انعق انعاقا .

فاذا ملاء السماء وتكشف واضطرب قيل يتوج .

فاذا كثر وتتابع قيل ارتعج .

فاذا لمع واطمع ثم عدل قيل له خُــلب(٧٤) .

واما قوس قزح ، قالوا سمي بذلك لتلونه.

ويعلل ظهوره ويقول زعم القدماء في علة تلونه وتكونه انه اذا تكاثف جزء من الهواء بالبرد ثم اشرق عليه نور بعض الكواكب انصبغ ذلك الجزء وانعطف منه الضوء الى ما يليه من الهواء كالحمرة الصافية اذا طلعت عليه الشمس سطع نورها وانعطف منه الوان مختلفة الى ما يقرب منها وحمرته وصفرته من قبل الرطوبة واليبس(٧٥) . ثم نقل آراء من تكلم فيه وفي وصفه وتشبيهه .

وتحدث عن اسطقس الهواء وذكر ما قيل في حد الهواء ، وذكر ما قول الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا ولم يذكر في اي كتاب قال ابن سينا الهواء جرم بسيط طباعه ان يكون حارا رطبا مشفا متحركا الى المكان الذي تحت كرة النار التي فوق كرة الارض والماء ثم تبعه بذكر رأي ابقراط في ان تغير حالات الهواء هو الذي يغير حالات الناس مرة الى

---

(٧٤) المصدر نفسه ج١، ص٩٠ .

(٧٥) المصدر نفسه ج١، ص٩٣.

الغضب ومرة الى السكون والى الهم والسروز وغير ذلك ، واذا استوت حالات الهواء ، استوت حالات الناس واخلاقهم .

ويذكر صفات الريح وتأثيرها على الانسان والحيوان والنبات ويشير الى الرياح الاربعة الجنوب والصبا والدبور والشمال ثم يتكلم عن اسماء الرياح اللغوية معتمدا رأي الثعالبي في فقه اللغة فمنها :

اذا وقعت الريح بين ريحين في النكباء .

اذا وقعت بين الجنوب والصبا فهي الجربياء .

اذا هبت من جهات مختلفة فهي المتناوحة .

اذا كانت لينة فهي الريدانة .

اذا جاءت بنفس ضعيف وروح فهي النسيم .

اذا كان لها حنين كحنين الابل فهي الحنون .

اذا اشتدت حتى تقلع الخيام فهي الهُجوم واوصاف اخرى كثيرة[٧٦].

اما في اسطقس النار فقد اخذ معلوماته من اصحاب الكلام في الطبائع على حد قوله ، ذكر في هذا الباب اسماء النار واشار الى عباد النار وسبب عبادتها وبيوت النيران عند الفرس وعند العرب ثم ما يضرب بها في المثل والوصف والتشبيه وتكلم عن السراج والشمعدان والقنديل واوصافهم[٧٧] .

وهكذا قدم النويري مادة علمية تحتوي على مجموعة كبيرة من المفردات لحالات متعددة ولم يكن القصد منها المادة العلمية قدمها كمفردات

---

[٧٦] المصدر نفسه ، ج١، ص٩٨.

[٧٧] المصدر نفسه ج١، ص١٠٣-١٢٩.

لغوية وادبية تتناسب مع موسوعته الادبية فهو قد خدم العلوم بهذه المادة واكد الموسوعية وقيمة الادب شعرا ونثرا كمصدر لدراسة تاريخ العلوم .

وجعل النويري القسم الثالث من الفن الاول في الليالي والايام والشهور والاعوام والفصول والمواسم والاعياد وقسمه الى اربعة ابواب :

الباب الاول : في الليالي والايام .

الباب الثاني : في الشهور والاعوام .

الباب الثالث : في الفصول .

الباب الرابع : في المواسم والاعياد[٧٨].

قدم فيه مادة مفصلة عن الليل والنهار وما قيل فيهما فالليل طبيعي من حين غروب الشمس واستتارها الى طلوعها وظهورها ،وشرعي من حين غروبها الى طلوع الفجر الثاني وذكر قضايا ادبية واجتماعية وما يتمثل به من الليل ووصفه شعرا ونثرا[٧٩] .

وكذا النهار طبيعي وشرعي ، فالطبيعي زمان بين طلوع نصف قرص الشمس من المشرق والى غيابه في المغرب ،والشرعي ما بين انفجار الفجر الثاني الى غروب الشمس[٨٠] .

ثم خصص بابا لذكر الالات الموضوعة لمعرفة الاوقات .

ولم يفصل في شرحها واكتفى بوصفها كما وردت في الشعر ومن هذه الالات[٨١] .

---

(٧٨) المصدر نفسه ، ج١، ص١٣٠-١٩٧.

(٧٩) المصدر نفسه ، ج١، ص١٣١.

(٨٠) المصدر نفسه ، ج١، ١٤٧.

(٨١) المصدر نفسه ، ج١، ص١٥٣.

الاصطرلاب من الالات التي يعرف بها الوقت[٨٢] .

البنكام ، لفظ يوناني ما يقدر به الساعة النجومية من الرمل وهو معرب عربه اهل التوقيت وارباب الاوضاع وهي آله رملية [٨٣] .

الطرجهارة آلة مائية لمعرفة الوقت[٨٤].

وقدم مادة مفصلة عن الشهور والاعوام واشتقاقها ، والشهور العجمية والسنين القمرية والشمسية والنسيء ومعناه ويقول وهذا مما لمحناه اثناء المطالعة[٨٥] .

كما تكلم عن الفصول الاربعة وصفاتها والوصف والتشبيه واشار الى موضوع اجتماعي هو الاعياد وتقاليدها عند الامم[٨٦]

اما القسم الرابع من الفن الاول فجعله في تفصيل اسماء الارضين وصفاتها ، في الاتساع والاستواء والبعد ، والغلظ ، والصلابة والسهولة ، والحزونة والارتفاع والانخفاض وخصصه للارض والجبال والبحار والجزائر والانهار والعيون وقسمه الى (٧) ابواب :

الباب الاول في : مبدأ خلق الارض .

الباب الثاني في : تفصيل اسماء الارض .

---

[٨٢] شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) : شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل ، تحقيق الدكتورمحمد كشاش ، بيروت ، دار الكتب العلمية ١٩٩٨، ص٩٤.

[٨٣] المصدر نفسه ، ص٦٨.

[٨٤] المصدر نفسه ، ص٦٨.

[٨٥] نهاية الارب ، ج١، ص١٥٦.

[٨٦] المصدر نفسه ، ج١، ص١٥٦-١٩٧.

الباب الثالث في : طول الارض ومساحتها .

الباب الرابع في: الاقاليم السبعة.

الباب الخامس في : الجبال .

الباب السادس في : البحار والجزائر.

الباب السابع في : الانهار والعدران والعيون[٨٧] .

وهو يقدم قوائم بمفردات لغوية علمية عن كل ما ذكره ومن امثلة ذلك .

ما ذكره في تفصيل اسماء التراب وصفاته ونقلها من الثعالبي واكتفى بالاشارة الى كتابه فقه اللغة اول مرة ثم ذكر اسمه فقط في المواضيع الاخرى.

ففي تفصيل اسماء التراب يقول :

الصعيد تراب وجه الارض .

البوغاء والدقعاء التراب الرخو الرقيق الذي كأنه ذريرة .

الثرى التراب الندي ، وهو كل تراب لايصير طينا لازبا اذا بل

المُور التراب الذي تمور به الريح.

الهباء التراب الذي تطيره الريح فتراه على وجوه الناس يلتزق لزوقا .

السافياء التراب الذي يذهب في الارض مع الريح .

النبيثة التراب الذي يخرج من البئر عند حفرها.

الجرثومة التراب الذي يجمعه النمل عند قريته

الصفا التراب الذي يعفى الآثار وكذلك العَفر

الرغام التراب المختلط بالرمل

---

[٨٧] المصدر نفسه ، ج١، ص٢٠٢.

السماد التراب الذي يسمد به النبات فاذا كان مع السرقين فهو الدمال [٨٨] .

في تفصيل اسماء الغبار واوصافه قال:

النقع والعكوب الغبار الذي يثور من حوافر الخيل واخفاف الابل .

العجاج الغبار الذي تثيره الريح .

الرهج والقسطل غبار الحرب

الخيضعة غبار المعركة

العثير غبار الاقدام

المنين ما تقطع منه[٨٩] .

اما الاقاليم السبعة فقد ذكرها وحددها وذكر بيئاتها وهو في ذكره لها لايختلف عن ماذكرته كتب الجغرافية[٩٠] وهو يعتمد في كلامه عليها على بطليموس ، واصحاب الزيجات كما يقول ، وينقل في موضوع طول الارض ومساحتها عن ابي زيد احمد بن سهل البلخي (ت٣٢٢هـ) ولكنه لاينقل مباشرة بل يقول في نهاية الكلام على الموضوع (حكى هذه الاقوال صاحب كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر رحمه الله) فهو دقيق جدا وامين في ذكر مصادره[٩١] .

---

[٨٨] المصدر نفسه ، ج١، ص١٩٨-٢٩١.

[٨٩] المصدر نفسه ، ج١، ص٢٠٣.

[٩٠] نبيلة عبدالمنعم داود : الجغرافية والطب (بحث القي في المؤتمر الدولي الاول في تاريخ العلوم عند العرب المسلمين "اسهامات العرب والمسلمين في خدمة الانسانية" جامعة الشارقة – كلية الاداب والعلوم ٢٤-٢٧-٣٠، ٢٠٠٨)

[٩١] نهاية الارب ج١، ص٢٠٩.

ويتكلم على الجبال ويعتمد على الثعالبي في فقه اللغة وكتاب الفاخر لسلمة بن عاصم فيقول:

اول الجبل هو الحضيض وهو القرار من الارض عند اصل الجبل .

السفح هو ذيله .

السند هو المرتفع في اصله .

الكيح هو عرضه .

الحضن ما اطاف به .

الريد ناحيته المشرفة على الهواء.

العرعرة غلظه ومعظمه .

الحيد جناحه.

الرعن انفه .

الشعفة رأسه .

واسماء الجبل كثيرة يفرد لها بابا يقتبسه من كتاب الفاخر[٩٢] .

ويتكلم على البحار والمحيطات والانهار ويكثر من ذكر اشعار ألوصف لها وكذلك يكثر في وصف الدواليب والنواعير ويعتمد في ذلك على الشعر والنثر.

اما القسم الخامس من الفن الاول فهو في طبائغ البلاد واخلاق سكانها وخصائصها والمباني القديمة والمعاقل وما وصفت به القصور والمنازل وقسمه الى خمسة ابواب :

الباب الاول : في طبائع البلاد واخلاق سكانها.

---

[٩٢] المصدر نفسه ، ج١، ص٢٢١.

الباب الثاني : في خصائص البلاالبكتور
الباب الثالث : في المباني القديمة.
الباب الرابع : في ما وصفت به المعاقل والحصون .
الباب الخامس : في ما وصفت به القصور والمنازل[٩٣] .

يتكلم على طبيعة البلاد ومناخها وعلاقة ذلك بالصحة وهو يشابه ما ذكرته المصادر الطبية والجغرافية ، وكتب تواريخ البلدان مثل الازرقي وعن المحدثين وكتب الفلاحة وكتب النباتات مثل ديسقوريدس واصحاب الطب اليوناني[٩٤].

اما المباني القديمة فقد توسع في ذكرها واشار الى اسلوب عمارتها والمواد المستخدمة فيها[٩٥] . وتبعها بباب في وصف القصور وعمارتها[٩٦] .

اما الفن الثاني فقد خصصه للانسان وما يتعلق به وقسمه الى اربعة ابواب وما يهمنا منها الباب الاول والثاني .

فالباب الاول : في اشتقاق اسم الانسان وتسميته وتنقلاته وطبائعه وما يتصل بذلك .
الباب الثاني : في وصف اغصان الانسان وتشبيهها .
الباب الثالث : في الغزل والنسيب والمحبة والعشق.

---

(٩٣) المصدر نفسه ، ج١، ص٢٩٢-٤١٦.
(٩٤) المصدر نفسه ، ج١، ص٣١٣-٣٧٢، والجغرافية والطب : نبيلة عبدالمنعم داود.
(٩٥) المصدر نفسه ، ج١، ص٣٧٢-٤٠٥ .
(٩٦) المصدر نفسه ج١، ص٤٠٦، ٤١٦.

الباب الرابع : في الانساب[٩٧] .

قدم للباب الاول بمقدمة طويلة ذكر منهجه فيها وتناول كل طبقات المجتمع وضمنه على حد تعبيره من المنقول ما يسهل تعاطيه على الافهام ووضعه على خمسة اقسام .

تكلم على اشتقاق اسم الانسان من الانس نقيض الوحشة او من النـــوّس نقيض السكون او الايناس بمعنى الابصار او النسيان الذي هو نقيض الذكر . ويعتمد على ابن الشجري في اماليه وسلمة بن عاصم في الفاخر وأبي عمر والشيباني والمحدثين واحمد ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ووهب بن منيه[٩٨] . ويقال : انما لقب الانسان بالعالم الصغير لانهم مثلوا رأسه بالفلك ، ووجهه بالشمس إذ لاقوام للعالم الا بها كما لاقوام للجسد الا بالروح ، وعقله بالقمر لانه يزيد وينقص ويذهب ويعود ، ومثلوا حواسه الخمس بالكواكب السيارة وآراءه بالنجوم الثابتة ، ودمعه بالمطر، وصوته بالرعد ، وضحكه بالبرق ، وظهره بالبر، وبطنه بالبحر ، ولحمه بالارض ، وعظامه بالجبال ، وشعره بالنبات ، واعضاءه بالاقاليم ، وعروقه بالانهار ، ومغار عروقه بالعيون .

كما قال ان فيه ما يشاكل الجمعة ، والشهر ، والايام ، والسنة اما ايام الجمعة فان في بدنه سبعة اجزاء وهي اللحم ، والعظام ، والعروق والاعصاب ، والدم والجلد ، والشعر .

---

[٩٧] المصدر نفسه ، ج٢، ص٢، ٣٦٢.

[٩٨] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٥-٩ .

واما الشهور فان لبدنه اثنى عشر جزءً مدبرة : ستة منها باطنة ، وهي الدماغ ، والقلب ، والكبد ، والطحال ، والمعدة ، والكليتان ، ستة ظاهرة وهي العقل والحواس الخمس فهذه الاثنا عشر مقابلة لشهور السنة .

واما الايام فان فيه ثلثمائة وستين عظما منها ما هو لبنية الجسد ومائتان وثمانية واربعون عظما ، والانسان ينقسم الى اربعة انواع : الرأس واليدان والبدن والرجلان ففي الرأس اثنان واربعون عظما وفي اليدين اثنان وثمانون عظما وفي البدن اربعون عظما وفي الرجلين اربعة وثمانون عظما والباقي سُمسُمانية لسد الفروج التي تكون بين العظام ، وفيه ثلثمائة وستون عرقا.

واما فصول السنة فان فيه اربعة اخلاط طبعها طبع الفصول الاربعة فالدم كالربيع في حرارته ورطوبته ،والمرة الصفراء كالصيف في حره ويبسه ، والمرة السوداء كالخريف في برده ويبسه والبلغم كالشتاء في برده ورطوبته . وهذه الاخلاط من اول مزاج الاركان التي هي العناصر الاربعة وهي : النار والهواء والماء والارض[٩٩] .

وقد شبه الطغنري الاشبيلي (ق٥هـ) الارض بالانسان فقال ان كبدها ما كان فيه من الطين الاحمر ودمها ما كان فيه من المغرة وطحالها ما كان فيه من الطين الاسود واللحمات ، ومرارتها ما كان فيه من الزرانيج والكباريت ، ومفاصلها ما كان فيه من الجبال واضلاعها وعظامها ما فيها من الرخام ورئتها ماكان فيه من الظفل وامعاؤها ما كان فيه من الانهار العظام ، وعروقها ما كان فيه من الميازب والسواقي

---

[٩٩] المصدر نفسه ، ج٢، ص٨-٩ .

ونفسها ما كان فيه من الاملاح اللطيفة وروحها ما كان فيه من المعادن الجوهرية من الذهب والفضة ودماغها ما كان فيه من الجص والجير وشعرها ما كان فيه من الشعاب ووجها ما كان فيه من الرياض والازهار والنبات الحسن[١٠٠] .

ثم يذكر ترتيب احوال الانسان وتنقل السن به الى ان يتناهى :

يقول ما دام الولد في الرحم فهو جنين ، فاذا ولد فهو وليد ومادام لم يستتم سبعة ايام فهو صديغ لانه لم يشتد صدغه الى تمام السبعة ، ثم مادام يرضع فهو رضيع ، فاذا قطع عنه اللبن فهو فطيم ثم اذا غلظ وذهبت عنه ثرارة الرضاعة فهو حجوش ثم اذا دب فهو دارج .

فاذا بلغ طوله خمسة اشبار فهو خـــماس .

فاذا سقطت رواضعه فهو مثغور .

فاذا نبتت اسنانه بعد السقوط فهو مثغر ومتغرمعا.

فاذا تجاوز عشر سنين فهو مترعرع وناشيء

فاذا كاد ان يبلغ الحلم فهو يافع ومراهق .

فاذا حتلم واجتمعت قوته فهو حزور واسمه في جميع هذه الاحوال التي تقدم ذكرها غلام .

فاذا صار ذا فتاء فهو فتي وشارخ .

فاذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع .

---

(١٠٠) زهرة البستان ونزهة الاذهان ، تحقيق الدكتورمحمد مولود خلف ، دمشق مركز نور الشام ٢٠٠١ ، ص٥٠ .

ثم مادام بين الثلاثين والاربعين فهو شاب ثم هو كهل الى ان يستوفي الستين[١٠١].

ويذكر النفس الغضبية والبهيمية .

وفي الباب الثاني يصف اعضاء الانسان وتشبيهها .

فاما الشعر فالفاظه عند ائمة اللغة ومنهم الثعالبي.

العقيقة الشعر الذي يولد به الانسان .

الفروة شعر معظم الرأس .

الناصية شعر مقدم الرأس.

الذؤابة شعر مقدم الرأس .

الفَـــرع شعر رأس المرأة .

الغديرة شعر ذؤابتها .

الغفر شعر ساقها .

الدبب شعر وجهها.

الوفرة ما بلغ شحمة الاذن من الشعر.

اللمة ما الم بالمنكب منه .

الطرة ما غشي الجبهة منه.

الجمة والغفرة ما غطى الرأس منه .

الهدب شعر اشفار العين .

الشارب شعر الشفة العليا.

العنفقة شعر الشفة السفلى.

---

[١٠١] نهاية الارب ، ج٢، ص١١-١٢.

المسربة شعر الصدر.

الزبب شعر بدن الرجل[١٠٢] .

ويصف العيون ويقدم مفردات كثيرة لوصفها منها:

الدعج شدة السواد مع سعة المقلة .

البَرج شدة سوادها وشدة بياضها .

البخل سعتها .

الكحل سواد جفونها من غير كحل .

الحور اتساع سوادها كاعين الظباء

الوطف طول اشفارها.

كما يصف معايبها ومنها:

الحَوَص ضيق العين .

الشتر انقلاب الجفن .

العمش ان العين لاتزال سائله رامصة .

الكمش لاتكاد تبصر.

الخفش صغر العين وضعف البصر.

الاطراق استرخاء الجفن .

البنخـــق ان يذهب البصر والعين منفتحة .

الكمد ان يولد الانسان وهو اعمى .

البخص ان يكون فوق العين او تحتها لحم نائئ[١٠٣] .

---

(١٠٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٦.

(١٠٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٢.

ويتكلم على الادواء التي تصيب العين ومنها :

الغمص لاتزال العين ترمص .

اللخص التصاق الجفون .

العائرالرمد الشديد وكذلك الساهك .

الغَــرب ورم في المآقي .

الحثر ان يخرج في العين حب وهو الجرب .

القمر ان يعرض للعين فترة وفساد[١٠٤] .

وتكلم في ترتيب الاسنان وذكر ما قيل في اللسان واوصافه وعيوبه فمن عيوبه :

الرتة حبسه في لسان الرجل .

اللكنة عقدة في اللسان ومحمجه .

الهتهتة التواء اللسان عند الكلام .

اللثغة ان يصير الراء لاما.

الفأفأة يتردد في الفاء.

اللفف ان يكون في اللسان ثقل وانعقاالدكتور

وتكلم على الاذن والصمم والعنق والارداف والخصور[١٠٥] والانف والشفاه

ثم اعطى مجموعة كبيرة من الامثلة التي تضرب في الانسان واعضائه .

ثم تكلم على الاسنان محاسنها ومقابحها : فمن محاسنها:

الشنب رقة الاسنان واستواؤها وحسنها.

---

[١٠٤] المصدر نفسه ، ج٢، ص٥٢.

[١٠٥] المصدر نفسه ، ج٢، ص٦٨.

الرتل حسن تنضيدها واتساقها .

الشتت تفرقها من غير تباعد بل في استواء حسن .

ومن مقابحها :

الزوق طولها.

الثعل تراكبها .

الدفق انصيابها الى قدام

الفقم تقدم سفلاها على العليا .

القلح صفرتها .

الطرامة خضرتها .

الدرد ذهابها .

الهتم انكسارها .

اللطط سقوطها ثم ذكر ما قيل فيها من اشعار[١٠٦] .

اما بقية الابواب فهي ابواب ادبية واجتماعية ليست من صلب البحث .

اما الفن الثالث فقد خصصه للحيوان الصامت .

وعلم الحيوان هو علم باحث عن خواص انواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها ، ومضارها وموضوعه جنس الحيوان البري والبحري والماشي والزاحف والطائر وغير ذلك . والغرض منه التداوي والانتفاع بالحيوانات والاحتماء عن مضارها والوقوف على عجائب وغرائب افعالها[١٠٧] .

---

[١٠٦] المصدر نفسه ، ج٢، ص٦٤-٦٥.

[١٠٧] احمد بن مصطفى طاشكبري زاده (ت٩٦٨هـ) : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، طبعة حيدر آباد الدكن ١٩٧٧، ج١، ص٣٠٧.

كما يتصل بهذا العلم علوم اخرى هي :

علم البيطرة وهو علم يبحث عن احوال الحيوان المخصوص وهو الخيل من جهة ما يصح ويمرض او يحفظ صحته ويزال مرضه وهذا في الخيل بمنزلة الطب في الانسان[١٠٨] .

ثم علم البيزرة وهو علم يبحث عن احوال الجوارح من حيث حفظ صحتها وازالة مرضها ومعرفة علاماتها الدالة على قوتها في الصيد وضعفها[١٠٩] .

وعلم الزردقة هو علم تربية الخيل في تعليمها او مباحث تتعلق بالزراعة والحيوان وتبحث البزور وتربية المواشي ، ومعرفة الحيوانات المضرة والنافعة والنحل ودود القز والضار والنافع من ذلك كله[١١٠] .

وقد اشار النويري بالقسم الخاص بالحيوان الى هذه الامور جميعا . وقد اهتم العرب بعلم الحيوان اهتمامهم بالعلوم الاخرى ووضعوا فيه المؤلفات الكثيرة المستقلة في الموضوع .

وكان لعلماء اللغة الدور الكبير في التأليف في هذا المجال وفي كل ما يتعلق باسماء الحيوان واعضائه ومنافعه ، ونظرة الى كتاب الفهرست لابن النديم تؤكد ذلك[١١١] .

---

[١٠٨] المصدر نفسه ، ج١، ص٣٠٦.

[١٠٩] المصدر نفسه ، ج١، ص٣٠٦.

[١١٠] احمد رضا : معجم متن اللغة ، بيروت ، ج٣، ص٢٣.

[١١١] عبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع (ت٤٥١هـ) : منافع الحيوان دراسة وتحقيق نبيلة عبدالمنعم داود والدكتورجنان الهموندي، بغداد ، مركز احياء التراث بجامعة بغداد ٢٠٠٤(مقدمة التحقيق) .

واستمر التأليف في علم الحيوان بعد عصر الترجمة وظهرت مؤلفات متأثرة بكتب ارسطو وابن البطريق وغيرهم ولعل اوضح مثل على ذلك كتاب الحيوان للجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، واستمر التأليف بعد ذلك فكتب كل من قسطاين لوقا(ت٣٠٠هـ) ، واحمد ابن ابي الاشعث (ت٣٤٦هـ) ، وعبيدالله بن جبريل بن بختيشوع(ت٤٥١هـ) في كتابه خواص الحيوان[١١٢] ومنافع الحيوان . ثم ابن سينا(ت٤٢٩هـ) في كتابه القانون في الطب اشار فيه الى الادوية الحيوانية . وتلاه شرف الزمان المروزي (ق٥هـ) ثم الف محمد بن محمد الادريسي (ت٥٦٠هـ) في كتابه الجامع لصفات اشتات النبات واشار فيه الى انواع الحيوانات ومنافعها الطبية[١١٣].

ثم الف عبيد الله بن احمد بن البيطار المالقي العشاب (ت٦٤٦هـ) كتابه الجامع لمفردات الادوية والاغذية تناول فيه الحيوان ومنافعه[١١٤] .

وتناول زكريا القزويني (ت٦٨٢هـ) في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات منافع الحيوان الطبية .

---

(١١٢) نبيلة عبدالمنعم داود : قراءة في مخطوط خواص الحيوان (بحث القي في المؤتمر العلمي الاول لتاريخ العلوم عند العرب ، مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد ٢٠٠٢) .

(١١٣) نبيلة عبدالمنعم داود : الادريسي عشابا (بحث منشور ضمن الوقائع الكاملة للمؤتمر ٢٤ لتاريخ العلوم عند العرب ، معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ٢١٢٣/١١/٢٠٠٣، نشر عام ٢٠٠٦، ص٢٢٧-٢٤٢) .

(١١٤) نبيلة عبدالمنعم داود : المنهج العلمي لابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الادوية والاغذية (بحث نشر ضمن وقائع الندوة الدولية الثانية عن ابن البيطار معهد التراث العلمي بجامعة حلب بالتعاون مع جامعة ملقا في اسبانيا ٢٠٠٦) .

ثم تلاهم الدميري (ت٨٠٨هـ) فقدم في كتابه حياة الحيوان منافع الادوية المستفادة منه ، ثم اصحاب الموسوعات ومنهم الوطواط وابن فضل الله العمري .

ثم جاء النويري فخصص قسما كبيرا في موسوعته للحيوان وخصه بالفن الثالث وسماه الحيوان الصامت .

وذكر منهجه في هذا الفن فقال: قد جمعت في هذا الفن – اعزك الله – من اجناس الحيوان بين الكاسر والكاشر، والنافر والطائر، والصائد والصائل ، والناهق والصاهل ، والحامل والحالب ، واللاذع واللاسب ، والكانس والسانح ، والرانح والسائح ..... الى غير ذلك من انواع الوحوش والارام ، والخيل ، والبغال ، والانعام وذوات السموم القواتل منها وغير القواتل ، واصناف الطير التي تكون تارة محمولة وتارة حوامل ، وآونه تحتطف الهواء وحالة تقتنص الوحش من البيداء....

ويستمر في وصف منهجه فيقول : وميزت كل حيوان منها بمحاسنه ومناقبه ، ونبذته بمعايبه ومثالبه ولولا خشية الاطالة لوصفت كل حيوان منها برسالة لكني استغنيت عما الفته من منقولي عما اصنفه من مقولي[١١٥] .

فهو هنا ذو معرفة بهذه العلوم لكنه خشية الاطالة اكتفى بما نقله والف بين هذه النقول فجاءت كاملة وكأنه كما يقول عمد الى ذلك لكثرة من سبقه في هذا المجال فاختصر وحفظ فضل الريادة لغيره .

---

[١١٥] نهاية الارب ج٩، ص٢٢٤ .

وقد قسم الكلام في هذا الفن الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول وفيه ثلاث ابواب وهي :

الباب الاول : في الاسد والبير والنمر

الباب الثاني : فيما قيل في الفهد والكلب والذئب والضبع والنمس .

الباب الثالث : فيما قيل في السنجاب والثعلب والدب والهر والخنزير[١١٦].

وحين يتكلم عن الاسد يبدأ باسماء الاسد ويقول ان منهم عن عد له الف اسم فما دون ذلك وقد اقتصرنا منها على اشهرها ومنها: الاسد والانثى اسدة ولبوة والشبل الحفص وكناه ابو الاشبال وابو الحارث وبيهس واسامة ، وهزبر ، وضيغم ، وغضنفر وغيرها.

كما تكلم على على اصناف الاساد واجناسها وعاداتها في حملها ووصفها وحضانتها وكذلك عاداتها في وثباتها ونباتها وافعالها وصبرها وسرعة مشيها واكلها.

كما اشار الى ما في الاساد من الجرأة والجبن ويقول انه شاهد هذه الجرأة بنفسه .

ومن طريف ما روى عن جبن الاسد انه يذعر من صوت الديك ونقر الطست ، ويفزع من رؤية الحبل الاسود والديك الابيض والسنور والفارة[١١٧] .

---

[١١٦] نهاية الارب ، ج٩، ص٢٢٦-٣٠١.

[١١٧] المصدر نفسه ج٩، ص٢٢٨-٢٣١.

والاسد لاتفارقه الحمى لذلك يسميها الاطباء داء الاسد ويشير الى قول ابن سينا[*] : ان شحم الاسد يحلل الاورام الصلبة ثم التزاما بمنهجه يذكر ما وصف به الاسد نظما ونثرا.

اما البير يقول : هو سبع هندي وهو في صورة اسد كبير وهو والاسد متوادان ابدا ومودته كمودة الخنافس والعقارب والحيات والوزغ . وبعد ان ينهي الكلام يقول هكذا نقل صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر.

وهنا يخالف منهجه فلا يذكر شعرا في وصفه ويقول : ولم اقف على شعر في وصف البير ولا رسالة فأوردها[١١٨] .

اما النمر فيقول له اسماء منها : السبندي والطرح والتلوه والختعة ويتكلم على صفاته وعاداته كما زعم اهل البحث في طبائع الحيوان ويذكر بعض الامثال التي تضرب فيه مع ذكر قصيدة لكشاجم في وصفه ويقول : ولم اقف على وصف النمر على غير ذلك فاذكره[١١٩] .

اما الباب الثاني من القسم الاول فهو فيما قيل في الفهد والكلب والذئب والضبع والنمس .

بدأ بالفهد وذكر اسماءه ، وذكر رأي ارسطو الى ان الفهد متولد بين اسد ونمرة او لبوة ونمر.

ويقول وقد ولع الشعراء بوصف الفهود ويذكر رسائل وطرديات في وصفها[١٢٠].

---

* مرة يسميه ابن سينا ، واخرى الشيخ الرئيس او الشيخ الرئيس ابن سينا.

(١١٨) المصدر نفسه ، ج٩، ص٢٤٢.

(١١٩) المصدر نفسه ، ج٩، ٢٤٣-٢٤٥.

(١٢٠) المصدر نفسه ، ج٩، ٢٤٦-٢٥٥.

اما الكلاب فقد تكلم على صفاتها ومنافعها الطبية معتمدا على الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا ، يقول ان بول الكلب يستعمل على التآليل ودم الكلب لنهوشه ولسم السهام الارمنية .

وينقل رأي الجاحظ في الحيوان ان ولد الذئب من الكلبة يقال له الديسم .

كما يتكلم على كلاب الصيد ويقول فلنذكر ما يحتاج الكاتب الى الاطلاع عليه ولا بد له من معرفة جيد افعالها ليضمنه ما يصدر عنه من الرسائل الطردية فيصف على حد تعبيره دلائل النجابة والفراهة فيها تعرف من خلقتها والوانها ومولدها .

اما في الخلقة فقد قالوا طول ما بين اليدين والرجلين ، وقصر الظهر وصغر الرأس ، وطول العنق ، وغضف الاذنين وبعدما بينهما ، وزرقة العينين ، ونتوء الجبهة وعرضها وقصر اليدين . واما في الالوان السود اقل صبرا على البرد واقوى ، والبيض افره اذا كن سود العيون .

اما في ولادتها اذا ولدت الكلبة جروا واحدا كان افره من ابويه وان ولدت ذكرا وانثى كان الذكر افره وان ولدت ثلاثة فيها انثى شبه الام كانت افره الثلاثة وان كان في الثلاثة ذكر واحد فهو افره . ثم يذكر ما وصفت به الكلاب نظما ونثرا(١٢١) .

وفي الكلام على الذئب يذكر أسماءه وهي كثيرة منها نهشل ، اويس ، ذؤاله والعسعاس وكنيته ابا جعدة .

---

(١٢١) المصدر نفسه ، ج٩، ص٢٥٤-٢٧٠ .

ثم تكلم على الضبع وصفاتها والنمس وتسمى الظربان أو الظرباء والنمس على قدر الهز ونونه الى الشهبة وليس له اذنان الا صماخان قصير اليدين وفيها براثن حداد وليس لظهره فقار ولا فيه مفصل[١٢٢] .

اما الباب الثالث من القسم الاول فخصصه في السنجاب والثعلب والدب والخنزير.

فالسنجاب حيوان معروف حسن الوبر ظهره ازرق اللون وبطنه ابيض سريع الحركة مأواه الشجر وهو كثير ببلاد الصقالبة والخزر . والثعلب ذو مكر وخديعة ويذكر منافعه الطبية اعتمادا على ابن سينا : الثعلب فيه تحايل ، وفراؤه اسخن الفراء تنفع المرطوبين لتحليها الات المفاصل فاذا طبخ في الماء وطليت به المفاصل الوجعة نفع نفعا جيدا ، وشحمه يسكن وجع الاذن ورئته المجففة نافعة لصاحب الربو جدا . ثم تبعه بوصفه في الشعر[١٢٣] .

ويقول عن الدب مختلف الطبائع يأكل ما تأكله السباع ويرعى ما ترعاه الدواب ويتناول ما يأكله الناس.

ومن منافعه الطبية كما يقول ابن سينا ان دم الدب ينضج الاورام الحارة سريعا. اما الهر فهو ضربان وحشي واهلي وهو يشبه الاسد في الصورة والاعضاء والوثوب والافتراس والعدو الا انه اقل جرأة من الاسد وهو يناسب الانسان في احوال منها انه يعطس ويتثاءب ويتمطى ويتناول الشيء بيده ويغسل وجهه وعينيه بلعابه[١٢٤] .

---

[١٢٢] المصدر نفسه ، ج٩، ص٢٧٦.

[١٢٣] المصدر نفسه ، ج٩، ص٢٧٨.

[١٢٤] المصدر نفسه ، ج٩، ص٢٨٣.

اما الخنزير فهو مشترك بين السبعية والبهيمية فالذي فيه من السبعية الناب واكل الجيف والذي فيه من البهيمة فهو الظلف واكله العشب والعلق .

وتكلم ايضا على الفيل والكركدن والزرافة والمها والابل[١٢٥] والزرافة الجماعة وانما سميت الزرافة لاجتماع صفات عديدة من الحيوان فيها وهي عنق الجمل وجلد النمر وقرن الظبي واسنان البقر ورأس الايل . يقول وزعم من تكلم في طبائع الحيوان انها متولدة من حيوانات عدة.

المها قالت العرب ولد البقرة الوحشية ما دام يرضع فهو فز وفرقد ومزير فاذا ارتفع عن ذلك فهو يعفور ، وجؤذر ، وبحزج فاذا شب فهو مهاة فاذا اسن فهو قرهب .

اما الايل فهو من اصناف البقر الوحشية ، كما تناول بالكلام الحمر الوحشية والوعل واللمط ، فالوعل هو التيس الجبلي اما اللمط فهو حيوان وحشي ببلاد الغرب الجواني في قدر المهر له قرون غير متشعبه ولا مفاصل لركبة فلا يستطيع النوم الامستندا الى شجرة وجلده درق تباع بالاثمان الغالية ترد طعنه الرمح ورشقة السهم ، يقول هذا ما اخبرني من اثق به[١٢٦] .

---

[١٢٥] المصدر نفسه ، ج٩، ص٣٠٢-٣٢٦.

[١٢٦] المصدر نفسه ، ج٩، ص٣٣١، وذكر ناشر كتاب نهاية الارب ان هذا الحيوان ولايوجد عنه معلومات لافي كتب الحيوان ولاكتب اللغة .

وفي الكلام على الظبي والارنب والقرد والنعام فقد سلك في الكلام عليها منهجه نفسه (١٢٧) .

اما القسم الثالث من الفن الثالث فقد خصصه في الدواب والانعام وجعله في ثلاثة ابواب هي :

الباب الاول : في الخيل(١٢٨) وقد ذكر منهجه في هذا الباب وتوسع فيه وكأنه يكتب تاريخ حياة الخيل وذكر قضايا ادبية واجتماعية واخرى تتعلق بالزكاة وسقوطها عن الخيل وذلك لاهمية الخيل وعلاقته بالانسان فهو رفيقه الدائم .

وتكلم على ترتيبها في السن وتسمية اعضائها والوانها وشياتها وغررها وحجولها وعصمها ودوائرها وما قيل في طباعها وعاداتها، والمحمود من صفاتها ومحاسنها ،والعلامات الدالة على جودتها ونجابتها وعد عيوبها التي تكون في خلقها وجريها ،والعيوب التي تطرأ عليها وتحدث فيها(١٢٩) .

ولم يشر في هذا الباب الى مصادره سوى اشارات قليلة جدا منها محمد بن السائب الكلبي ولعله يقصد كتابه نسب فحول الخيل في الجاهلية والاسلام وابن قتيبة في ادب الكاتب وهي معلومات مهمة للكتاب .

وقدم في هذا الباب مادة علمية قيمة فكأنه يشرح ويذكر كل قطعة في جسده وتسميتها مما يدل على الدقة في الوصف اضافة الى العيوب التي

---

(١٢٧) المصدر نفسه ج٩، ص٣٣٢-٣٤١.

(١٢٨) المصدر نفسه ، ج٩، ص٣٤٢-٢٨٣.

(١٢٩) المصدر نفسه ، ج١٠، ص١، ص٧٨.

تصيبها كما قدم مجموعة كبيرة من الاشعار بوصفها والواقع ان باب الخيل يستحق دراسة مستقلة لذا اشرت الى الفقرات التي ضمها هذا الباب .

وذكر البغال والحمير وما قيل فيها وبعض صفاتها واستفاد من كتاب البغال للجاحظ واشار اليه .

واستفاد من المتكلمين في طبائع الحيوان في الكلام على الحمر الوحشية وخصص بابا للابل والبقر والغنم وفصل في الكلام على الابل لاهميتها ايضا فهي رفيقة الانسان في حله وترحاله وذكر تسميتها من حين تولد الى ان تتناهى سنها ، فقال :

ولدها حين يسل من امه سليل ، ثم سقب وحوار الى سنة وفصيل اذا فصل عن امه وهو في السنة الثانية ، ابن مخاض فاذا دخل في الثالثة فهو ابن لبون وهو في الرابعة حق لانه استحق ان يحمل عليه وفي الخامسة جدع وفي السادسة ثني وفي السابعة رباع وفي الثامنة سديس وهو في التاسعة بازل اذا فطر نابه طلع ثم هو بعدها بسنة مخلف عام......[١٣٠] .

وبعدها ما وصفت به نظما ونثرا.

ثم يتكلم على البقر الاهلية وصفاتها ، وكذلك الجاموس ويعتمد على الجاحظ .

واشار الى الضأن والغنم والمعز وسلك النهج نفسه في الكلام عنها وذكر ترتيب اسنانها وما جاء فيها من الوصف .

---

[١٣٠] المصدر نفسه ، ج١٠، ص١٠٤.

اما القسم الرابع من الفن الثالث فهو في ذوات السموم القواتل وهي الحيات والعقارب ووصفها واعتمد في ذلك على الجاحظ والتنوخي في نشوار المحاضرة .

ثم تكلم على ذكر ما جاء في لحوم الحيات من المنافع والادوية نقلا عن الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا لحم الحيات اذا استعمل اطال العمر واكله ينفع من الجذام نفعا عظيما ويفيد داء الثعلب وامراض اخرى[١٣١] .

اما العقارب فقد اعتمد في وصفها وانواعها على الجاحظ ونقل فوائدها الطبية عن ابن سينا قال زيت العقارب نافع من اوجاع الاذن .

اما ذوات السموم غير القواتل فهي الخنافس والصراصر والجنادب والوزغ الذي يسمى سام ابرص والضب والحرباء وابن عرس والقنافذ والد لدُل، والفئران والخلد واليربوع وفارة المسك وفارة الايل والقراد ، والنمل والذر والقمل والصواب فقد ذكر اخبارا عنهم ووصفهم وذكر بعض منافعهم الطبية واعتمد في معلوماته الوصفية على الجاحظ والطبية على ابن سينا .

قال ابن سينا عن القنفذ رماده جلاء وتحليل وملحه ينفع من داء الفيل ولحمه ينفع من الجذام والفالج والتشنج وامراض العصب وداء الفيل والسل وسوء المزاج ولحمه ينفع من الحميات المزمنة ومن نهش الهوام[١٣٢] .

---

[١٣١] المصدر نفسه ،ج١، ص١٣٣-١٤٦.

[١٣٢] المصدر نفسه ، ج١، ص١٥٢-١٧٨.

اما القسم الخامس من الفن الثالث ففيه سبعة ابواب (٦) في الطير وباب في السمك وباب ثامن يقول النويري اوردت فيه ذكر شيء مما قيل في الات صيد البر والبحر.

واعتمد في هذا الباب على الحيوان للجاحظ وقال ان الحيوان على (٤) اقسام شيء يطير وشيء يعوم وشيء ينساح وشيء يمشي الا ان كل طائر يمشي وليس كل شيء يمشي طائر واسم طائر يقع على ثلاثة اشياء صورة وطبيعة وجناح وليس بالريش والقوادم والاباهر والخوافي يسمى طائرا ولايعدمه يسقط ذلك عنه الا ترى ان الخفاش والوطواط من الطير وان كانا امر طين ليس لهما ريش ولا زغب .

والطير كله سبع وبهيمة وهمج والسباع من الطير على ضربين فمنها العتاق والاحرار والجوارح ومنها البغاث وهو ما عظم من الطير سبعا كان او بهيمة اذا لم يكن من ذوات السلاح والمخالب المعقفة كالنسور.

والرخم والغربان ، ثم الخشاش وهو ما لطف جرمه وصغر شخصه وكان عديم السلاح .

ويذكر النويري ان هذا رأي الجاحظ في عدة مواضيع وانه جمعها والف بعضها الى بعض فلنذكر كل جنس من الطير وجعل الجاحظ قسم الطير الى اقسام فجعل منها سباعا وكلابا وبهائم وبغاثا وليليا وهمجا وعلى ذلك بوبنا هذا القسم .

فخصص بابا لسباع الطير وهي العقاب والبزاة والصقور والشواهين واصناف ذلك .

ففي ذكر العقاب ذكر له صنفا ثانيا هو الزمج اما البازي فهو من الجوارح وهو على اصناف منها الزرق والباشق والعفصي والبيدق . وهو لايشير الى مصادره الاخرى في هذا الكلام وهو شبيه بماء جاء في كتب الحيوان واكثر شبها بمباهج الفكر وان لم يشر اليه[١٣٣] .

اما الصقر فهو النوع الثالث من الجوارح وهو ثلاثة اصناف: صقر ، وكونج ، ويؤيؤ[١٣٤] .

وذكر الشاهين مع الجوارح ايضا وهو على ثلاثة اصناف وهي شاهين ، وانيقي وقطامي . ويشير الى طير آخر ويقول هذا ما ظفرت به في اثناء المطالعة عن سباع الطير السنقر وهو طائر حسن الشكل .

ويقول عن علماء الحيوان ولايسميهم ومما اهملوا الكلام فيه الكوهية ، والصيفية ، والزغزغي وهو يعد من اصناف الصقر . ولم اجد من اثق بنقله وعلمه بهذه الاصناف فانقل عنه اخلاقها وطبائعها وعاداتها[١٣٥].

وهذا يدل على دقته وان له دوره في تأليفه هذا ولم يكن مجرد ناقل او جامع بل له رأية وحسن اختياره .

وخصص بابا لكلاب الطير وهي النسر والرخم والحداة والغراب ويقول انما سميت بالكلاب لانها تأكل الميتة والجيف فهي في ذلك شبيهة

---

[١٣٣] المصدر نفسه ، ج١، ص١٨٦-١٩٤.

[١٣٤] المصدر نفسه ، ج١٠، ص١٩٥-٢٠٠.

[١٣٥] المصدر نفسه ، ج١٠، ص٢٠٥.

بالكلاب ووصف صفات هذه الطيور وعاداتها واعتمد في ذلك على الجاحظ[١٣٦] .

اما بهائم الطير فهي الدراج والحبارى والطاووس والديك والدجاج والحجل والكركي والاوز والبط والنعام والانيس والقاوند والخطاف والقيق والزرزور والسماني والهدهد والعقعق والعصافير . وينقل رأي الجاحظ لماذا سميت بالبهيمة لان البهيمة من الطير ما اكل الحب خالصا.

اعتمد في هذا الباب على الجاحظ في كتاب الحيوان وارسطو وفي المنافع الطبية على ابن سينا ،وهو اثناء ذلك لايضع الحكايات التي تعد من خرافات العرب كما يقول وانما يذكر الامور العلمية الموثقة[١٣٧] .

وحين يتكلم على العصافير يعدد انواعا منها هي : العصفور البيوتي وعصفور الشوك وعصفور النيلوفر وهو لايوجد الا في دمياط وعد القبرة من انواع العصافير والحسون وتسميه اهل الاندلس ام الحسن وفي مصر السقاية[١٣٨] .

وخصص بابا في بغاث الطير[*] وهي القمري والديسي والورشان والفواخت والشفنين واليعتبط والنواح والقطا واليمام واصنافه والببغاء وهذه الاصناف عدها الجاحظ او اكثرها في الحمام فقال : الحمام وحشي واهلي وبيوتي وطوراني وكل طائر يعرف بالنواح وحسن الصوت والدعاء

---

[١٣٦] المصدر نفسه ، ج١٠، ص٢٠٦-٢١٣.

[١٣٧] المصدر نفسه ، ج١٠، ص٢٣٨.

[١٣٨] المصدر نفسه ، ج١٠، ص٢١٤-٢٥٦.

* بغاث الطير مالايصيد ولايرغب بصيده لانه لايؤكل ، معجم متن اللغة مادة بغث.

والترجيع فهو حمام وان خالف بعضه بعضا في الصورة واللون وفي بعض النوح ولحن الهديل.

وينقل رأي افليمون صاحب الفراسة[١٣٩] ان الحمام يتخذ لضروب منها ما يتخذ للانس والنساء والبيوت ومنها ما يتخذ للفراخ ومنها ما يتخذ للزجال والسباق.

ويذكر اوصاف هذه الطيور واصنافها ومنها اليمام الذي فيه اصناف مختلفة الالوان والاشكال هي : الرواعب والمراعيش والعداد والميساق والشداد والقلاب والشقاق والمنسوب[١٤٠] .

اما الطير الليلي فيشمل الخفاش والكروان والبوم والصدى[١٤١]. اما الهمج انه ليس من الطير ولكنه مما يطير كالحشرات مما يمشي والذي اطلق عليه اسم الهمج وهو النحل والزنبور والعنكبوت والجراد ودود القز والذباب والبعوض والبراغيث والحرقوص واعتمد في معلوماته على الجاحظ وارسطو وفي الفوائد الطبية على ابن سينا فحين تكلم عن العنكبوت وصف فائدته الطبية فقال: نسيج العنكبوت اذا خلط ببعض المراهم ووضع على الجبهة والصدغين ابرأ حمى الغــبٍّ .

وينقل من مصادر لم تصل الينا ففي كلامه على الجراد يقول : ووقفت على حكاية عجيبة في امر الجراد نقلها ابن حلب راغب في تاريخه في حوادث (٥٩٢هـ)[١٤٢].

---

[١٣٩] عالم بالطبيعة معاصر لابقراط خبيرا بالفراسة ، القفطي : تاريخ الحكماء ، طبعة اوربية ، ص٦٠.

[١٤٠] نهاية الارب ج١٠، ص٢٥٧-٢٨٢.

[١٤١] المصدر نفسه ج١٠، ص٢٨٣-٢٨٦.

[١٤٢] المصدر نفسه ، ج١٠، ص٢٨٧- ٣٠٥ .

وخصص بابا للاسماك واعتمد في معلوماته على ابن ابي الاشعث كما اعتمد على ابن سينا في وصف الاسماك ووصف السمك النهري والبحري وتكلم على غذاء السمك ثم اشار الى منافعه الطبية فهو مرخي للاعصاب غير موافق الا للمعدة الحارة ويدخل في ادوية العين ويذهب الاكتحال به الظفرة .

كما تكلم على انواع السمك منها الدلفين والرعاد ويذكر ايضا التمساح ثم السقنقور او الحرذون البحري وينقل رأي ابن سينا في فوائده الطبية فهو ينفع من العلل الباردة في العصب .

وفي هذا الباب يذكر السلحفاة واللجاة ، ثم الفرس النهري والجبد بيد ستر وهو السمور ويسمى كلب الماء ، وحيوان القندس والقاقم وهو حيوان يشبه السنجاب .

ويتكلم على الضفادع والسرطان وفي هذا الموضوع يعتمد على ابي عبيد البكري في المسالك والممالك .

ويختم هذا الباب بعجائب الحيوان المائي منها وجود دابة في البحر تسمى خز الماء وهي مثل ابن عرس او اكبر قليلا ولها وبر ناعم تعمل منها ثياب الخز .

ويذكر ان ببحر الروم حيوانا اسمه نبات الماء يشبهن النساء ولهن ضحك وكلام لايفهم(١٤٣) .

اما الباب الثامن فخصصه لالات الصيد في البر والبحر وصف بها رماة البندق والجلاهق والقسي وتبعها بابواب من الشعر والنثر(١٤٤) .

---

(١٤٣) المصدر نفسه ، ج١٠، ص٣٠٦-٣٢٣.

(١٤٤) المصدر نفسه ، ج١٠، ص٣٢٤.

علم النبات :

وهو علم يبحث فيه عن خواص نوع النبات وعجائبها واشكالها ومنافعها ومضارها ، وموضوعه نوع النبات وفائدته ومنفعته والتداوي بها[145] .

ويتصل به علم الفلاحة وهو علم يتعرف منه كيفية تدبير النبات منذ نشوئه الى منتهى كماله باصلاح الارض اما بالماء او بما يخلخلها ويحميها من المعفنات كالماء ونحوه ، او يحميها اوقات البرد مع مراعاة الاهوية باختلاف الاماكن[146] .

ويتصل بهذا العلم ايضا علم الصيدلة وهو علم باحث عن التمييز بين النباتات المتشبهة في الشكل ومعرفة منابتها بأنها صينية او هندية او رومية ومعرفة زمانها بانها صيفية او خريفية ومعرفة جيدها من رديئها ومعرفة خواصها .

والفرق بين علم الصيدلة وعلم النبات ان الاول باحث عن تمييز احوالها اصالة ، والثاني باحث عن خواصها اصالة ، والاول بالعمل اشبه ، والثاني بالعلم اشبه ، وكل منهما مشترك في الآخر[147] .

---

(145) مفتاح السعادة ، ج1، ص306.

(146) المصدر نفسه ، ج1، ص306.

(147) المصدر نفسه ، ج1، ص322 ، وانظر نبيلة عبدالمنعم داود: دور العرب في تطور علم الاعشاب والنباتات الطبية (الصيدلة) ، مخطوط الجامع لصفات اشتات النبات انموذجا (بحث القي في الندوة العالمية التاسعة لتاريخ العلوم عند العرب ، معهد التراث العلمي بجامعة حلب بالتعاون مع جامعة دمشق 30/28/10/2008م.

ويتصل به علم طبخ الاشربة والمعاجين خاص بتركيب المركبات الدوائية وزنا ووقتا ومعرفة ما يسحق ويذاب وما يقدم وما يؤخر في المزج وكيفية ضبطه في الظروف ومعرفة مقدار نفعه ، وبطلان فائدته وقد عني العرب عناية فائقة بالاعشاب والنباتات الطبية وقد تمثلت تلك العناية في العديد من المؤلفات المتنوعة الاختصاصات وكان لعلماء اللغة العربية الريادة في هذا العلم كما اكد ذلك ابن النديم في فهرسه من خلال قوائم باسماء الكتب التي الفت في النبات(١٤٨) .

ثم دخل في هذا المجال الجغرافيون والبلدانيون والرحالة ، ثم كتاب الموسوعات فقدموا معلومات وحقائق علمية توازي في اهميتها الكتب المختصة ومنهم النويري موضوع بحثنا .

خصص النويري الفن الرابع للنبات وقسمه الى اربعة اقسام وكل قسم الى ابواب :

والقسم الاول جعله على ثلاثة ابواب هي:

الباب الاول : في اصل النبات وترتيبه .

الباب الثاني : في ما تختص به ارض دون ارض وما يستأصل شأفة النبات الشاغل للارض عن الزراعة .

الباب الثالث : في الاقوات والخضروات(١٤٩).

وقدم لهذا القسم بمقدمة ادبية ذات اسلوب بليغ رائق .

---

(١٤٨) ابن النديم ، مصر ، الاستقامة ، الصفحات ٧٦، ١١٩، ٦٤، ٨٧ ومابعدها.

(١٤٩) نهاية الارب ج١١، ص٤، ص٨٥.

وقال : وكان هذا الفن – النبات – احد شطري النامي وقسيم النوع الحيواني فانا لم نقصد بايراده استيعاب نوعه ،واستكمال جنسه ، واستيفاء منافعه والاحاطة بمجموعة ولاتصدينا لذلك.... لامور منها : تعذر الامكان ، وضيق الزمان ولان هذا الفن عجز عن حصره فلاسفة الحكماء ،ومشاهير الاطباء.... بل قصدنا بايراده ان نذكر منه ما عليه وصف للشعراء ، ورسائل للبلغاء والفضلاء لان ذلك مما لايستغني عنه المحاضر ويضطر اليه الجليس والمسامر وينتفع به الكاتب في كتابته ،ويتسع به على المنشئ مجال بلاغته فاوردنا منه ما هو بهذا السبيل .... وان كنا زدنا في بعضه على هذا الشرط... وتعدينا من وصفه الى ذكر منافعه ومضاره وايراد بارده وحاره ، ورطبه ومعتدله وملينه ومطلقه ونبهنا على توليده واصله ... والحقنا به بقسم يشتمل على اصناف الطيب والبخورات والغوالي والمستقطرات فختمنا الفن منه بمسك.

ويقول ايضا ولحضناه من اكرم اصول واعرق انساب واوثق اسباب[١٥٠] .

وهكذا لخص النويري منهجه في مقدمة ادبية وفقا لاطار موسوعته الادبي ولانه اعتقد ان معرفة النبات وكل ما يتعلق به امر ضروري لمن يعمل في الكتابة وهو الهدف الذي بنيت عليه الموسوعات ابتدءا من ابن قتيبة في ادب الكاتب وانتهاءً بالقلقشندي في صبح الاعشى .

ومما يلاحظ على النويري في فن النبات انه اهتم بالامثلة التي وردت شعرا وكذلك بالرسائل المنثورة كما صرح في مقدمته فهو يكتفي

---

[١٥٠] المصدر نفسه ج١١، ص٢-٤.

احيانا بوصف بعض النباتات من الاشعار من دون مصادرها. كما انه في ذكره للنبات يهتم اهتماما كبيرا بمنافعه الطبية ويحدد مصادره وقد تنوعت في هذا الفن وسلك نفس منهجه وسنشير الى بعض الامثلة وسوف نختصر ذلك .

ففي كلامه على اصل النبات اشار بعض الروايات وينقل من المسعودي في مروج الذهب ورغم صفته الادبية الا انه يقدم مادة علمية منها في مراحل نمو النبات او ترتيبه من ابتدائه الى انتهائه كما يقول ويعتمد في ذلك على الثعالبي في فقه اللغة وهذا يؤكد دور اهل اللغة في تقديم مادة علمية عن كثير من العلوم قال: أول ما يبدأ النبت فهو بارض ، فاذا تحرك قليلا فهو جميم فاذا عم الارض فهو عميم ، فاذا اهتز وامكن ان يقبض عليه قيل اجتأل ، فاذا اصفر ويبس فهو هائج ، فاذا كان الرطب تحت اليابس فهو غميم ، فاذا كان بعضه هائجا وبعضه اخضر فهو شميط ، فاذا تحطم وتهشم فهو حطيم وهشيم فاذا اسود من القدم فهو الدندن ، فاذا يبس ثم اصابه المطر فاخضر فذاك النشر[١٥١] .

وفي كون النبات يختص بارض دون ارض اشار الى امثله من كتاب الفلاحة النبطية لابي بكر بن وحشية .

اما في موضوع الاقوات والخضراوات فقد ذكر ما يدخل في هذا الباب، الحنطة والشعير والباقلي والارز والحمص والخشخاش والكتان والشهدانج ، والبطيخ والقثاء والخيار والقرع والباذنجان والسلق والقنبيط والكُرنب والسلجم والفجل والجزر والبصل والثوم والكراث والريباس

---

(١٥١) المصدر نفسه ، ج١١، ص٥ .

والهليون والهنديا والنعناع والجرجير والسذاب والطرخون والاسفاناخ والبقلة الحمقاء والحماض والرازيانج والكرفس فقد وصف كل مفردة من هذه المفردات واعتمد بالدرجة الاولى على ابن سينا فمرة يسميه أبا علي بن سينا والشيخ الرئيس او الشيخ او الرئيس ولكنه لم يشر ولامرة الى كتابه القانون الا انه من مقابلة المعلومات يبدو انه اخذها منه . لكنه يذكر كتابه باسم الادوية المفردة وفي الوصف لهذه المفردات يعتمد على ابن سينا مثلا في وصف الحنطة يقول قال الشيخ الرئيس ابو علي أبن سينا : اجود الحنطة المتوسطة في الصلابة العظيمة السمنة الملساء التي بين الحمراء والبيضاء والحنطة السوداء رديئة الغذاء.... ثم يقول والحنطة تنقي الوجه ودقيقها والنشا خاصة بالزعفران دواء للكلف[١٥٢] ، ثم ينتقل الى وصف الزرع بالشعر طبقا لمنهجه .

ويستمر في وصف هذه المواد وصفاتها ومنافعها الطبية اعتمادا على ابن سينا. ثم يشير الى قضايا تخص الزراعة ومنها التوليد ويعطي امثلة على ذلك ويعتمد على الفلاحة النبطية لابن وحشية والامثلة على ذلك كثيرة ولم نشأ ان نذكرها لانها خاصة بالعصر الذي وصفت فيه[١٥٣] .

وهكذا في هذا الباب اعتمد على مصدرين هما ابن سينا في الفوائد الطبية ، وابن وحشية في طرق الزراعة والتوليد .

---

(١٥٢) المصدر نفسه ، ج١١، ص١٤.

(١٥٣) المصدر نفسه ، ج١١، ص٤٨، ٥١، ٥٢.

اما القسم الثاني من الفن الرابع فخصصه للاشجار وفيه ثلاثة ابواب هي:

الباب الاول : فيما لثمره قشر لايؤكل ويشمل اللوز والجوز والجلوز والفستق والشاه والبلوط والصنوبر والرمان والموز والنارنج والليمون .

اما الباب الثاني: في ما لثمره نوى لايؤكل ويشمل النخل وما يشبهه وهو النارجيل والنوفل والكاذي والخزم ثم الزيتون والخرنوب والاجاص والقراسيا والزعرور والخوخ والمشمش والعناب والنبق .

الباب الثالث : فيما ليس لثمره قشر ولا نوى ويشمل العنب والتين والتوت والتفاح والسفرجل والكمثرى واللفاح والاترج . وسلك في هذه الابواب منهجه نفسه فهو يقدم وصفا لهذه الاشجار وتربتها او مراحل نموها ثم منافعها الطبية ويشير الى الكثير من الاشعار في وصفها لشعراء عديدين ومثال ذلك : ففي كلامه على الجوز وما قيل فيه يقول قال الشيخ ويقصد به ابن سينا هو حار ودرياقه للمحرورين السكنجبين ولضعفاء المعدة المربى بالخل .

واما افعاله وخواصه ففي مقلوه قبض وورقه وقشره كله قابض للنزف وصمغه نافع للقروح ، والجوز مع السذاب والتين دواء لجميع السموم ، ثم يذكر ما وصفه به الشعراء وشبهوه[١٥٤].

وفي الشاه بلوط يشير الى طرق زراعته وتوليده ويعتمد في ذلك على ابن وحشية[١٥٥] .

---

[١٥٤] المصدر نفسه ، ج١١، ص٨٩.

[١٥٥] المصدر نفسه ، ج١١، ص٩٦.

ومن الامثلة على ما ذكر في الباب الثاني ما ذكره في النخيل فقد فصل في ذكره وترتيبه معتمدا على الثعالبي في فقه اللغة ووصف نعوت النخلة وكل ما فيها من ثمر وسعف وجذع وليف وكرب وطلع وما قيل فيها من الشعر[١٥٦] .

ومن الامثلة عما ذكره في الباب الثالث ما قاله في العنب وصف الشجرة واسمائها وانواع العنب ومنافعه الطبية ومضاره .

يقول ابن سينا المقطوف منه في الوقت ينفخ والمعلق حتى يضمر قشره جيد للغذاء مقو للبدن وغذاؤه شبيه بغذاء التين في قلة الرداءة وكثرة الغذاء ....والزبيب صديق الكبد والمعدة والزبيب ينفع الكلى والمثانة والعنب المقطوف في الوقت يحرك البطن وينفخ[١٥٧] .

وفي ما يخص طرق الزراعة والتوليد يعتمد على ابن وحشية اما التفاح فيذكر منافعه الطبية وانواعه وصفاته[١٥٨].

ويكثر من وصف التفاح وخاصة في الشعر .

---

[١٥٦] المصدر نفسه ، ج١١، ص١١٧، وانظر نبيلة عبدالمنعم داود ، مصادر دراسة النخيل في التراث العربي (بحث نشر ضمن الوقائع الكاملة لندوة النخيل في التراث ، معهد التراث العلمي بجامعة حلب بالتعاون مع اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ٢٨٣٠/٣/٢٠٠٦، ص١١١-١٧١) .

[١٥٧] المصدر نفسه ج١١، ص١٤٦.

[١٥٨] المصدر نفسه ، ج١١، ص١٦٢، ولنظر نبيلة عبدالمنعم داود، مصادر دراسة الفواكه والثمار في التراث العربي (بحث منشور ، ضمن الوقائع الكاملة للمؤتمر٢٨ لتاريخ العلوم عندالعرب ، معهد التراث العلمي بجامعة حلب ٢٥٢٧/٦/٢٠٠٧، ص ٤٥٧ - ٥٤٤) .

كما يعتمد على ابي بكر بن وحشية في طرق الزراعة في كتابه اسرار القمر الذي لم يصلنا .

اما القسم الثالث من هذا الفن فهو في الفواكه المشمومة وفيه بابان.

الباب الاول: فيما يشم رطبا ويستقطر ويشمل اربعة انواع ، الورد ، والنسرين ، والخلاف ، والنيلوفر.

الباب الثاني : فيما يشم رطبا ولايستقطر ويشمل البنفسج والنرجس والياسمين والآس والزعفران والحبق[١٥٩] .

وهذه الابواب من ابدع الابواب الوصفية نظما ونثرا دلت على بلاغة النويري وادبه العالي وقد ساعده على ذلك محتوى الموضوع لان الورود والازهار بجمالها والوانها تمثل احلى ما في الطبيعة من لوحات ولهذا كانت وحيا للفنانين والهاما للشعراء[١٦٠].

وسماها الفواكه المشمومة والفاكهة من فكه وتفكه بالشيء تمتع به وتلذذ واكل الفاكهة فهو هنا يعني انه تمتع وتلذذ بروائحها مثل ما يتلذذ باكل الفاكهة[١٦١] .

---

[١٥٩] نهاية الارب ، ج١١، ص١٨٤-٢٥٥.

[١٦٠] نبيلة عبدالمنعم داود ، الازهار والرياحين في التراث العربي (الازهار العطرية) (بحث منشور ضمن الوقائع الكاملة للمؤتمر السنوي ٢٦ لتاريخ العلوم عندالعرب ، معهد التراث العلمي بجامعة حلب ١٠١٤/١٠/٢٠٠٥، ص٨٣-١١٩) وانظر نبيلة عبدالمنعم داود ، المشمومات في التراث العربي (بحث القي في المؤتمر الرابع للاعشاب والنباتات الطبية ، المركز القومي للبحوث – السودان – الخرطوم ٢٥٢٧/١١/١٩٩٧) .

[١٦١] مصادر دراسة الفواكه والثمار في التراث العربي ، ص٤٥٧.

ومن الامثلة على ماذكره في الباب الاول كلامه على الورد معتمدا على التنوخي في نشوار المحاضرة ذكر الوان الورد وانواعه وكيفية التحايل لاستخراج انواع والوان من الورد ثم ما ذكره ابن سينا عن الورد وعن منافعه انه يقطع الثآليل اذا استعمل مسحوقا وينفع القروح ، ومسكن للصداع ويسكن وجع العين وطبيخ يابسه صالح لغلظ الجفون والورد جيد للكبد والمعدة وكثير من الامراض الاخرى وقد اكثر النويري في ماقيل في وصف الورد نظما ونثرا ، ومن ابدع الرسائل التي ذكرها النويري رسالة ذكرها العماد الكاتب في الخريدة وصف فيها الرياض والرياحين وفضل الورد على جميعها وهي عبارة عن مناظرة بين الورود يفوز بها الورد الجوري على سائر الازهار.

وهذا الباب كله في الادب نظما ونثرا سوى ما فيه من منافع الورود والرياحين الطبية واكثرها نقلا عن ابن سينا فهو لايخلو من مادة علمية يستفاد منها في دراسة تاريخ العلوم[١٦٢].

اما القسم الرابع فهو في الرياض والازهار ويتصل به الصموغ والامنان والعصائر وفيه اربعة ابواب :

الباب الاول : في الرياض وما وصفت به نظما ونثرا.

الباب الثاني : في الازهار ويشتمل على ما قيل في الخيري والسوسن والاذريون والخـــرُم والشقيق والبهار والاقحوان .

---

[١٦٢] نهاية الارب ج١١، ص١٨٤-٢٥٥.

الباب الثالث: في الصموغ وهي ٢٨ صنفا منها : الكافور والكهرباء والكندر والفربيون والقنة والحلتيت والانزروت والسكنبيج والميعة والقطران[١٦٣] .

الباب الرابع: في الامنان ويشمل العسل والشمع والقرمز والافتيمون والترنجين وسكر العشر والقرمز واللاذن واللك .

وتحدث في القسم الرابع عن الرياض والازهار ووصف متنزهات الدنيا واشهرها منها صغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق وهذا الباب اكثره في الادب والشعر[١٦٤] .

وهو يشابه ما ذكره الوطواط في مباهج الفكر وفي كتاب مفتاح الراحة لاهل الفلاحة مع بعض الاختلافات اللفظية[١٦٥] .

وكذا الباب الاول من القسم الرابع هو وصف الأزهار مع بيان منافعها الطبية في بعض الاحيان وكله اوصاف وتشبيهات شعرية وهذا الباب يشبه ما في كتاب مفتاح الراحة لاهل الفلاحة[١٦٦]. .

اما الباب الثالث فكان في الصموغ ومنها :

---

(١٦٣) المصدر نفسه ، ج١١، ص٢٥٦-٣٣٠.

(١٦٤) المصدر نفسه ، ج١١، ص٢٥٦.

(١٦٥) مؤلف مجهول : مفتاح الراحة لاهل الفلاحة تحقيق الدكتورمحمد عيسى صالحية والدكتوراحسان صدقي العمد ، الكويت ١٩٨٤ ، ص٢٢٩-٣٠٢ ، واعتقد ان هذا الكتاب هو نسخة اخرى من مباهج الفكر لم يطلع عليها محققا الكتاب وقد قمت بمقابلة مفتاح الراحة مع مباهج الفكر وظهر لي تطابق ٩٠٪ وهذا الكلام لايعني نقدا لكتاب مفتاح الراحة بل الكتاب احسن نموذج في التحقيق العلمي الدقيق .

(١٦٦) نهاية الارب ، ج١١، ص٢٧١.

الكافور وهو صمغ شجره سفيحة بحرية وهو اشرف الصموغ قدرا يدخل في اصناف الادوية والطيب اشار الى فوائده ومنافعه الطبية ، ينفع الرعاف والصداع ولكنه يولد حصا الكلية والمثانة(١٦٧).

والكهرباء يسمى مصباح الروم وهو صمغ الحور الرومي وهو يحبس الرعاف ويمنع من الخفقان ونفث الدم ويحبس القيء وينفع من الزحير(١٦٨).

ويستمر في وصف هذه الصموغ واماكن وجودها وصفتها ومنفعهتا الطبية(١٦٩).

وكذا عمل في باب الامنان واعتمد في معلوماته على ابن سينا ومحمد بن احمد بن سعيد التميمي (ت٣٩٠هـ) في كتابه المرشد لقوى الادوية والاغذية والذي كان احد مصادر ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الادوية والاغذية رغم انه انتقده وصحح له بعض اقواله ، كما اعتمد على كتاب آخر له سماه جيب العروس ونزهة النفوس وهو من الكتب المفقودة (١٧٠) .

اما القسم الخامس من الفن الرابع فجعله في اصناف الطيب والبخورات والغوالي والندود والمستقطرات والادهان والنضوحات وفيه (١١) بابا .

---

(١٦٧) المصدر نفسه ، ج١١، ص٢٩٥.

(١٦٨) المصدر نفسه ، ج١١، ص٢٩٧.

(١٦٩) المصدر نفسه ، ج١١، ص٢٩٨-٣٢٤.

(١٧٠) المصدر نفسه ، ج١١، ص٣٢٥.

الباب الاول : في المسك وانواعه ويعتمد في هذا الباب على محمد بن احمد بن سعيد التميمي في كتابه جيب العروس ونزهة النفوس .

الباب الثاني : في العنبر وانواعه ومعادنه [١٧١] .

الباب الثالث: في العود ومعادنه واصنافه[١٧٢] .

الباب الرابع: في الصندل واصنافه ومعادنه[١٧٣] .

الباب الخامس : في السنبل الهندي واصنافه والقرنفل وجوهره[١٧٤] .

الباب السادس : في القُسط واصنافه[١٧٥] .

الباب السابع : في عمل الغوالي والندود وذكر الالات التي تصلح لصناعتها ويعتمد فيه على الزهراوي وعلى التميمي في جيب العروس وذكر صفات الغوالي صنعت للخلفاء[١٧٦] .

ويشير الى الندود وصناعتها ويذكر ان هناك عطارة معروفة يصفها هي بنان العطارة كانت ايام الواثق بالله العباسي وهو في كل كلامه يشير الى طريقه الصناعة ولكننا لانستطيع ان نذكرها خوف الاطالة وهو يعتمد على التميمي ايضا.

---

(١٧١) المصدر نفسه ، ج١٢، ص١٦.

(١٧٢) المصدر نفسه ، ج١٢، ص٢٣.

(١٧٣) المصدر نفسه ، ج١٢، ص٣٩.

(١٧٤) المصدر نفسه ، ج١٢، ص٤٣.

(١٧٥) المصدر نفسه ، ج١٢، ص٤٩.

(١٧٦) المصدر نفسه ، ج١٢، ص٥٢.

الباب الثامن : في عمل الرامك والسك من الرامك والادهان[١٧٧] . ويشير الى كتب في هذا المجال الفت للمعتصم مثل كتاب بختيشوع في العطر وكتاب يوحنا ابن ماسويه للمأمون .

الباب التاسع : في عمل النضوحات والمياه المستقطرة وغير المستقطرة مثل ماء الجورين وماء الصندل وماء الخلوق وماء الميسوس وماء التفاح وماء العنب وتصعيد المياه[١٧٨].

والنضوحات ليس المقصود منها للشرب بل التي تدخل في باب الطيب وهو يعتمد فيها على التميمي ايضا . ويصف طريقة العمل والالات والمواد التي تدخل فيها.

اما الباب العاشر: في عمل بعض الادوية ويصف طريقة[١٧٩] .صناعتها على شكل اشربة مفردة ومركبة وحسب مزاج الانسان ويشير الى ذكر صناعة الجوارشنات اي التي تهضم الطعام وتصنع من الفاكهة ويصف طريقة صنعها[١٨٠].

ويذكر عمل بعض المربيات من الجزر والاهليلج والتفاح ثم يذكر عمل السفوفات والحقن التي تغسل الامعاء ويذكر انواعا كثيرة من الادوية منها التي تجلو الاسنان وتطيب رائحة الفم .

الباب الحادي عشر: في قضايا طبية مختلفة .

---

(١٧٧) المصدر نفسه ، ج١٢، ص٧٠.

(١٧٨) المصدر نفسه ، ج١٢،ص١٢٠.

(١٧٩) المصدر نفسه ،ج١٢، ص١٤٢.

(١٨٠) المصدر نفسه ، ج٢، ص١٦٠-١٦٧.

ان هذه الابواب الاخيرة طويلة ومفصلة جدا وكل موضوع منها يستحق دراسة مستقلة سوف اخصصها لها اذا سمح العمر ولكنها تحوي على معلومات مهمة يستفيد منها دارس تاريخ العلوم ولم اشأ ان اذكرها لان الطرق المذكورة فيها غير مألوفة في ايامنا هذه ولكن صاحب الاختصاص بهذه الصناعة يمكن ان يجد فيها منفعة او معلومة لازالت مستخدمة لحد الان .

فالمادة كثيرة جدا نظرية وعملية وفيها صناعات زراعية مهمة تدخل في باب الغذاء والدواء والطيب .

وبعد هذا العرض ان هذا المنهج الذي اتبعه النويري حين ذكر هذه العلوم كان يعرضها كموضوع ثقافي عام يحتاج اليه العصر فلذلك اكتفى بالحقائق العلمية الاساسية التي يحتاجها المجتمع ويحتاجها من يعمل بالكتابة انطلاقا من الفكرة الاولى لتأليف الموسوعات وبدءً من ابن قتيبة الدينوري. ان المادة التي قدمها ليست جديدة في اغلبها الا انه في كثير من الاحيان هذبها ما ضاق اليها فهو يمثل التواصل العلمي في هذه المجالات كما يمثل كتابة المعرفة العلمية المتراكمة .

ان ماقدمه النويري من مادة علمية مهمة تساعد على معرفة تاريخ العلوم ودراسة تطوره ولاسيما وانها قدمت من شخص غير مختص بالعلوم بل هو كاتب موسوعي لم يدع شاردة ولا واردة الا ذكرها . وهذه المادة تفيد في اعطاء صورة كاملة عن تواريخ هذه العلوم وبعضها قد لايوجد في المصادر المختصة التي تعنى بالنظرية بلا امثلة فهي اذن مكملة للمادة العلمية في المصادر المختصة .

كما انه يكشف عن دور الادب العربي الاسلامي بوصفه مصدرا من مصادر دراسة تاريخ العلوم نظما ونثرا .

واخيرا فان هذه المصادر تبين ان اللغة العربية غنية بالتعبيرات عما يتصل بالانسان والحيوان والنبات والارض والتربة والمناخ وهي ذات قابلية مرنة لاستيعاب الكثير من المفردات ، فضلا عن انها تظهر الطابع الانساني للحضارة العربية الاسلامية فهي بحق لغة العلم .

تاريخ السكان في بغداد الكبرى

دراسة في علم السكان [*] واقع السكان في قرى موضع بغداد الكبرى قبل تأسيسها (قبل ١٤٥هـ ـ ٧٦٢م)

الدكتور عبد علي الخفاف

عميد كلية الآداب / جامعة الكوفة

الملخص :

تشير مصادر تاريخ بغداد إلى أن موضعها قد عرف المستقرات البشرية Human Settlements قبل تأسيسها في عام ١٤٥هـ - ٧٦٢م ، فتشير هذه المصادر الى وجود عدد كبير من القرى الكبيرة ومن القرى الصغيرة ، تؤشر وجودها شبكة الانهار والجداول والترع الواسعة والقناطر المشيدة فوقها التي تسهل حركة السكان وانتقالهم .

في ضوء القرائن ذات الصفة العددية حاولنا ان نتوصل الى تقدير حجم السكان في هذا الموضع فكان تقديرنا هو بحدود ٣٠٠٠٠ نسمة ، يتوزعون من حيث التركيب النوعي Sex- Stracture الى ١٥٤٣٧ نسمة من الذكور والى ١٤٥٦٣ نسمة من الإناث ، وهو واقع يختلف عن الواقع الحالي لخصائص المجتمعات السكانية المعاصرة ، فهي مجتمعات ، غالبيتها ، تتصف بتفوق أعداد الإناث على إعداد الذكور .

(*) الموضع site : هو الحيز المكاني الذي شيدت عليه المدينة

- Smailes , Arthur , E. (1968) The Geography of Towns-5th Edition- Hutchinco University Library. London. P.lo.

تختلف أعداد الذكور وأعداد الإناث في الفئات العمرية الخمسية التي رسمنا بموجبها هرم السكان في تفصيلات يشير اليها البحث .

كان هذا المجتمع شبه متوقف عن التغير باتجاه النمو ، وذلك بفعل ارتفاع المعدل السنوي للولادات وللوفيات معا ، فتم تقديرنا للمعدل السنوي للنمو الطبيعي للنمو ٠,١٧٪ أي اقل من ١٪ وهو معدل يؤشر حالة النمو السكاني البطيء جدا ، وعلى أساس تنظيرات علم السكان التاريخي Historic Demography فإننا قدرنا متوسط العمر في هذا المجتمع بحدود (٣٠- ٤٠) عاما .

(١) الهـــدف :

يهدف البحث الى دراسة واقع السكان لمجتمع الريف في مجموعات القرى التي كانت منتشرة على موضع مدينة بغداد قبل تأسيسها في عام ١٤٥هـ - ٧٦٢م والبحث جزء من دراسة تفصيلية تحاول ان تحدد ملامح التاريخ الاحصائي لمجتمع السكان في هذه المدينة التي تجاوز عمرها ١٠٠٠ عاما وتعد من مدن العالم المعمرة ، والتي أسهمت بإنتاج الجزء الكبير والمهم من الثقافة العربية الإسلامية .

(٢) المبررات :

لقد تناول الباحثون من مختلف حقولهم العلمية ، المؤرخون والجغرافيون والمتخصصون بعلم الاجتماع والاقتصاد وغيرهم من المتخصصين في هوامش هذه العلوم ومساحاتها البينية ، هذه المدينة بعدد كبير من الدراسات والبحوث وفي مختلف العصور التي مرت بها .
يأتي هذا الاهتمام الواسع بها بفعل دورها التاريخي في أمة العرب وفي أمة المسلمين على مدى عمرها الطويل ، فهي من مدن العالم التاريخية المعمرة كما اشرنا إلى ذلك .

المقدمـــة :

صحيح أن بعض من هذه الدراسات والبحوث تطرقت إلى واقع السكان للمدينة وقراها ، فوردت فيها بعض التقديرات والتخمينات لأعداد السكان ، وتوصيف لمجتمعها السكاني ، من حيث التوزيع النوعي الى ذكور وإناث ، ومن حيث التوزيع العمري الى أطفال وشباب وكهول ، في إشارات متناثرة إلا أن ذلك لا يحقق تعريفا منهجيا بتاريخ التواجد البشري وما طرأ عليه من تغيرات ذات صفة إحصائية .

لقد تحقق الكثير من تاريخها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، في دراسات معمقة وموسعه تستند إلى منهجية علمية ، في حين بقي تاريخها المتعلق بإحصاء السكان من دون توجه شامل ،من ذلك نرى ان هذا البحث ، جزء من دراسة موسعة ، سيكون محاولة لسد هذا الفراغ في المكتبة العلمية التي تناولت ماضي مدينة بغداد وحاضرها .

(٣) الأسلوب والمنهج :

إستند البحث إلى منهج علم السكان التاريخي والمعروف بمتابعته الزمنية لواقع السكان ، واعتماد الوصف الإحصائي للرقم ومتوسطاته ومعدلاته وأجزائه ومضاعفاته الذي تم تقديره على أساس بعض القرائن ذات الصفة العددية.

(٤) البيانات المتعلقة بالسكان :

تستند الدراسات والبحوث في علم السكان أساسا إلى البيانات الرقمية Data ، وهي بيانات يمكن الوصول إليها عبر تعدادات السكان

Census[*] وتعداد السكان أسلوب عمل إحصائي حديث مارسه الإنسان منذ مطلع القرن الثامن عشر[**] وهذه الحقيقة لا تعني عدم ممارسة الإنسان للإحصاء في الماضي فتشير المصادر التاريخية الى ان محاوله

---

[*] تعداد السكان وقد يطلق عليه احصاء السكان : هو صناعة تجميع المعلومات العددية او البيانات العددية عن السكان .

عن : الامم المتحدة / اللجنة الاقتصادية لغربي أسيا – والاتحاد الدولي للدراسات العلمية للسكان – بلا تاريخ – المعجم الديموغرافي متعدد اللغات / السفر العربي / الطبعة الثانية – بغداد – ص ٣٠.

ولا زال تحديد مفهوم تعداد السكان الذي وضعه Peterson تحديدا دقيقا وهو : العملية التي يحصل بمقتضاها حصر الموارد البشرية بما يفيد في تحقيق التخطيط للمستقبل .

عن : Peterson W . (1969) Popultion – 2nd Edition The Macmillan Co – London . p39.

[**] عن بدء إجراء التعدادات الحديثة للسكان نشير الى :

- السويد – ١٧٤٨ .
- النرويج – ١٧٦٠.
- اسبانيا – ١٧٨٧.
- الولايات المتحدة الامريكية – ١٧٩٠ .
- بريطانيا وفرنسا – ١٨٠١ .

عن :

Clarke , J.I.(1969) Population Geography – Pergammon – U.K.p. 36.

ويشار الى ان مصر قد اجرت اول تعداد لسكانها في١٨٨٢ .

عن : الصياد ، محمد محمود (١٩٥١) سكان مديرية البحيرة / مجلة كلية الاداب / جامعة القاهرة – المجلد ١٣- العدد ١- ص ٨٨ .

معرفة عدد السكان كانت من بين أولى العمليات الإحصائية التي مورست في الدول القديمة لأغراض متنوعة لربما كانت الأغراض العسكرية وجباية الضرائب ومعرفة أعداد الشباب القادرين على العمل في مقدمتها[1] . تشير هذه المصادر الى إحصاءات نفذت قديما في الصين عام ٢٢٣٨ ق.م. وفي اليابان وفي روما في القرنين الثامن والرابع ق.م.[2] وهي إحصاءات من دون شك لم تعرف أسلوب العمل الإحصائي .

لقد نقلت إلينا مصادر التاريخ العربي والإسلامي معلومات كثيرة عن إعداد السكان في بعض البلدان الإسلامية ولاسيما العراق والشام ومصر بصفتها بلدانا واسعة وقريبة من مركز الدولة الإسلامية ، ومما يذكر بهذا الصدد تقديرات " ابن رفاعه " وهي تقديرات ينقدها بعض الباحثين باعتبارأنها مبالغ فيها لانها حسبت على اساس الخراج والخلط بين الجزية التي يدفعها الرجل البالغ من غير المسلمين وبين خراج الارض .[3]

أن تقديرات أعداد السكان التي تشير إليها مصادر ومراجع التاريخ الإسلامي في بعض البلدان الإسلامية هي تقديرات حسبت على أساس إعداد الجوامع و السكك والدروب فالتعداد الفعلي للسكان آلية إحصائية عرفها ومارسها الإنسان في تاريخيه الحديث كما اشرنا الى ذلك .

في هذا البحث حاولنا الاستفادة من بعض المؤشرات المتعلقة بحجوم القرى ومن الخرائط التاريخية التي رسمت لموضع بغداد ولمدينة بغداد المدورة ذاتها مما أشارت إليها مصادر تاريخ بغداد ومنها :

---

[1] الخفاف ، عبد علي (٢٠٠٧) جغرافية السكان / أسس عامة / الطبعة الثانية / دار الفكر للطباعة والنشر / عمان / الأردن / ص ٦٥.

[2] المصدر نفسه – ص٦٥

[3] المصدر نفسه – ص٦٨

- البلدان لليعقوبي .
- تاريخ الرسل والملوك للطبري .
- رحلة ابن جبير .

ومن المراجع الحديثة :

- دليل خارطة بغداد لمصطفى جواد واحمد سوسة .
- عمران بغداد لمحمد صادق الحسيني .
- أوراق ندوة بغداد التي تم عقدها في كلية التربية الأولى – جامعة بغداد (٥-٧) مايس ١٩٩٠ والتي صدرت في كتاب تحت عنوان / بغداد في التاريخ / عن دار الحكمة للطباعة والنشر في بغداد في عام ١٩٩١ .

(٥) القرى في موضع بغداد :

الموضع site والموقع situation من المصطلحات العلمية في الدراسات الحضرية ، يشير الأول إلى الحيز المكاني الذي تم تشييد المدينة عليه ، كما تمت الاشاره إليه ، ولخصائصه الطبيعية اثر مهم في تحديد شكل المدينة وفي تركيبها الداخلي وتركيبها الوظيفي وفي مستقبلها[٤] .

---

(٤) Smailes – Op- Cit. p.10.

وللتفصيل ينظر إلى :

الخفاف ، عبد علي (١٩٨٢) خصائص جغرافية عامة في موقع وموضع مدينة السليمانية الكبرى / مجلة كلية التربية / جامعة البصرة / السنة ٤- العدد ٧ – ص٢١٧

الخفاف ، عبد علي وآخرون(٢٠٠٠) المبادئ العامة لجغرافية المدن – دار الكندي- اربد / الأردن / ص٢٠

أما موقع المدينة فهو موضع المدينة في علاقاته المكانية التي تتجاوزه ، وقد تتجاوزه بعيدا ، وللموقع تأثيراته في نمو المدينة وفي تطورها الاقتصادي والاجتماعي ، اللذان يعكسان تأثيرهما في تطورها العمراني[٥] فموقع مدينة بغداد وما يتسبب عنه من علاقاتها المكانية داخل العراق وعلاقاتها الإقليمية والدولية خارج العراق هو غير الموضع الذي يمثل حيز بنائها .

يمتد موضع بغداد المدورة او بغداد المنصور على مجموعة انهار بغداد الغربية (بغداد /الكرخ) كما تبدو من الخريطة التي رسمها المستشرق " كي لسترانج " و الخريطة – التي رسمها المستشرق "ماكسيميليان ستيك" لبغداد في أول أدوارها العباسية في كتابه " بلاد بابل القديمة " أنها تمتد ما بين نهر دجلة شرقا ونهر عيسى ، المتفرع عن نهر الفرات ، غربا ونهر دجلة جنوبا وخندق طاهر ، الذي يمتد ما بين دجلة عند الفرضة العليا ونهر الصراة شمالا [٦] .

يشغل هذا الموضع مساحة ٥٠كم مربع حسبما تم حسابنا له على أساس مقياس الرسم لخريطة " كي لسترانج "[*] إنه موضع منبسط السطح تغطية شبكة من الأنهار والجداول والترع المتفرعة عن الفرات ودجلة ، وقد بنيت فوقها العشرات من القناطر ، كما اشرنا الى ذلك .

---

[٥] الخفاف (٢٠٠٠) المصدر نفسه – ص٢٠٠.

[٦] جواد ، مصطفى وسوسه ، احمد (١٩٥٨) دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا – مطبعه المجمع العلمي العراقي – ص ٧٠– ص٧٢.

[*] يمكن مراجعة الخريطة في المصدر أعلاه وملاحظة – مقياس الرسم .

يبدو ان الخصائص الطبيعية لهذا الموضع شكلت بيئة جغرافية جاذبة للسكان ومشجعة على استقرارهم فيها فأحوال المناخ وأنبساط السطح ووجود التربة الغرينية ووفرة المياه في دجلة والفرات ورواضعهما " الروافد والفروع " جميعها كانت عوامل مشجعه على الاستقرار البشري وبشكل خاص الاستقرار الريفي ، فقد وفرت هذه البيئة المقومات اللازمة للعمل الزراعي ، حيث كان هذا العمل هو السائد وهو الأساس للاقتصاد حينذاك .

لم تؤشر الدراسات الجغرافية أية تغيرات كبيرة ومهمة قد حصلت في موضع بغداد ، منذ الزمن الذي عرف به ، فهو جزء من السهل الرسوبي يطلق عليه سهول الانهار(*) يتسم بقلة الانحدار فبغداد التي تبعد عن ساحل الخليج العربي الذي لا يرتفع عن مستوى سطح البحر سوى بضعة سنتمرات ، بحدود ٥٥٠كم لا يزيد ارتفاع السطح عندها على ٣٢ مترا عن مستوى سطح البحر(٧) .

(*) أطلق عليه هذه التسمية الدكتور جاسم محمد خلف في كتابه محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والبشرية والاقتصادية (١٩٦١) / معهد الدراسات العربية العالية – ص٤٥ وأطلق عليه الدكتور الطائي منطقة السهول المنبسطة الطائي ، محمد حامد (١٩٦٩) تحديد اقسام سطح العراق – مجلة الجمعية الجغرافية العراقية – المجلد الخامس – ص٢٣ .

(٧) تمتد منطقة السهل الرسوبي على طول ٦٤٠كم وعرض يتراوح ما بين (٣٠–٣٠٠) كم من شمال بغداد بحوالي ١٠٠كم وحتى ساحل الخليج ، وهي في هذا الجزء ينحدر السطح فيه انحدارا بطيئا جدا (١/١٧٥٠٠) سم .

عن : الطائي ، محمد حامد (١٩٦٩) المصدر السابق – ص٢٣ .

تنتشر التربة هنا وهي من الصنف الذي أطلق عليه خبير التربة الهولندي " بيورنك – Buringh " تربة السهل الفيضي الرسوبية المالحة(٨) وهي بشكل عام تربة عميقة عبارة عن مزيج من المواد الصلصاليه والرملية والجيرية وخالية من الحجارة والحصى (٩) .

وبصدد المناخ فان ذروة الحرارة كانت كما هي اليوم ، في شهري تموز وآب حيث ترتفع درجة الحرارة مابين (٤٨–٥٠) درجة مئوية(**) ويبدو ان الوصف الذي يرد في حال الناس في الشهرين المذكورين في المصادر التاريخية يؤشر هذا الارتفاع الكبير (١٠) وقد استمر .

كما كان عليه في الماضي فالشتاء والربيع هما فصلا المطر ، والصيف الطويل هو فصل الجفاف ، أما الخريف فيشهد الأمطار عادة إذا ما كان سقوطها مبكرا . سجلت محطة الأنواء الجوية ، في خمسينيات القرن الماضي ، ذروة تصل الى ٦٠ملمترا ، وهذه هي الذروة الاعتيادية التي تم تسجيلها لعدة سنوات(١١) . ويبدو انها ذروه تتكرر سنويا ، قبل

---

(٨) Buringh ,p.(1960) Soil and Soil Conditions in Iraq (Ministry of Agriculture) Baghdad p.33

(٩) Ibid

(**) ينظر الى

Meteorological Service (1945) Climatological Atlas of Iraq (8) p.36-40

(١٠) الحكيم ، حسن عيسى (٢٠٠٤) أنواء بغداد وأحوالها الطبيعية في العصر العباسي – الموسوعة الثقافية – (١٥) دار الشؤون الثقافية – وزارة الثقافة .

(١١) Meteorological Service (1940) Rain Fall in Iraq (1936-1939) Occasional Publication .(3) . p.p.3-10

عقود الجفاف الاخيرة ، اذ ثمة سنوات تتعرض فيها المدينة للظواهر الجوية الشاذة .

ولا شك في ان تصريف كل من دجلة والفرات كان عاليا فلم تكن حينذاك ثمة مؤثرات بشرية على التصريف بل كان يتم بشكل طبيعي يعكس عمل قوانين الطبيعة ، فلا سدود ولا خزانات إننا نتوقع تصريف النهرين بمستوى ما سجلته الأجهزة في سنوات الأربعينيات والخمسينيات حيث لم يتم بناء السدود والخزانات في تركيا وسورية والعراق بعد . لقد بلغ تصريف النهرين شهور الفيضان العالي بحدود ٥٠٠٠ متر مكعب في الثانية[١٢] وهذا يعني توفر ثروة مائية جيدة تغطي حاجات المحاصيل الزراعية ، لاسيما المحاصيل الصيفية التي تعتمد على الري .

على الرغم من سيادة الخصائص الطبيعية الايجابية في هذا الموضع فهو يتعرض وتعرض فعليا إلى وقوع الحوادث الطبيعية ، وعلى وجه الخصوص المناخية ، السلبية من حين إلى آخر مثل الجفاف وهطول الأمطار الغزيرة والعواصف الشديدة المدمرة الى جانب الفيضانات والحرائق .[١٣]

أن هذا الموضع هو جزء من ارض السواد (السهل الرسوبي) ذات الكثافة العالية بالمستقرات البشرية ، ذو كثافة بشرية عالية ينتشر عليه عدد كبير من القرى والضياع ، فقد وصف في المصادر التاريخية بكونه مزدهرا ببساتينه العامرة ومزارعه الواسعة وقراه الزاهية وريه المنظم ،

---

[١٢] الخلف ، جاسم محمد (١٩٦١) مصدر سابق – ص٦٦.

[١٣] الحكيم ، حسن عيسى (٢٠٠٤) المصدر السابق – عدة صفحات .

ويبدو ان ارتفاع الكثافة البشرية قد تسبب بالضرورة في ظهور أكثر من مستقره حضرية فيه .

كانت اكبر هذه القرى وأشهرها هي قرية ، المباركة أو مزرعة المباركة " ويشار إلى أنها كانت تعود إلى ٦٠ شخصا من البغداديين ، عوضهم عنها أبو جعفر المنصور بعد أن قرر بناء بغداد على موضعها ، وقرية " الخطابية " ودير بستان القس " وقرية الشرفانية " ودير بارفيثون " و دير عمر صيليبا " وقرية براثا " وقرية سال و قرية ورثالا وقرية بانورا وقرية قطفتا وقرية الوردانية [١٤] .

ان ارتفاع الكثافة البشرية الناتج عن العدد الكبير للقرى تسبب بالضرورة الى ظهور بعض المستقرات الحضرية فهذه المستقرات هي بمثابة مراكز بيع السلع والخدمات لسكان القرى ، فكانت " سوق بغداد " الواقع إلى الجنوب من نهر الصراة يجتمع عندها التجار من مختلف الأمم في رأس كل سنة ، ويلتقي عندها التجار المحليون مطلع كل شهر أنها بمثابة سوق تجارية عالمية . وعند الهامش لهذا الموضع بنيت " المدائن " وقد أطلق عليها هذا الاسم نظرا لكثرة ما بني فيها حتى أمست مجموعه من المدن متصلا بعضها ببعض[١٥].

(١٥)-١- حجم السكان والكثافة البشرية العامة :

نرى أن القرى التي تمت الإشارة إليها وغيرها من القرى ، هي القرى الكبيرة بحجومها السكانية من ذلك تناقلت المصادر التاريخية

---

[١٤] جواد ، مصطفى وسوسة احمد (١٩٥٨) مصدر سابق – ص ٢١ .

[١٥] المصدر نفسه – ص٢١

أسماءها ولاشك في أن عشرات القرى الصغيرة الأخرى كانت تنتشر بينها وفي ما حولها ، تؤشر وجودها شبكة الأنهار والجداول والترع وعشرات القناطر المبنية فوقها كما تمت الإشارة إلى ذلك .

يقرب لنا الوصف التاريخي الذي تشير إليه جملة مصادر تاريخ بغداد لموضع بغداد وموقعها ، إمكانية التخمين لعدد القرى ، فإننا نرى أن متوسط عدد القرى في الكيلو متر المربع الواحد هو (٤) قرى ، وهذا يعني أن إجمالي عددها هو (٢٠٠) قرية باعتبار ان مساحة الموضع هي ٥٠ كيلو متر مربع كما ذكرنا .

ونرى انه ليس من المبالغة ان نقدر عدد القرى الكبيرة ، تلك القرى التي يصل متوسط عدد البيوت فيها ٣٠ بيتا بربع عدد القرى أي ٥٠ قرية وهذا يعني أن القرى الكبيرة تضم ١٥٠٠ بيتا وإذا ما افترضنا أن حجم الأسرة السائد حينذاك ، وهي الاسرة الممتدة التي تضم اكثر من جيل ، هو ١٠ نسمة فان هذا الافتراض المقبول يوصلنا الى تقدير حجم السكان في هذه القرى الكبيرة هو ١٥٠٠٠ نسمة .

واذا ما اعتبرنا القرى المتبقية وهي ١٥٠ قرية من القرى الصغيرة التي تضم الواحدة منها ١٠بيوت فقط بمتوسط لحجم الأسرة هو ١٠ نسمة ، فان هذا الافتراض يسمح لنا أن نضيف ١٥٠٠٠ نسمة آخرين ، وبذلك يكون اجمالي السكان ٣٠٠٠٠نسمة في موضع بغداد قبل تأسيسها مستقره حضرية .

لاشك في ان هذا العدد يمثل حجما سكانيا كبيرا ويجعل الموضع بكثافة بشرية مرتفعة تصل الى ٦٠٠ نسمة / كم ٢ ويستند توصيفنا له بانه

ذو كثافة مرتفعه الى المعايير التي يعتمدها علماء السكان " الديموغرافيون " والجغرافيون في تقسيم العالم الى مناطق او اقاليم سكانية فالمنطقة ذات الكثافة المرتفعة او العالية هي التي تتجاوز الكثافة فيها ١٠٠ نسمة / كم٢ [١٦]

(٥) -٢- تركيب السكان (هرم السكان) :

يقصد بتركيب السكان Stracture of Population توزيعهم حسب النوع الى ذكور وإناث ، وتوزيعهم حسب العمر الى فئات عمرية ، عادة خمسية ، وبفعل كون هذا المجتمع ذا طبيعة ريفية ومستقر لا يتعرض الى حركة واسعة وسريعه للهجره منه واليه ، فأننا نتوقع ان يكون تركيبه النوعي هو تركيب المجتمعات المستقره التي لا تقع تحت تاثير المتغيرات المؤثرة في التركيب وهي الهجره والحروب .

اننا نتوقع ان النسبة الجنسية او النوعية Sex-Ratio التي كانت سائدة فيه هي النسبة الطبيعية ، البعيدة عن المتغيرات المذكورة ، وهي ١٠٦ ذكرا لكل ١٠٠ انثى ، واذا ما اعتمدنا هذه النسبة فإنها تساعدنا على تقدير توزيع هذا المجتمع بواقع ١٥٤٣٧ نسمه من الذكور وبواقع ١٤٥٦٣ نسمة من الاناث ، أي ان واقع التوزيع النسبي المئوي هو ٥١٪ للذكور و ٤٩٪ للاناث .

والحقيقة ان حدود النسبة المئوية هذه هي الحدود الاعتيادية على صعيد العالم او على صعيد القارات والبلدان ، فالحالة المثالية هي ٥٠٪ لكل نوع او تزيد او تقل لا حدهما بواقع ٥١٪ - ٥٢٪ ٥٣٪ .... ٥٥٪ .

---

[١٦] الخفاف ، عبد علي (٢٠٠٧) مصدر سابق – ص ٩٨ .

اما اذا تخطت النسبة هذه الحدود فلا بد من وقوع المجتمع تحت تاثير الهجرة الواسعة او الحروب .

جاء تفوق النسبة المئوية لصالح الذكور مخالفا لتنظيرات علم السكان ، التي تستند إلى المسموح الميدانية للمجتمعات في العالم ، والتي تؤشر واقع تفوق النسبة المئوية للإناث في غالبية المجتمعات في الوقت الحاضر ، وذلك بفعل ما يعانيه الذكور من تحمل مسؤوليات الحياة في غالبية الاسر في العالم .

أن تفسير تفوق نسبة الذكور في مجتمع الدراسة ، يعود إلى طبيعة المجتمع العراقي ، والمجتمع العربي بشكل عام ، فهو مجتمع ذكوري[١٧] فقد كانت وما زالت المرأة فيه ، في سلوكها العام والسائد ، تستجيب الى قرارات الرجل داخل الأسرة وفي المجتمع ، ويعكس هذا السلوك الاجتماعي عادة آثاره في واقع السكان، حيث العناية بالأطفال الذكور اكثر من العناية بالأطفال الإناث ، ويستمر هذا التمييز عادة طوال العمر من ذلك نتوقع ارتفاع المعدلات السنوية للوفيات لبقية مراحل الاعمار الشباب والكهولة والشيخوخة .

ما زالت المرأة الريفية في العراق وفي عموم العالم العربي ، تتعرض الى الكثير من اسباب الوفاة وللاسباب التي تقود الى صغر امد الحياة ، متوسط العمر ، مثل متاعب الحمل والولادة والعمل البيتي والعمل الزراعي في الحقل وتربية الحيوان .

---

[١٧] الوردي ، علي (٢٠٠٩) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي – الطبعة الأولى – دار ومكتبة دجلة والفرات – بيروت – ص٢٣٣– ص ٢٣٦.

بشكل عام فأننا نحدد خصائص هرم السكان لهذا المجتمع بالآتي :

١- من حيث التركيب النوعي :

تتفوق أعداد الذكور على أعداد الإناث ولعل هذه سمة من السمات التي ميزها علم السكان في المجتمعات الريفية لاسيما في العصور التاريخية ، فالماضي ليس كما هو الحاضر حيث يتعرض الذكور في هذا العصر الى جملة من المتاعب وممارسة الاعمال الصناعية الثقيلة .

٢- من حيث التركيب العمري :

انه مجتمع فتي يشكل فيه كبار السن ممن تتجاوز أعمارهم ٦٠ عاما نحو ١٪ وذلك بفعل صغر متوسط امد الحياة ، متوسط العمر ، الذي نقدره ما بين (٣٠-٤٠) عاما ، وهو المتوسط الذي تحدده الدراسات في علم السكان للإنسان في العالم قبل القرن التاسع عشر[١٨].

كما تقل فيه نسبة الاطفال الرضع دون السنتين من العمر ، والأطفال عموما دون الخامسة من العمر ، وذلك بفعل ارتفاع المعدلات السنوية للوفيات بينهم . ونتوقع ان أعداد الإناث في الفئات العمرية (١٥-٤٥) اقلِ من اعداد الذكور ، وهذا الحال هو ما تتوقعه دراسات علم السكان في المجتمعات التي يسود فيها الزواج المبكر فتعد الفتاة بعد عامها الثاني عشر مشروعا للزواج ، فترتفع بين الاناث المتزوجات المعدلات السنوية للوفاة بسبب الحمل والولادة ويطلق عليها وفيات ما حول الولادة .

---

(١٨) Trewartha . Glenn, T.(1969) A geography of population : World Patterns – John Wiley and , Inc .N.Y.p.169

وأخيرا فإننا نتوقع تفوق اعداد الذكور على أعداد الإناث في الاعمار المتقدمة بعد الخممسين وهذا التوقع يتقاطع مع ماتشير اليه دراسات علم السكان من تفوق اعداد الاناث على اعداد الذكور في هذه الأعمار في الوقت الحاضر .

وتفسير ذلك يعود الى توجه المراة للعمل في الحقل وتربية الحيوان منذ نعومة أظافرها فهي يد عاملة أكثر من كونها واحدة من افراد الاسرة !! فغالبا ما يعتمد الرجل على اعمال النساء طلبا للراحة (*).

انه مجتمع ترتفع فيه المعدلات السنوية للوفيات بين كبار السن وصغار السن ، فالفئة الاولى تشكل نسبة ١٪ كما اشرنا الى ذلك ، والفئة الثانية تشكل ٢٥ز٢٦٪ وذلك بفعل ضعف المقاومة الجسدية لاسباب الوفيات .

(*) اننا نعتقد ان ما وصفت به المرأة في البحوث والدراسات الاجتماعية ، تلك التي تناولت المرأة العراقية و المرأة العربية بشكل عام ، بانها تابعة للرجل بصفة مطلقة نتيجة للسلوك الذكوري وهو امتداد لسلوك سابق اعتاد ان يمارسة الرجل لاسيما الرجل الريفي ، فالمراة كانت ولعلها ما زالت في أكثر أنحاء الريف العراقي وخصوصا في مناطق الاهوار كانت كأنها من قبيل الحيوان او الرقيق تستغل اقتصاديا وتعرض للبيع والشراء باسم الزواج ويرسلها الرجل الى الاسواق تحمل بعض المنتجات من الألبان او المنتجات الحقلية لبيعها ... وهو ينتظرها اخر النهار لكي تاتي له بشيء من النقود او الحاجات التي أوصاها بشرائها ، ان النظره التي ينظر بها الرجل للمرأة يدا عاملة جعلتها مرهقة جدا فهي تعمل تحت ظروف قاسية لا يحتملها الرجل نفسه ..

ينظر : الوردي – مصدر سابق – ص ٢٣

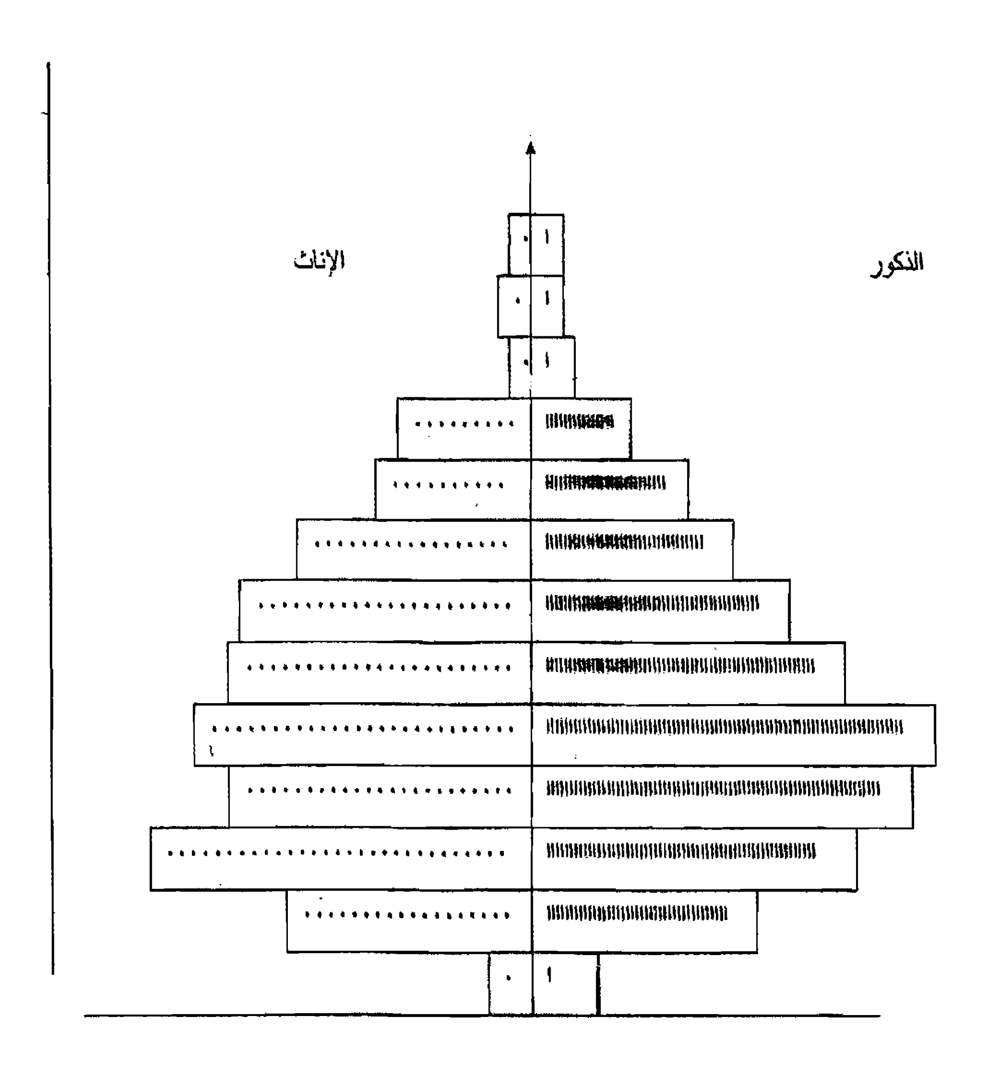
جـــدول

توزيع السكان حسب الفئات العمرية الخمسية

(مجتمع القرى في موضع بغداد قبل تاسيسها)

الفئة العمرية	الذكور	الاناث	المجموع
٠-٤	٣٧٧	٢٥٠	٦٢٧
٥-٩	١٣٠٠	١٥٦٣	٢٨٦٣
١٠-١٤	٢٠٠٠	٢٥٠٠	٤٥٠٠
١٥-١٩	٢٦٠٠	١٨٠٠	٤٤٠٠
٢٠-٢٤	٣٠٠٠	٢٠٨٠	٥٠٨٠
٢٥-٢٩	٢٠٠٠	١٩٠٠	٣٩٠٠
٣٠-٣٤	١٥٠٠	١٨٠٠	٣٣٠٠
٣٥-٣٩	١٠٠٠	١٢٠٠	٢٢٠٠
٤٠-٤٤	٨٠٠	٨٠٠	١٦٠٠
٤٥-٤٩	٤٠٠	٣٠٠	٧٠٠
٥٠-٥٤	٢٠٠	١٢٠	٣٢٠
٥٥-٥٩	١٥٠	١٣٠	٢٨٠
٦٠ فاكثر	١٥٠	١٢٠	٢٧٠
المجموع	١٥٤٣٧	١٤٥٦٣	٣٠٠٠٠

- تقديرات الباحث .



هرم السكان :

مجتمع القرى في موضع بغداد قبل تأسيسها في عام ١٤٥هـ ـ ٧٦٢م

ـ استنادا إلى الجدول السابق

(٥)-٣- نمو السكان :

هو حالة التغيير التي تحصل في حجم السكان أي عدد السكان ، وقد يحصل هذا التغيير باتجاه الزيادة وقد يحصل باتجاه التناقص ، وفي الحالتين يطلق عليه نمو السكان[١٩] والعامل الذي يسبب الزيادة هي الولادات في حين أن العامل الذي يسبب التناقص هو الوفيات ، وعندما تقتصر اسباب النمو على الولادات والوفيات يطلق على هذا النمو بالنمو الطبيعي او الزيادة الطبيعية .

نحن نرى ان المجتمع قيد الدراسة هو مجتمع ريفي يستند نمو السكان فيه اساسا الى الزيادة الطبيعية فالهجرة منه واليه محدودة جدا باعتباره مجتمعا ريفيا .

ولأجل حساب المعدل السنوي لنمو السكان في هذا المجتمع نضطر الى ان نستعين بتنظيرات علم السكان في تقدير المعدل السنوي للولادات والمعدل السنوي للوفيات . فيما يخص معدل الولادات لابد من حساب عدد الإناث اللاتي في سن الإنجاب (١٥-٤٥) عاما من العمر ، على إن الإنجاب الفعلي قد يكون قبل العمر ١٥عاما كما قد يحصل الزواج قبل هذا العمر أيضا ، إننا سوف نعتمد الخطوات الآتية :-

- إجمالي عدد الإناث هو ١٤٥٦٣ نسمة كما تمت الإشارة إلى ذلك .
- يمكن ان نطرح من هذا الإجمالي ربعه باعتبار ان صغار السن دون ١٥ عاما ، يشكلون ربع المجتمع فيكون العدد المتبقي هو ١٠٩٢٤ نسمة .

(١٩) الأمم المتحدة – مصدر سابق – ١٣٢ .

- نطرح من هذا العدد المتبقي ٥٥٠ نسمة وهو عدد الإناث في اربع فئات عمرية هي :

الفئة ٤٥-٤٩عاما – ٣٠٠نسمة

الفئة ٥٠-٥٤ عاما – ١٢٠نسمة

الفئة ٥٥-٥٩ عاما – ١٣٠ نسمة

وأخيرا الفئة ٦٠ عاما فأكثر – ١٢٠نسمة باعتبار ان نسبة كبار السن الذي تجاوزوا العمر بحدود ٦٠ عاماً هي بحدود ١٪

- قسمنا العدد المتبقي وهو ١٠٢٥٤ نسمة على ٤/٣

باعتبار هذه هي نسبة المتزوجات ، والناتج هو ٧٦٩٠ يمثل متوسط عدد الولادات في كل عام بافتراض انجاب كل امراة طفل واحد في العام.

- عند اعتماد معادلة حساب المعدل السنوي للولادات

وهي : $\frac{\text{عدد الولادات}}{\text{عدد السكان}} \times ١٠٠$

فان الناتج هو : $\frac{٧٦٩٠}{٣٠٠٠٠} \times ١٠٠٠ = ٢٥٦$ ولادة لكل ١٠٠٠ نسمة

ولأجل حساب المعدل السنوي للوفيات فان نظرية الدورة السكانية Demographic Cycle تقول ان مرحلة الحراك السكاني الاولى التي يمر بها المجتمع هي مرحلة النمو المتوقف او النمو السلبي ، وهي مرحلة

تقترن بالاقتصادات المعيشية[*] وتوصف في الوقت الراهن بالهبوط الشديد لمستوى الخدمات الصحية والبلدية ، وهي تتصف بارتفاع معدل الولادات وارتفاع معدل الوفيات ايضا لاسيما وفيات الاطفال ، ممن هم دون (٥ اعوام) ، ووفيات الاطفال الرضع ممن هم دون العام الاول[٢٠].

اننا لا نتردد من ان نصف المجتمع قيد الدراسة كونه كان يمر في مرحلة نمو السكان البطيء او النمو السلبي عند ذاك نستطيع ان نضع تقديرا للمعدل السنوي للوفيات يقترب من معدل الولادات ، وبذلك يكون المعدل السنوي للنمو لايسمح بالنمو السريع ، وبموجب هذا التوصيف فاننا نقدر معدل الوفيات ٢٠٠ بالألف أي ٢٠٠ وفاه لكل ١٠٠٠ نسمة من السكان و باستخدام معادلة النمو الطبيعي للسكان وهي وفق الصيغة :

$$\frac{\text{عدد الولادات} - \text{عدد الوفيات}}{\text{عدد السكان}} \times ١٠٠$$

$$\frac{٢٥٦ - ٢٠٠}{٣٠٠٠} \times ١٠٠ = ٢ر٠ \%\ \text{بالتقريب}$$

---

[*] الاقتصاد المعيشي هو نمط الاقتصاد الذي يعتمد فيه السكان على ما تتيح لهم الظروف الطبيعية فهو احد انماط الاقتصاد الطبيعي بعيدا عن اسواق التجارة واقتصاد المال .

– الخفاف ، عبد علي ورخصانه محمد اسماعيل وتماني علي سيف (٢٠٠٣) – مكانة المرأة في الاقتصادات المعيشية / سقطرى حالة دراسية / جامعة عدن / اليمن .

[٢٠] الامم المتحدة – مصدر سابق – ص ١٣٨.

ومع تقديراتنا لاعداد الولادات السنوية واعداد الوفيات فان المعدل السنوي للنمو الطبيعي للسكان في هذا المجتمع هو بالتقريب ٢و٠ ٪ أي اقل من ١٪ (*)

بهذا المعدل المنخفض يحصل التغير الطفيف فيوصف المجتمع على وفق منظور علم السكان كأنه في حالة ثبات تقريبا ، فلو مر عليه ١٠ أعوام فأن حجم السكان سوف يزداد من ٣٠٠٠٠ نسمة الى ٣٠٦٠٩ نسمة (**) .

(*) اعتمدنا في تحديد مراحل الدورة السكانية في العالم العربي ، كما تم نشرها في مؤلفاتنا ، على الخلفية والحيثيات التاريخية التي تجمعت لدينا على مدى سنوات إهتمامنا بهذا الموضوع .

- ينظر الى : الخفاف ، عبد علي (١٩٩٨) واقع السكان في الوطن العربي – دار الشروق – عمان – الأردن – ص٦٩.

(**) في الرياضيات البسيطة فأن ١٠٠ نسمة يزدادون بعد عام الى ٢ ,١٠٠ وعلى وفق حسابات الربح المركب فان عدد السكان سيكون بعد ١٠ أعوام كالآتي :

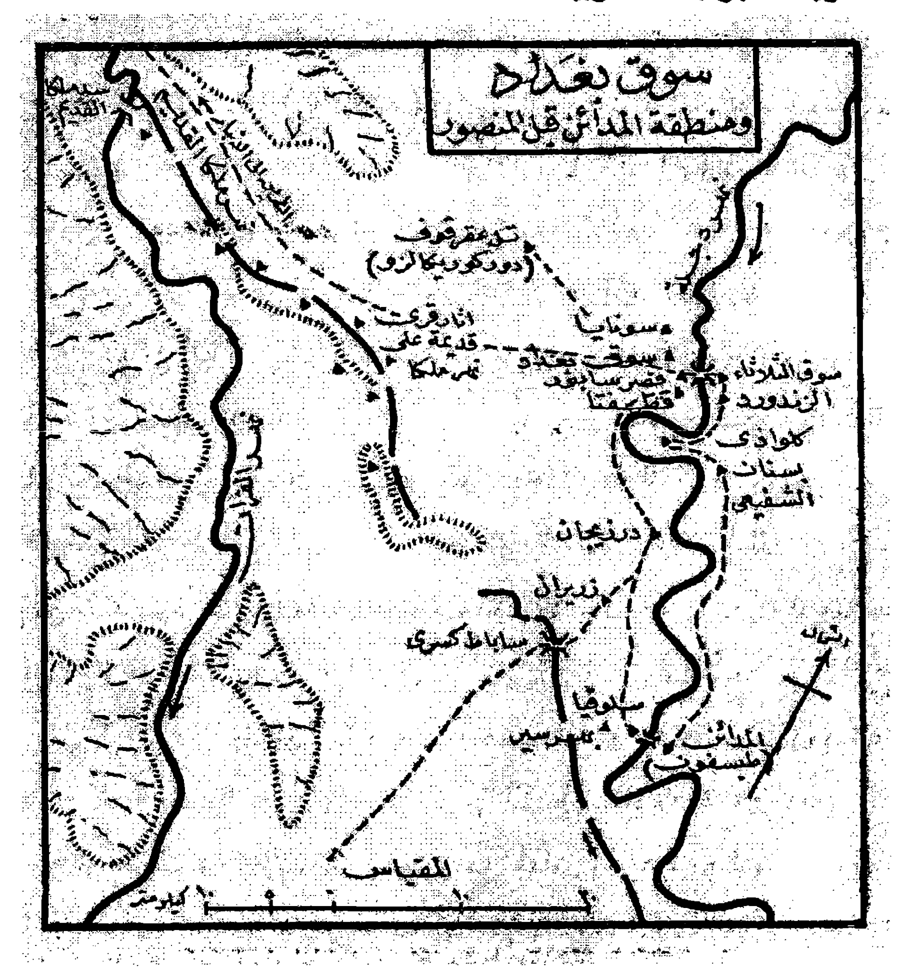
- ٣٠٠٦٠
- ٣٠١٢٠
- ٣٠١٨٠
- ٣٠٢٤٠
- ٣٠٣٠١
- ٣٠٣٦١
- ٣٠٤٢٢
- ٣٠٤٨٣
- ٣٠٥٤٤
- ٣٠٦٠٩

هذه بشكل عام الخصائص السكانية للمجتمعات في مراحلها المدنية الأولى تكاد تكون في حالة ثابتة لا تتغير، لافي نموها الطبيعي الناتج عن الولادات والوفيات ، ولا في تركيبها النوعي والعمري ، فيكاد الهرم السكاني لها ان يكون صورة ثابتة لا تتغير .. وهذا هو واقع السكان لمجتمع الريف في موضع بغداد قبل تأسيسها .

ملحق

- خريطة سوق بغداد ومنطقة المدائن قبل المنصور

- خريطة انهر بغداد الغربية



- جواد ، مصطفى وسوسة ، احمد (١٩٥٨) دليل خارطة بغداد المفصل / في خطط بغداد قديما وحديثا / مطبعة المجمع العلمي العراقي

- ص٢٦



- جواد ، مصطفى وسوسة ، احمد (١٩٥٨) دليل خارطة بغداد المفصل / في خطط بغداد قديما وحديثا / مطبعة المجمع العلمي العراقي
- ص٧٠

المصـــادر :

١- الأمم المتحدة / اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا / الاتحاد الدولي للدراسات العلمية للسكان (بلا تاريخ) المعجم الديموغرافي / متعدد اللغات / السفر العربي / الطبعه الثانية – بغداد .

٢- جواد ، مصطفى واحمد سوسة (١٩٥٨) دليل خارطة بغداد المفصل / في خطط بغداد قديما وحديثا – مطبعة المجمع العربي العلمي العراقي .

٣- الخفاف عبد علي (٢٠٠٧) جغرافية السكان : اسس عامة – الطبعة الثانية – دار الفكر للطباعة والنشر / عمان – الاردن .

٤- الخفاف ، عبد علي ورخصانه محمد اسماعيل وتماني علي سيف (٢٠٠٣) مكانة المرأة في الاقتصادات المعاشية / سقطرى حالة دراسية / الندوة الدولية العلمية الثانية حول الاستراتيجية التنموية لارخبيل سقطرى والجزر (١٤-١٦-١٢-٢٠٠٣) عدن/ اليمن .

٥- الخفاف ، عبد علي واخرون (٢٠٠٠) المبادئ العامة لجغرافية المدن – دار الكندي – اربد الاردن .

٦- الخفاف ، عبد علي (١٩٩٨) واقع السكان في الوطن العربي – دار الشروق – عمان الاردن .

٧- الخفاف ، عبد علي (١٩٨٢) خصائص جغرافية عامة في موقع وموضع مدينة السليمانية الكبرى / مجلة كلية التربية - جامعة البصرة / السنة ٤- العدد - ٧ .

٨- الطائي ، محمد حامد (١٩٦٩) تحديد اقسام سطح العراق - مجلة الجمعية الجغرافية العراقية / المجلد الخامس .

٩- الصياد ، محمد محمود (١٩٥١) سكان مديرية البحيرة / مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - المجلد ١٣ - العدد ١ .

١٠- الحكيم ، حسن عيسى (٢٠٠٤) أنواء بغداد وأحوالها الطبيعية في العصر العباسي - الموسوعة الثقافية (١٥) دار الشؤون الثقافية - وزارة الثقافة .

١١- الوردي ، علي (٢٠٠٩) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي - الطبعة الاولى - دار ومكتبة دجلة والفرات - بيروت .

12- Buringh ,p.(1960) Soil and Soil Conditions in Iraq (Ministry of Agriculture)- Baghdad

13- Clarke , J.I.(1969) Population Geography – pergammon – U.K.

14- Meteorological Service (1940) Rain fall in Iraq (1936-1939) – Occasional Publicaton . no.(3) Baghdad.

15- Ibid. no.(8).

16- Peterson , W.(1969) Population – 2nd Edition- The Macmillan- Co. London

17- Smailes , Arthur , E (1968) The Geography of towns – 5th Edition- Hutchinco University library London .

18- Trewartha , Glenn,T.(1969) Agography of Population: World Patterns – John Wiley and Sons Inc.N.Y.

خدمات المكتبات والمعلومات للمعاقين بصريا
معهد النور للمكفوفين في بغداد/ أنموذجا

م.م وصال صبحي عبد الغفور
معهد الإدارة / الرصافة

الملخص :

يسعى البحث إلى التعرف على مفهوم الإعاقة البصرية وخدمات المعلومات والمكتبات المتاحة للمعاقين بصريا .

كما يشير البحث إلى أنواع الأجهزة والوسائل التعليمية التي توفرها المكتبات للمكفوفين . تم استخدام منهج (دراسة الحالة) لواقع معهد النور للمكفوفين في بغداد والوقوف على الخدمات والتسهيلات التي تقدمها مكتبة المعهد لهذه الفئة من المستفيدين ، وبيان الصعوبات التي تعيق عملها وسبل تطورها.

توصل البحث إلى عدة نتائج أهمها :-

١ . ضعف استخدام التقنيات الحديثة في الوصول إلى المعلومات وفي تقديم الخدمات التي تناسب طبيعة المعوقين بصريا.

٢ . غياب التخطيط وعدم تحديث التشريعات والقوانين الخاصة بالخدمات المعلوماتية للمعاقين بصريا في العراق من قبل الجهات المعنية .

٣ . عدم تخصيص أقسام خاصة للمعاقين بصريا في المكتبات الوطنية ، العامة والجامعية لتوفير الخدمات المكتبية والأجهزة والوسائل التي تلائم طبيعة هذه الفئة من المستفيدين .

كما خرج البحث بعدد من التوصيات أهمها :-

١ . الاستفادة من تجارب الدول العربية أو الأجنبية في مجال خدمات المعلومات والمكتبات للمعاقين بصريا ومحاولة تطبيق ما يلائم المجتمع العراقي منها .

٢ . تطوير الموارد البشرية الضرورية على مستوى المدرسين والمشرفين والمكتبيين من خلال إشراكهم في دورات تدريبية بغرض تطوير مهاراتهم واطلاعهم على المستجدات الحديثة في هذا المجال .

أولا :- المبحث الأول

الإطار العام للبحث

١-١ المقدمة :-

أن فئة المعوقين أو الفئات الخاصة لاتقل أهمية بأي حال من الأحوال عن نظائرها من الفئات الأخرى في المجتمع ، فجميعها تسهم في التنمية ، والتنمية الحقيقية التي تنطلق من الإنسان وتنتهي بالإنسان ولذا فأن المصلحة تقتضي العناية بالمعوق وتلبية رغباتهِ لانه إنسان أولا ومواطن ثانيا .

وقد شهد القرن العشرون تطورا كبيرا في الاهتمام بالمعوقين على المستوى العالمي وذلك لتصاعد النداءات الكثيرة التي دعت إلى النظر إلى المعاقين على أنهم طاقة بشرية تسهم في بناء المجتمع الجديد ، ومن مظاهر الاهتمام العالمي بالمعاقين هو إعلان حقوق المعاقين الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام (١٩٧٥) واعتبار عام (١٩٨١) عام دولي للمعاقين وصدور القواعد الموحدة بشأن تحقيق عام دولي للمعاقين عام (١٩٩٣) والتي دعت الأمم المتحدة بموجبها الدول كافة لوضع خدمات المعلومات في متناول المعاقين[1].

وكان العراق سباقا في الاهتمام بهذه الفئة ويبدو ذلك واضحا من خلال القوانين والتشريعات التي سنت من اجل توفير سبل العيش الكريم

---

[1] الشيخ ، منى محمد علي . والياسري ، أروى عيسى . "خدمات المعلومات الخاصة بالمعاقين بصريا في العراق". المجلة العراقية للمعلومات ، مج٨ العددان ١-٢ ، ٢٠٠٢ . ص ص٥٥ – ٦٨ .

لهم ومنها قانون (١٩٤٥) ونظام رقم ٣٨ لسنة ١٩٦٤ الخاص برعاية المعاقين بصريا وتأهيلهم ، وقانون الرعاية الاجتماعية رقم ١٢٦ لسنة ١٩٨٠ الذي عالج الثغرات في القوانين السابقة[٢].

ان كل القوانين التي شرعت كانت تؤكد حق المعاقين في الحصول على المعلومات بالشكل الذي يتناسب وطبيعة الإعاقة التي يعانون منها وتعد فئة المعاقين بصريا من الفئات الأكثر عوزا للمعلومات ، فهم بحاجة إلى نقل المعلومات عبر وسائل يمكنهم التعامل معها إلا وهي حاستا السمع واللمس ، والتطورات التي حصلت في تقنيات المعلومات ساعدت على زيادة فرص التعلم امام المعاقين بصريا كذلك اكتساب الاستقلالية في التعلم والحركة والتواصل والسيطرة على البيئة المحيطة بهم واستثمار إمكاناتها .

١-٢ مشكلة البحث :-

تتحدد مشكلة البحث بوجود عجز كبير في خدمات المعلومات الخاصة بالمعاقين بصريا في العراق ، وان هناك لبسا أو غموضا في مفهوم هذه الخدمات لدى القائمين على القطاعات التعليمية والتأهيلية الخاصة بهم مما أدى إلى تأخر العراق عما يقدم في الدول العربية والأجنبية من خدمات المعلومات لهذه الفئة.

١-٣ أهمية البحث :-

تنبع أهمية البحث من أهمية وحاجة فئات المجتمع كافة إلى المعلومات باعتبارها موردا هاما من موارد التنمية بمختلف قطاعاتها،

---

[٢] تجربة العراق في مجال رعاية المعوقين.- بغداد: دائرة الرعاية الاجتماعية ، (د.ت).

حيث أصبحت المعلومات من المصادر المؤثرة في تطورات المجتمعات وتقدمها وقاعدة أساسية لأي تقدم حضاري . ونظرا لتزايد كمية المعلومات التي تبث وتنشر يوميا عبر تقنيات المعلومات المتطورة لذا أصبح من الصعب السيطرة عليها من قبل الأشخاص الذين لايعانون من إعاقة ، والأمر يكون أصعب بكثير بالنسبة للأشخاص الذين يعانون من إعاقة بصرية تجبرهم على استخدام وسائل خاصة للحصول على المعلومات، لذا فان نتائج هذا البحث يمكن أن تؤدي إلى اهتمام المكتبات بتوفير خدمات المعلومات للمعاقين بصريا بشكل يلائم طبيعة الإعاقة التي يعانون منها.

١-٤ أهداف البحث :-

يهدف البحث إلى تحقيق ما يأتي :-

١ . طرح التعريفات الخاصة بفئة المعاقين بصريا .

٢ . التعرف على سلوك المعاقين بصريا في البحث عن مصادر المعلومات .

٣ . بيان أنواع خدمات المعلومات التي تقدمها وسائل التقنيات الحديثة والبرمجيات للمعاقين بصريا .

٤ . التعرف على واقع الخدمات والتسهيلات التي تقدمها مكتبة معهد النور للمعاقين بصريا في بغداد .

٥ . طرح المشاكل والمعوقات التي تواجه العمل والمكتبيين فيها .

١-٥ منهجية البحث :-

اعتمد البحث منهج دراسة الحالة لواقع معهد النور للمكفوفين في بغداد لمعرفة خدمات المعلومات والتسهيلات التي تقدمها مكتبة المعهد لهذه

الفئة من المستفيدين، تم جمع البيانات من خلال الزيارات الميدانية والمقابلات الشخصية إضافة إلى الاستعانة بالأدبيات المنشورة في هذا المجال .

١-٦ حدود البحث :-

يتحدد مجال البحث بالاتي :-

موضوعا- خدمات المعلومات للمعاقين بصريا.

مكانا- معهد النور للمكفوفين في بغداد.

زمانا- ٢٠١٢-٢٠١٣.

١-٧ الدراسات السابقة :-

هنالك عدد من الدراسات السابقة التي تمت الإفادة منها لعلاقتها بجوانب هذا البحث فعلى مستوى الدراسات الميدانية العربية هناك دراسة قامت بها ناريمان متولي بعنوان (تطور خدمات المعلومات للمكفوفين وضعاف البصر) مع دراسة حالة عن مصر .

لقد عرفت الباحثة المعوقين بصريا بأنهم "أولئك المكفوفون المصابون بالعمى الكلي أو المكفوفون جزئيا ولهم بقية بصر ولكن بصرهم ضعيف جدا".

قامت الباحثة بإجراء مقابلات مع الطلبة والطالبات بغرض التعرف على الخدمات التي يحصلون عليها وطموحاتهم في هذا الصدد . أظهرت نتائج الدراسة ما يأتي :- هناك تقصير في الخدمات التي تقدمها مدرستا النور للبنات وللبنين فضلا عن قلة الأجهزة والفهارس وعدم ملاءمة مبنى المدرستين لخدمة الأعداد المتزايدة من المكفوفين .

ومن أبرز التوصيات هي ضرورة امتداد خدمات المكتبات بمختلف أنواعها ولاسيما العامة لتشمل فئات المكفوفين وضعاف البصر . وضرورة الاهتمام بالطفل الكفيف وتوفير المواد القرائية التي تناسب ميوله واستعداده وتوافق عمره العقلي والزمني[٣].

أما على مستوى الدراسات الميدانية في العراق ، فقد أجرى كل من ماجد رجب وأمير الرواس دراسة تتمحور حول وضع برنامج لخدمات المعلومات للمعوقين تتبناه المكتبة المركزية في جامعة الموصل بالتعاون مع المكتبات العامة في محافظة نينوى .

استخدم الباحثان المنهج الوصفي وتم جمع البيانات من خلال الاستبانات والمقابلات الشخصية ، توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها :-

١ . يشير واقع المكتبات العامة في محافظة نينوى إلى انعدام المواد السمعية والبصرية مما يوحي بان هذا النوع من المكتبات لم يأخذ شريحة المعوقين في الحسبان .

٢ . أبدى ٨٦٪ من العاملين في المكتبات العامة والبالغ عددهم ٦١ موظفا استعدادهم للعمل في برامج خدمات المعلومات للمعوقين وأوصى

---

[٣] متولي ، ناريمان اسماعيل. "تطور خدمات المعلومات للمكفوفين وضعاف البصر. مع دراسة حالة عن مصر". مجلة عالم الكتب. مج١٧. ع٣. ١٩٩٥ ص ص٢٢٠-٢٤٠.

الباحثان بضرورة الاستفادة من تقنيات المعلومات المتطورة في خدمة المعوقين للحصول على مصادر المعرفة[٤].

ثانيا:- المبحث الثاني

الدراسة النظرية

٢-١ مفهوم الإعاقة البصرية :-

تعددت التعريفات الخاصة بالإعاقة البصرية ومنها :-

- **التعريف القانوني Legal Definition**:- الذي يشير إلى ان الشخص الكفيف من وجهة نظر الأطباء هو ذلك الشخص الذي لاتزيد حدة إبصاره عن ٢٠/٢٠٠ قدم في أحسن العينين أو حتى باستعمال النظارة الطبية.

- **التعريف التربوي Educational Definition**:- يشير إلى ان الشخص الكفيف هو ذلك الشخص الذي لايستطيع أن يقرأ أو يكتب الأ بطريقة برايل Braille Method وهي نظام للقراءة والكتابة للمكفوفين تطبع فيه الحروف عن طريق نقط بارزة على الورق في مجموعات[٥].

- تعريف منظمة الصحة العالمية للإعاقة البصرية.

---

[٤] رجب ، ماجد حموك . والرواس ، امير محمد صادق . "دور المكتبة المركزية بجامعة الموصل في برنامج لخدمات المعلومات للمعوقين في محافظة نينوى". مجلة المكتبات والمعلومات العربية . ع١، ١٩٨٨. ص ص٢٣-٤٩ .

[٥] النوايسة ، غالب عوض . خدمات المستفيدين من المكتبات ومراكز المعلومات . عمان : دار صفا للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠. ص ص٢٧١-٢٧٢.

- **الإعاقة البصرية الشديدة :** - حالة يؤدي الشخص فيها الوظائف البصرية على مستوى محدود .
- **الإعاقة البصرية الشديدة جدا :-** وهي حالة يجد فيها الإنسان صعوبة بالغة في تأدية الوظائف البصرية الأساسية.
- **شبه العمى :-** حالة اضطراب بصري لايعتمد فيها علي البصر.
- **العمى :-** فقدان القدرات البصرية[٦].

ويقصد بمفهوم العوق في هذا البحث هو كل ما يحول دون استفادة المكفوفين وضعاف البصر من الخدمات والبرامج التي تتوافر في المكتبات والتي يحضى بها الأشخاص الأسوياء .

٢-٢ أهمية المعلومات في حياة الإنسان:-

يمتاز هذا العصر الذي نعيشه حاليا بتزايد أهمية المعلومات باعتبارها موردا هاما من موارد التنمية بمختلف قطاعاتها، وقد أصبحت المعلومات من المصادر المؤثرة في تطور المجتمعات وتقدمها وقاعدة أساسية لأي تقدم حضاري .

أن كل فرد في المجتمع يحتاج إلى المعلومات حتى في أبسط أمور الحياة اليومية وبذلك فان المعلومات تؤثر سلبا أو إيجابا على مصالح البشر نتيجة لتعامل الفرد مع نفسه ومع غيره[٧].

---

[٦] مصدر من الانترنت http://www.gulfkids.com/ar/index

[٧] المكتبة والبحث الأول الثانوي. كتاب الطالب- الرياض: وزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٦ ص١٩.

٢-٣ خدمات المعلومات للمعاقين بصريا :-

مفهوم خدمات المعلومات :-

هي الأنشطة والعمليات والوظائف والإجراءات والتسهيلات التي تقوم بها المكتبات ومراكز المعلومات ممثلة في العاملين لديها من اجل خلق الظروف المناسبة لوصول الباحث أو إشباع ما لديه من حاجات للمعلومات .

وتعتبر المكتبات مؤسسات اجتماعية مسؤولة عن تقديم خدمات المعلومات لجميع فئات المجتمع بشكل عام بغض النظر عن خصائص كل فئة ومن ضمن هذه الفئات فئة المعوقين بصريا فهم بحاجة دائمة إلى الوقوف على مصادر المعرفة التي تساعدهم على التنمية الثقافية والإحاطة بما يستجد من تطورات وانجاز البحوث والدراسات[٨].

٢-٤ مبررات تقديم خدمات المعلومات للمعاقين بصريا :-

أن تقديم خدمات معلوماتية للإفراد المعاقين بصريا هي جزء مكمل لتكوينهم العلمي والتعليمي والثقافي والإنساني وهي واحدة من الطرق والأساليب التي تعمل على سد فجوة الإعاقة وعدم القدرة ولذلك تقوم على المبررات الآتية :-

١ . أن الإفراد المعاقين بصريا لهم الحق في أن يعاملوا على قدر من الدرجة والمنزلة التي يعامل بها المستفيدون الآخرون.

---

[٨] السليمي ، نهلة بنت محمد . خدمات المستفيدين من ذوي الاحتياجات الخاصة .
متاح على الرابط : http://informatics-gov.sa/details

٢ . تحقيق مبدأ الفرص المتكافئة من خلال توفير وصول متكافئ لجميع مصادر المعلومات وخدماتها التي نتفع بها المستفيدون الآخرون .

٣ . أن المعاقين بصريا لديهم احتياجات معلوماتية وتعليمية شأنهم في ذلك شأن الإفراد غير المعاقين .

٤ . تنمية الموارد الإنسانية وتطويرها من خلال الرقي بقدراتهم الثقافية والتعليمية والعقلية ومن ثم التحقيق من حدة الإعاقة .

٥ . تحقيق مبدأ الدمج الكامل والكلي للإفراد المعاقين بصريا في المجتمع(٩).

٢-٥ اثر التقنيات الحديثة على خدمات المعلومات للمعاقين بصريا :-

تشير كلمة التقنيات بصفة عامة إلى الوسائل والأجهزة التي يستخدمها الإنسان في توجيه شؤون الحياة ، أما التقنيات المعلومات هي البحث عن أفضل الوسائل لتسهيل الحصول على المعلومات وتبادلها وجعلها متاحة لطالبيها بسرعة وفاعلية . واتخذت المكتبات ومراكز المعلومات تلك التطورات وسيلة لتحديث خدماتها بالنسبة للمعاقين بصريا، وتتمثل هذهِ التقنيات في العديد من التقنيات المقدمة من خلال البرمجيات الآتية :-

---

(٩) أصيل ، غادة عبد الوهاب . "خدمات المكتبات والمعلومات لذوي الاحتياجات الخاصة" . مراجعة أدب الموضوع للفترة الزمنية من ١٩٩١-٢٠٠٣. الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات . مج١٢ ع٢٣، ٢٠٠٥ ص٦٠.

٢-٥-١ برنامج إبصار :-

وهو من ابرز تقنيات القراءة المنطوقة للنص المكتوب التي تستخدم في المكتبات ومراكز المعلومات العامة والمتخصصة . وهذه البرامج تقوم بالعديد من المهام مثل قراءة النصوص ومعالجتها باستخدام معالج النطق ويمكن تحويل ملفات برايل إلى نصوص والعكس وذلك من خلال محول برايل .

٢-٥-٢ برنامج **JAWS "Job Access With Speech":-**

ومعناه تيسير العمل بالنطق، وقد ظهر هذا البرنامج مع برنامج التشغيل Windows 95 وهو برنامج له القدرة على قراءة النصوص والصور والرسوم، ويمكن استخدامه للكتب في مجموعة الخدمات المرجعية.

٢-٥-٣ برنامج **Kurzwail** :-

وهو برنامج قارئ شاشة باللغة الانكليزية وله القدرة على تلخيص النص وإضافة حواشي في إثناء استماع الكفيف إلى النص ويوجد به قاموس للمعاني يساعد المستخدم في تصفح الشبكة الدولية (الانترنت) وإيجاد الكتب والمراجع الالكترونية[١٠].

---

[١٠] محمد عبدة، فاطمة الزهراء. برمجيات المعاقين بصريا واستخدامها في المكتبات. متاح على الرابط http://www.cybrarian's.info/journal/no9/software.htm

٢-٦ الخدمات المعلوماتية التي تقدمها التقنيات والبرمجيات للمعاقين بصريا :-

مع التقدم العلمي والتقني تشهد خدمات المعلومات لذوي الاحتياجات الخاصة اليوم في الدول المتقدمة تطورا مستمرا فيما يتعلق بمجال استخدام وتطويع تقنيات الحاسبات الآلية الحديثة في تقديم تلك الخدمات وهي كالأتي :-

١ . القراءة المنطوقة للنص المكتوب :-

وهذه التقنية تسمى في بعض البرامج بـــ (قارئ المستندات) كبرامج (إبصار- زوم تكست- هال) ويتم بها قراءة النصوص العربية والانكليزية وهي توجه المعوق بصريا وترشده في كل خطوة ، كما يمكن تحويل الملفات الالكترونية إلى ملفات صوتية يمكن للمعاق سماعها.

٢ . الطباعة بطريقة برايل :-

ويتم هنا طباعة أي نص مكتوب على الحاسب بطريقة .txt أو .doc ولكن من خلال طابعات خاصة تتعامل مع البرامج التي تقوم بتحويل النص من اللغة العادية إلى طريقة برايل .

٣ . البرنامج التعليمي للحاسب :-

تتواجد هذهِ التقنية في برنامج (أبصار) و (هال) وتهدف إلى التعرف على لوحة المفاتيح الخاصة بالحاسب فضلا عن التدريب على كتابة الحروف والكلمات والجمل، ويعتمد البرنامج على الرسائل الصوتية المصاحبة للتدريب لتسهل على المستخدم عملية التعليم.

٤ . تصفح مواقع الشبكة الدولية :-

وفيه يقوم البرنامج (هال وأبصار) بمساعدة المعاق بصريا على تصفح مواقع الويب وقراءة البريد الالكتروني وممارسة خدمات الدردشة .

وتعمل تلك التقنية كالآتي . عند فتح الموقع يبدأ البرنامج في قراءة عنوان الصفحة وتسمع الرسالة الصوتية هذه صفحة تحتوي على الرابطة x ثم يقوم بقراءة تفاصيل محتويات الصفحة من روابط وصور وعلامات الترقيم ، تقوم تلك الخدمة بتحريك الصفحة تلقائيا في أثناء التصفح .

٥ . تكبير النص على الشاشة :-

تقدم بعض المكتبات تلك الخدمة لضعاف البصر من خلال برمجيات خاصة مثل برنامج Zoom txte وبرنامج super nova وهي برامج تقوم بتكبير شاشة العرض أكثر من الحجم الطبيعي بـــ ١٦ مرة ويستخدم عدسة لتكبير أجزاء من الشاشة بعد التكبير السابق[١١].

---

[١١] جوهري ، عزة خدمات المعلومات للمعاقين بصريا.

متاح على الرابط. knol.google.com/k/

ثالثا:- المبحث الثالث

الجانب العملي

معهد النور للمكفوفين في بغداد

٣-١ المقدمة :-

أن أولى البرامج المنظمة للرعاية الاجتماعية الخاصة بالمكفوفين قد ظهرت في العراق في عشرينيات القرن الماضي من خلال المؤسسات الدينية والجهود التطوعية ، وقد تأسست (جمعية مكافحة العلل الاجتماعية) عام ١٩٣٧. وظهرت معاهد خاصة برعاية المكفوفين مثل (معهد المواساة) ، إن معاهد المكفوفين في العراق تستقبل الأطفال المصابين بهذه الإعاقة في مرحلة مبكرة وتبدأ معهم رحلة الاهتمام والتأهيل بشكل علمي مدروس لكي لايتخلفوا عن أقرانهم من الأطفال المبصرين ، كما أنها تزودهم بأوليات المعرفة ، ومن هنا كانت هذهِ المعاهد تمثل نقطة الانطلاق الأولى في تزويد هؤلاء الأطفال بالمعلومات اللازمة لتأهيلهم وتعليمهم ويوجد في العراق خمسة معاهد متخصصة في تعليم المعاقين بصريا وتأهيلهم وهي كالأتي :-

١ . معهد النور للمكفوفين في بغداد .

٢ . معهد النور للمكفوفين في النجف .

٣ . معهد النور للمكفوفين في البصرة .

٤ . معهد النور للمكفوفين في الديوانية .

٥ . معهد النور للمكفوفين في نينوى[١٢] .

---

(١٢) كراس- معهد النور للمكفوفين في بغداد- إعداد صافية رشيد حميد، جبار حسين رفة. ص١ (د.ت).

٣-٢ التعريف بمعهد النور للمكفوفين في بغداد :-

يعد معهد النور للمكفوفين في بغداد المعهد الحكومي الأول الذي اهتم برعاية المعاقين بصريا وتأهيلهم وقد تأسس في بغداد عام ١٩٤٩ ليكون النواة الحقيقية لتطور رعاية المكفوفين في العراق ، وكان يعرف باسم (معهد الملكة حزيمة) ثم تغير اسمه ١٩٥٨ وأصبح يسمى (المعهد النموذجي لرعاية وتأهيل المكفوفين) الذي كان يضم صفوفا للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة ، وفي عام ١٩٧٠ جرت تعديلات على نظام المعهد وتغير اسمه إلى (معهد النور للمكفوفين) وأصبحت الدراسة فيه ٦ سنوات ويعتمد على المناهج الدراسية المقررة على طلبة المرحلة الابتدائية في القطر.

٣-٣ شروط القبول في المعهد هي :-

١ . محالا إلى المعهد من المركز التشخيصي للعوق في بغداد أو لجان تشخيص العوق .

٢ . أن تكون حدة الإبصار لديه أقل من (٦٠/٦) أو عدم تحسس الضوء (العمى الكلي).

٣ . سالما من الإمراض الانتقالية وحاصلا على شهادات التلقيح المطلوبة.

٤ . أن يكون قد أكمل السادسة من عمرهِ ولم يتجاوز سن العاشرة من العمر .

٣-٤ أقسام المعهد :-

يضم المعهد عدة أقسام وهي :-

١ . القسم الإداري :-

ويتألف من السيد مدير المعهد وردفائهِ وقسم الأفراد وشعبة الحسابات وشعبة البداله .

٢ . القسم الدراسي :-

يتكون هذا القسم من صفوف المرحلة الابتدائية من الصف الأول إلى الصف السادس الابتدائي ، تطبق عليهم كل المناهج الدراسية المقررة في مدارس وزارة التربية، مضافا إليها دروس أخرى خاصة بالمكفوفين مثل (فن السير والحركة بالعصا) . (ودروس في تنمية الحواس) فضلا عن دروس في الموسيقى والإنشاد. يشرف على تعليم الطلبة وتدريبهم أساتذة متخصصون بتدريس طريقة برايل . يضم المعهد ٦٥ مستفيدا ٤٠ من الذكور و ٢٥ من الإناث . موزعين على صفوف المرحلة الابتدائية.

بعد إكمال الطلبة المرحلة الابتدائية في المعهد يتم تحويلهم إلى المدارس الاعتيادية المتوسطة ثم الإعدادية. الغرض من التحاقهم بالمدارس الاعتيادية هو الاندماج التام في الحياة الاجتماعية والثقافية وتحسين ثقتهم بأنفسهم وتطوير اعتمادهم الذاتي على أنفسهم في مختلف مجالات الحياة وجعلهم أكثر مشاركة في المجتمع .

٣ . قسم البحث الاجتماعي :-

يتولى هذا القسم تقديم الخدمات الاجتماعية بالإشراف والتوجيه ودراسة إحالات الطلاب وإعداد التقارير والإحصائيات ومتابعة أمور

الطلاب في الأسرة والمعهد واتصالهم الدائم مع الهيئة التعليمية لمتابعة المستوى الدراسي للطالب وتقوية العلاقة مع أسرة الطالب .

٤ . قسم الطبع والاستنساخ :-

ويضم الشعب التالية :-

أ . **شعبة المطابع :-** وتقوم بطباعة الكتب المنهجية بطريقة برايل أي تحويلها من الخط العادي إلى الخط النقطي.

ب . **شعبة الاستنساخ :-** ويتم فيه الاستنساخ بطريقة الثرموفورم أي استنساخ النسخ الأصلية التي تم طبعها بالطابعة اليدوية وبطريقة برايل وبالعدد الذي يحتاجه المعهد.

جـ . **شعبة التجليد:-** ويتم فيها تجليد الكتب التي تم نسخها بواسطة الثرموفورم.

٥ . القسم الأيوائي :-

ويقبل فيه الطلبة الذين يعانون من فقدان الرعاية الأسرية بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تحول دون تقديم الرعاية المناسبة لهم .

وينقسم هذا القسم إلى قسمين :-

١ . قسم داخلي للذكور :-

ويشرف عليه مراقبون ويكون تواجدهم من نهاية الدوام الرسمي إلى بداية الدوام الرسمي لليوم الثاني .

٢ . قسم داخلي للإناث :-

تشرف عليه مراقبات ويكون تواجدهن نفس تواجد المراقبين .

يضم القسمان السابقان غرفا للمنام ، قاعات للاستراحة، ومسجدا صغيرا، ومطعما ومكتبة للقراءة ، ويقدم للمقيمين والمقيمات أي المستفيدين والمستفيدات ثلاث وجبات طعام يوميا مع صرف مخصصات للملابس ، وتخصيص فترات للقراءة حيث يقوم احد المعلمين أو المعلمات بتدريس الطلبة ومساعدتهم في توضيح مفردات المناهج الدراسية المقررة لهم[١٣].

٦ . قاعة وسائل الإيضاح والمرسم والموسيقى والمعمل ويضم :-

أ . قاعة وسائل الإيضاح :-

وتضم هذه القاعة مجموعة من الخرائط البارزة والحيوانات المحنطة والكرات الأرضية.

ب . المرسم :-

ويتم فيه تعليم الطلبة كيفية الرسم على شكل بارز. أن الطفل الكفيف المصاب بالعمى الكلي ليس لديه تصور مسبق عن شكل الأشياء حوله لذلك فهو يستعين بمجسمات خاصة يتعرف عليها عن طريق اللمس فتكون لديه صورة محددة لهذه الأشياء .

أما الوسائل التي يستخدمها الطلبة في الرسم فهي أقلام خاصة عبارة عن كرات صغيرة تتصل بها أقلام معدنية مدببة، أما ورق الرسم المستخدم فهو ورق خاص يستند الى قواعد أسفنجية مضغوطة تتيح للأقلام إمكانية ترك آثار مناسبة في الورق الشفاف، يستخدم الطلبة اليد اليمنى في الرسم ثم يقوموا بتلمس ما رسموه فتكون لديهم خطوط نانئة هي خليط من التجسيم الذي تعرف عليه الطلبة وما قد تم إضافته من خيالهم أو

---

[١٣] كراس- معهد النور للمكفوفين- مصدر سابق ص ص٢-٥.

تصوراتهم، أما جدران المرسم فقد انتشرت عليه عشرات الرسوم المعبرة كالبيوت والأشجار والناس والخطوط والإشارات المبهمة.

جـ . قاعة الموسيقى :-

يدرس فيها أنواع الآلات الموسيقية وحسب رغبة الطالب في اختيار الآلة التي يروم التعلم عليها فضلاً عن وجود فرقة فنية تابعة للمعهد وقاعة للاحتفالات التي يقوم بها المعهد.

د . الورشة (المعمل) :-

وتتم فيها الصناعات اليدوية مثل الخيزران، الموبيليا والفرش(١٤).

٧ . مركز الحاسوب الناطق :-

وهو أول مشروع في العراق يهدف إلى تعليم المكفوفين سبل التعامل مع الحاسوب والشبكة الدولية (الانترنيت) بطرق تعليمية جديدة وعن طريق برنامج إيصار الناطق، ومحاولة إدخالهم إلى المجتمع في مختلف مجالات الحياة والعلوم ، فضلا عن طبع المناهج التعليمية المقررة والكتب بطريقة (برايل) عن طريق خزن الكتب في جهاز الحاسوب وتحويله إلى المطبعة الالكترونية حيث يتم تحويله من الخط الاعتيادي إلى خط (برايل).

تضم قاعة مركز الحاسوب (١٢ حاسبة) مجهزة برنامج إيصار الناطق مع توفر ٣ طابعات وهي كالأتي:-

---

(١٤) مقابلة مع السيدة اسماء جواد/ مسؤولة قاعة وسائل الإيضاح والرسم بتاريخ ٨/٤/٢٠١٣.

أ . طابعة مكتبية خاصة بتحويل الكتابة من الخط العادي إلى خط برايل وهي (4 Waves pro) نوع Index سويدية المنشأ تم الحصول عليها عن طريق الشراء.

ب . طابعة مكتبية خاصة بتحويل الكتابة من الخط العادي إلى خط برايل وهي (Juliet pro) نوع Enabling tech أمريكية المنشأ وقد تم الحصول عليها عن طريق الإهداء من قبل منظمة ARO وهي منظمة إنسانية .

جـ . طابعة إنتاجية خاصة بلغة برايل وهي (4x4 pro) نوع Index سويدية المنشأ وهي أول طابعة لطبع المناهج الدراسية الخاصة بالمكفوفين حيث تم تشكيل فريق عمل لطبع المناهج الدراسية للمرحلة الابتدائية وتزويد معاهد المكفوفين في العراق والبالغ عددها خمسة معاهد بتلك المناهج حيث تم طبع ١٠٠٠ ورقة في الساعة الواحدة في حين يستغرق الوقت لطباعة ٥٠٠ ورقة اسبوع كامل وبصورة مستمرة باستخدام الطابعة اليدوية[١٥].

٣-٥ مكتبة معهد النور للمكفوفين :-

تعد مكتبة المعهد الوحيدة من نوعها في العراق وهي الشريان الحيوي الذي يزود المعاقين بصريا (عدا إقليم كردستان) بالكتب المنهجية المطبوعة بطريقة برايل للمرحلة الابتدائية .

---

[١٥] مقابلة مع السيدة انتصار عبد الحميد/ مسؤولة قسم الحاسوب بتاريخ ٢٠١٣/٤/١٤.

تتكون مكتبة المعهد من قسمين هما :-

أ . المكتبة النقطية :-

تحتوي المكتبة النقطية فضلا عن الكتب المنهجية للمرحلة الابتدائية كتبا ومجلات باللغتين العربية والانكليزية وفي مواضع متعددة، فضلا عن وجود مجموعة موسيقية من المجلدات لتعليم الموسيقى والنوتات وكذلك عدد قليل من قصص الأطفال وعدد من القواميس (أكسفورد) المطبوعة بطريقة برايل والمتكون من ١٦ جزءا كما تضم إعدادا متفرقة من الدوريات الأجنبية . تم تحويل قصص الأطفال الصادرة عن دار ثقافة الأطفال العراقية إلى طريقة برايل ليتمكن الطلبة من الاطلاع عليها. تتوفر في المكتبة قاعة جيدة مؤثثة ومنظمة بشكل يلائم طبيعة المعاقين بصريا .

تقتصر خدمة الإعارة في المكتبة على الإعارة الداخلية فقط لطلبة المعهد والمنتسبين.

ب . المكتبة الناطقة :-

تم إلحاق هذا القسم بمكتبة المعهد عندما تم تحويل مقتنيات (منتدى الكفيف الثقافي) إلى مكتبة معهد النور للمكفوفين، وكانت هذه المكتبة تضم كتبا ناطقة مسجلة على أشرطة (الكارتردج) التي تقوم بإرسالها المكتبة الناطقة التابعة للجنة الشرق الأوسط للمكفوفين في السعودية والتي كان العراق احد أعضائها، بلغ عدد الأشرطة حتى عام ١٩٩٠ نحو ١٠٠٠ شريط كارتردج سجلت عليها أمهات الكتب في اللغة العربية والدين الإسلامي .

كما كان يتوفر فيها عدد من أجهزة الاستماع إلا أن هذه المكتبة تعرضت للتلف والدمار نتيجة للإعمال الإرهابية ولم يبقَ منها سوى عدد قليل جدا من الأشرطة التي لم تعد صالحة للاستعمال ، حاليا تحاول إدارة معهد النور للمكفوفين بإعادة تشغيل هذهِ المكتبة والاستعانة بالملاك المتخصص الذي يقوم بعملية التسجيل .

٣-٧ مصادر التزويد :-

تعتمد مكتبة المعهد في اقتناء مجموعتها المكتبية على مصدر الشراء وذلك بتخصيص جزء من ميزانية المعهد لاقتناء الكتب الحديثة والنادرة، كما يتم الاعتماد على المطبوعات المهداة من مصادر متعددة، فقد تسلمت المكتبة العديد من الكتب والمجلات المطبوعة بطريقة برايل كهدايا من المنظمات الإنسانية والمؤسسات والمعاهد المعنية بشؤون المكفوفين في الدول المجاورة مثل السعودية ، والأردن فضلا عن الحصول على المجلات المطبوعة بطريقة برايل عن طريق الاشتراك مثل مجلة المصباح ومجلة الفجر[١٦].

---

[١٦] مقابلة مع السيد جمال ابراهيم/ أمين المكتبة بتاريخ ٢٠١٣/٤/١٦.

رابعا:- المبحث الرابع

النتائج والتوصيات

٤-١ النتائج :-

تم التوصل إلى جملة من النتائج منها :-

٤-١-١ النتائج العامة المتعلقة بواقع خدمات المعلومات للمعاقين بصريا في العراق وهي كالأتي :-

أ . غياب التخطيط وعدم تحديث التشريعات القانونية الخاصة بالخدمات المعلوماتية والمكتبية للمعاقين بصريا في العراق من قبل الجهات المعنية .

ب . عدم تخصيص أقسام خاصة للمعاقين بصريا في المكتبات الوطنية، العامة والمكتبات الجامعية لتوفير الخدمات المكتبية والأجهزة والوسائل التعليمية التي تلائم طبيعة هذه الفئة .

جـ . عدم توظيف التقنيات الالكترونية من خلال ربط مكتبات المعاقين بصريا بشبكة الكترونية لغرض توسيع نطاق الخدمات المقدمة وتوصليها إلى المكفوفين في مقر عملهم أو سكناهم .

د . عدم وجود مادة متخصصة في مناهج التعليم في أقسام المكتبات والمعلومات بالجامعات العراقية تُعْنَى بكيفية تقديم خدمات المعلومات لذوي الاحتياجات الخاصة .

٤-١-٢ نتائج خاصة تتعلق بواقع خدمات المعلومات والمكتبات في معهد النور للمكفوفين في بغداد :-

أ . قلة مواد القراءة الخاصة بهذه الفئة من المستفيدين بشكل يتناسب مع إعداد الطلبة ومستوياتهم العمرية وميولهم القرائية.

ب . تفتقر مكتبة المعهد إلى أخصائيين في المعلومات والمكتبيين حاصلين على دورات تدريبية في خدمة المعاقين بصريا

جـ . عدم استخدام نظام تصنيف معين لتنظيم مجموعات المكتبة كذلك افتقارها إلى الفهارس المطبوعة بطريقة برايل التي ترشد المستفيدين إلى محتويات المكتبة.

د . عدم كفاية الأجهزة والمعدات والبرامج الخاصة بتلبية الخدمات المعلوماتية للمستفيدين.

هـ . ضعف المجموعة المكتبية وعدم وجود خطة مكتوبة لتنميتها بما يلائم احتياجات المستفيدين.

٤-٢ التوصيات :-

بناءا على النتائج السابقة توصل البحث إلى جملة من التوصيات:-

٤-٢-١ التوصيات العامة وتشمل :-

أ . ضرورة تحديث أو إصدار التشريعات القانونية الخاصة بتقديم خدمات المعلومات لذوي الاحتياجات الخاصة حتى لاتصبح العملية خاضعة للتوجهات الشخصية.

ب . الاستفادة من تجارب الدول العربية وقيام تعاون عربي في مجال خدمات المعلومات للمعاقين بصريا حيث يمكن من خلال التنسيق في

الجهود وتبادل الخبرات تقديم أفضل الخدمات لهذهِ الشريحة من المجتمع .

جـ . قيام المؤسسات المعنية بشؤون المعوقين بتوجيه اهتمام الباحثين للقيام بدراسات أكثر شمولا تعالج احتياجاتهم من المعومات وتستقصي الوسائل الكفيلة بإشباع هذهِ الاحتياجات، فضلا عن عقد ندوات أو مؤتمرات متخصصة في هذا المجال.

د . تحقيق مبدأ الاندماج الكامل للمعاقين بصريا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ليقوموا بأدوارهم في العمل وبناء المجتمعات من خلال تأمين فرص عمل جيدة لهم تناسب طبيعة إعاقتهم واحتياجاتهم.

هـ . ضرورة وجود مادة متخصصة في مناهج التعليم في أقسام المكتبات والمعلومات في المعاهد والجامعات العراقية تُعنَى بكيفية تقديم خدمات المعلومات لذوي الاحتياجات الخاصة.

٤-٢-٢ التوصيات الخاصة :-

وهي التي تسعى إلى المساهمة في تطوير خدمات المعلومات في معهد النور للمكفوفين في بغداد وتشمل :-

أ . ضرورة تنمية مجموعات المكتبة ووضع خطة واضحة ومكتوبة كي توجه عملية الاختيار بما يناسب احتياجات المكفوفين وضعاف البصر من الأوعية المطبوعة والوسائل السمعية والبصرية.

ب . تطوير الموارد البشرية الضرورية على مستوى المدرسين والمشرفين والمكتبيين من خلال إشراكهم في دورات تدريبية بغرض تطوير مهاراتهم واطلاعهم على المستجدات الحديثة في هذا المجال.

جـ . استخدام الوسائل التقنية الحديثة للمعاقين بصريا التي يمكن من خلالها تحسين الأداء التعليمي لهم وزيادة تحصيلهم الدراسي كما أنها تسهم في ارتفاع مستوى دافعيتهم بشكل كبير وتحقيق الاستقلالية في التعلم .

د . تطبيق نظام تصنيف معين في تنظيم محتويات المكتبة النقطية وترتيبها والمكتبة الناطقة فضلا عن توفير فهرس بطاقي لخدمة المكتبين وفهرس سمعي ناطق وفهرس مطبوع بطريقة برايل لإرشاد المستفيدين وتعريفهم بمحتويات المكتبة.

المصـــادر :

١ . الشيخ ، منى محمد علي . والياسري ، أروى عيسى . "خدمات المعلومات الخاصة بالمعاقين بصريا في العراق". المجلة العراقية للمعلومات، مج٨ العددان ١-٢ ، ٢٠٠٢. ص ص٥٥-٦٨.

٢ . تجربة العراق في مجال رعاية المعوقين .- بغداد : دائرة الرعاية الاجتماعية ، (د.ت) .

٣ . متولي ، ناريمان اسماعيل . "تطور خدمات المعلومات للمكفوفين وضعاف البصر. مع دراسة حالة عن مصر". مجلة عالم الكتب. مج١٧. ع٣. ١٩٩٥ ص ص٢٢٠-٢٤٠.

٤ . رجب، ماجد حموك والرواس، امير محمد صادق. "دور المكتبة المركزية بجامعة الموصل في برنامج لخدمات المعلومات للمعوقين في محافظة نينوى". مجلة المكتبات والمعلومات العربية . ع١، ١٩٨٨. ص ص٢٣-٤٩.

٥ . النوايسة ، غالب عوض . خدمات المستفيدين من المكتبات ومراكز المعلومات. عمان : دار صفا للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠. ص ص٢٧١-٢٧٢.

٦ . مصدر من الانترنت

http://www.gulfkids.com/ar/index

٧ . المكتبة والبحث الأول الثانوي كتاب الطالب- الرياض : وزارة التربية والتعليم ، ٢٠٠٦ ص١٩.

٨ . السليمي ، نهلة بنت محمد. خدمات المستفيدين من ذوي الاحتياجات الخاصة .

متاح على الرابط :

http://informatics-gov.sa/details

٩ . أصيل ، غادة عبد الوهاب . "خدمات المكتبات والمعلومات لذوي الاحتياجات الخاصة" . مراجعة أدب الموضوع للفترة الزمنية من ١٩٩١-٢٠٠٣. الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات. مج١٢ ع٢٣، ٢٠٠٥ ص٦٠.

١٠ . محمد عبدة، فاطمة الزهراء. برمجيات المعاقين بصريا واستخدامها في المكتبات.

متاح على الرابط :

http://www.cybrarian's.info/journal/no9/software.htm

١١ . جوهري ، عزة . خدمات المعلومات للمعاقين بصريا .

متاح على الرابط : knol.google.com/k/

١٢ . كراس- معهد النور للمكفوفين في بغداد- إعداد صافية رشيد حميد، جبار حسين رفة. ص١ (د.ت).

١٣ . كراس- معهد النور للمكفوفين- مصدر سابق ص ص٢-٥.

١٤ . مقابلة مع السيدة اسماء جواد/ مسؤولة قاعة وسائل الإيضاح والرسم بتاريخ ٢٠١٣/٤/٨.

١٥ . مقابلة مع السيدة انتصار عبد الحميد/ مسؤولة قسم الحاسوب بتاريخ ٢٠١٣/٤/١٤.

١٦ . مقابلة مع السيد جمال ابراهيم/ أمين المكتبة بتاريخ ٢٠١٣/٤/١٦.

Libraries and Information Services for the Visually Impaired - Alnoor Institute for the Blind in Baghdad / A Model

Wisal Subhi Abdul Ghafour
Institute of Administration - Al-Rusafa

Abstract:

The research aims to identify the concept of visual disability and information services and libraries available for the visually impaired. Also it indicates the types of equipments and teaching aids provided by the libraries to the blind.

The paper uses a (case study) approach to the reality of Alnoor Institute for the blind in Baghdad, and stands on the services provided by the institute's library for this category of beneficiaries and the statement of the difficulties that hinder their work and ways of its development.

It reached several results, the most important are:

1-Weakness of the use of modern technologies in the access to the information, and in the provision of services that suit the nature of the visually impaired.

2-Lack of planning and modernization of legislation and laws for information services for the visually impaired in Iraq by the concerned authorities.

3-Not locating special sections for the visually impaired in national libraries (public and university) to provide services, equipments and tools to suit the nature of this category of beneficiaries.

The research ends up with many recommendations, including:

1- Benefit from the experiences of Arab or foreign countries in the field of information and library services for visually impaired, and try to apply what fits Iraqi society.

2- The development of necessary human resources at the level of teachers, supervisors and librarians through their involvement in training courses in order to develop their skills and inform them of the recent developments in this field.

The Demographic History of Great Baghdad
The Demography of the Rural Community in Baghdad City Site Before (762 A.D, 145 A.H)

Prof. Dr. Abid Ali Al-Khaffaf
Dean of the College of Arts / Kufa University

Abstract:

The resources of Baghdad's history refer that its site had known the human settlement before its establishment in (762 A.D, 145 A.H). There were a large number of the great villages as well as the small ones. The indicators of its existence are the wide rivers, streams, canal systems and the arches that had been built on it to facilitate the citizens' movements.

On the light of the numerical evidences, we attempted to estimate the population number in this site. We found that it was about (30000) persons distributed, according to the sex-structure, to (15437) males and (14563) females, a status that

differs from the current status of the contemporary societies demography. Most of which are distinguished with the greatest number of females rather than males.

The number of males and females are varied in the five year categories according to which we drew the population pyramid in the details to which the research referred.

This community was semi-unchanged due to the increasing fatality and mortality yearly rate. So our estimation of the natural growth yearly rate is nearly (0.17%), that is to say, less than (1%), a rate that indicates the very slow demographic growth. Depending on the demographic hypotheses, we estimated the middle age in this community to be ranged between (30-40) years.

Arab Islamic Encyclopedias, a Source for the Study of the History of Islamic Sciences. Book "Nihayat Alarab" of Alnuwairi - A Model for Study -

Nabeela Abdul Muni'm Dawood
Center of Arabic Scientific Heritage Revival / Baghdad University

Abstract:

The sources of the study of the history of science are numerous and various of Arab; some are the books of general Islamic history, indexes of books the Arab and Muslim have realized its importance in knowing the intellectual movement. Some of them mentioned a number of authors: Ibn Alnadeem, Ibn Abi Osaibia'a, Arabic writings in the history of sciences, Doctors' books, books of general culture which dealt with various aspects of life and thought, some are related to science, some facts and scientific ideas were mentioned, then the Islamic Arabic encyclopedias that are going to be studied in this research.

Arab and Muslim Doctors and Scientists' Opinions about Medical Insects and Modern Medicine

Dr. Mahmoud Al-Haj Kasim Mohammed

Abstract:

The research have tried to unify the opinions of the Arab and Muslim doctors and scientists about medical descriptions of insects, risks, how to control and treat the injured by their bites and compare it with what came in modern medicine about all of that. The mentioned insects are:

1- Mosquito and Phlebotomus
2-Housefly
3-Pediculosis three types :A- Pedculus humanus capitis,
B- humanus Pedculus humanus, C- Phthirus pubis
4-Scabies
5-Bees and Hornet
6-Siphonaptera
7-Cockroach and Coleoptera
8-Tic
9-True spiders
10-Scoropionida

Technical Education and Work Capacity Building

Prof. Dr. Dakhil Hassan Jerew
Member of the Iraqi Academy of Sciences

Abstract:

In spite of the clear importance of technical education in the human resources development, which is badly needed in Iraq for its rehabilitation, yet it has not received any proper attention. Various reports, including those of UNESCO, indicate that the Iraqi Technical Education Sector is badly run, it lacks highly trained technical staff, equipments, proper teaching facilities, suitable building ...etc. which has resulted in poor quality graduates that are not useful for any employment.

This paper examines ways and means of improving this sector to play its proper role in building Iraqi youth technical and professional capacity.

"Altadawiliya" is Not a Method

Prof. Dr. Ahmed Matloub
President of the Iraqi Academy of Sciences

Abstract:

This paper sheds some light on what was popularized in the last decades of the linguistic, literary, critical and artistic terms; including (altadawiliya) which some have passion for it when reading the different definitions and views. Some have used the word in his articles and researches without having to be linked with what is written.

Articles, books and researches were published some were authored; others are translated about (altadawiliya). This term has found its way to emerge, and it was mostly theoretical not applicable. This paper addresses the topic, and may have riled some people and satisfy others, because it is a point of view to consider the link of (altadawiliya) matching the case may be, primarily, which introduced books of criticism and Arabic rhetoric. The paper ended with some of what was expressed in different ways of meanings and purposes, to show that they are not an approach, but it is the use of language to express, that is, (the science of language use) for different purposes.

Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

E-mail: iraqacademy@yahoo.com

journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription : In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100 Dollars)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٩٧٦ لسنة ٢٠١٣م



Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

No.3& 4

Vo3.4.60

1435H - 2013